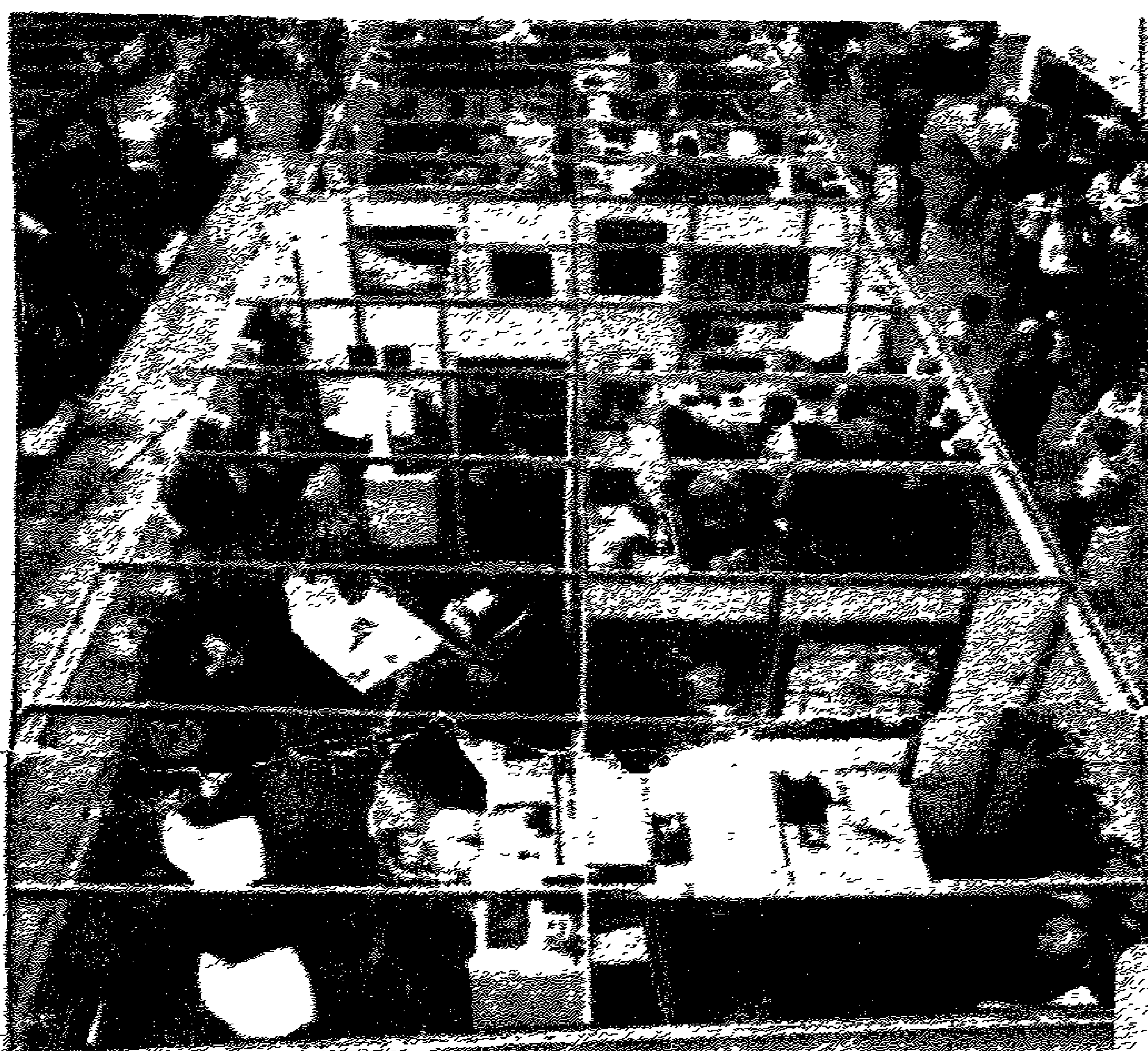
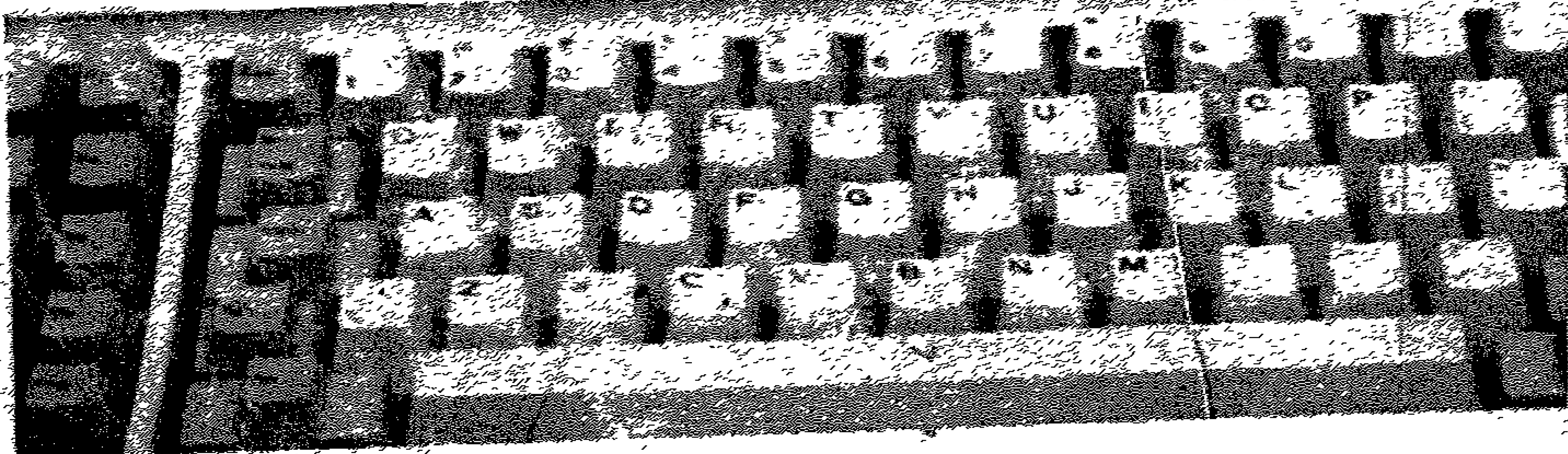
د. غازى زين عوض الله

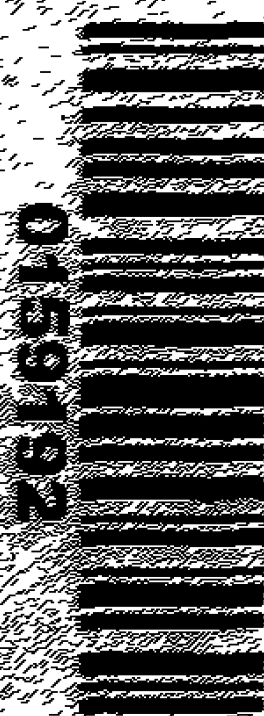
الإعلام والمجتمع



الهيئة المصرية العامة للكتاب







الإعلام والمجتمع

د. غازى زين عوض الله



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

اهـــــداء

الى ابنى البكر « غسان »

الذى أعتز وأفتخر به وله ولاخــوته

أسال الله دوام التوفيق والنجاح .

مقـــدمة

لقد قام أستاذنا الكبير أمين قرقوري بدور كبير في تشجيعي على فكرة جمع بعض المقالات ، والدراسات المتنـــاثرة التي كتبتها في بعض الصحف والمجلات ، حيث كان يرى فيها انها لا زالت صالحة للطـرح والمناقشة في هـذه الأيام ، خاصـة ان بعضـها يأخـذ نمـط الكتـــابة الاكاديمية شكلا ومضمونا أي ان طرحها ينزع الى الموضوعية في الفكر والمعالجة مدعومة بالشواهد ، والثوابت والمراجع العلمية ، واهتمت بشكل مباشر في كثير منها بالقضايا التي تهم مجتمعنا السعودي فقدمت بعض الحلول والمعالجات للمشكلات الحضارية التي تمر بمجتمعنا من منظور اجتماعي وثقافي وفكري واقتصادي ، وان كانت تلك المساهمات من وجهة نظري ، تعتبر متواضعة لمجتهد مثلي حاول ان يشارك مجتمعه همومه ، ومعاناته ، ويعايش الواقع التنموي لهذا المجتمع الذي حقق تقدما حضاريا وفكريا وهكذا دواليك ٠٠ وكان ذلك بفضـــل الله ثم بفضل تقـدم الانسان السعودي تقدما نوعيا في أنماطه الفكرية والتربوية والتعليمية ، ولا يختلف اثنان على ان الانسان ، هو الذي يمثل تقدم الأمم وحضاراتها ، وهو الذي يشكل هذه الانماط من الحضارات الانسانية ، والعلمية وغيرها ٠٠ فلا وجود لتقدم علمي ومادي و « تكنولوجي » بدون الفكر الانساني ، الذي هو صانع هذه الحضارات ومشكلها وراعي تقدمها ، وتطورها ، وازدهارها ٠٠ فالتنمية في كل خططها استهدفت ، بل راعت تقدم الانسان السعودي الذي أخذ مكانته المرموقة بين الشعوب المتطورة والمتقدمة في العالم ، في مجال الفكر كما في مجال الآلة وفي مختلف ميادين التطور الأخرى فأصبح يشكل احد المعالم الحضـــارية الانسانية في هذه الشعوب التي احرزت تقدما ملموسا في التطـــور العلمي ، والمادي ، والفكري ، ولقد آن لهذا المجتمع وأقصد المجتمع السعودي ان يفتخر بأبنائه ، الذين حققوا كثيرا من الانجازات العلمية وشاركوا في بناء حضاراتها واصبحت المملكة اليوم بفضل السياسـة

الحكيمة فى الدولة تحتل أحد المراكز المتقدمة بين الدول النامية التى استطاعت ان تشق طريقها ، وان تجتاز بكفاءة علمية اسهل الطـــرق المختصرة للوصول الى تحقيق الهدف المطلوب ، فى الخطط التنمويـة التى استهدفت بناء الانسان ، وتحديث المجتمع ، والتقدم الحضارى فى كافة المجالات وزيادة الدخل والانتاج ، بكفاءة عالية ، ولا نريد هنا ان نستطرد كثيرا فى هذا المجال فالواقع على أرض الحقيقة يحكى قصـة حضارتنا فكفى بذلك دليلا ٠

وفى الختـام أرجـو أن تكون هذه المحاولة الجـديدة التى أقـدمت عليها ناجحة وأن أرضى بها القارىء الذى أحرص عليه وأعتبره رصيد الثورة الكبيرة ، التى أفتخر بها كمعادلة صـــعبة أعتـز بقيمتهـا ، فان وفقت وأصبت فلى أجران وان رأى فيها أحد غير ذلك فلى أجر الاجتهاد ٠

والله ولى التوفيق للجميـــع ٠٠

غازى زين عوض الله

محتـويات الكتـاب

صحافتنا فى الميزان

دور الصحافة في خدمة المجتمع(★)

الصحافة كأية وسيلة أخرى اعلامية لها اتجاهات ومسئوليات اجتماعية تنطلق منها لخدمة المجتمع الذى تنتمى اليه بيئيا وسياسيا واجتماعيا ، واقتصاديا ، وباعتبار أن هذه الوسيلة هى المرآة العاكسة لواجهة المجتمع حضاريا ولنشاط الانسان الفاعل فيه بكل حيوية وعنفوانية ، فان هذا الدور يحملها تبعية ومسئولية أى اختلال أو أى اهتزاز فى التوازن الحضارى بشكله العام الخاص – لا سمح الله – ٠

ومن هنا ينبغى على الصحافة ان تؤدى وظيفتها الكبرى بكل ابعادها وفى مجموعها ترجمة اعلامية للمنجزات الحضارية لواقع المجتمع الذى تصدر فيه ، ومن هذا المنطلق يمكن ان نصف المحصلة النهائية للصحافة ودورها بانهما « الحضارة الانتقالية » و « التحضير الثقافى » والقيمة الفكرية للدور الفعال الذى يؤثر تأثيراً حيويا فى ترسيخ معالم الحضارة المكتسبة والتحضير الثقافى لها ، ومن ثم بلورة القيمة الفكرية للفرد والمجتمع وفق معطيات ذلك المجتمع فى أنشطة أفراده وجماعاته على السواء ، وهذا يتوقف على مسئولية العاملين فيها ، بحكم أن التوجيه أو التوجه هو التمثيل الواقعى لعقلية المجتمع والتعبير عنها بموضوعية وصدق ، وتجرد ، واخلاص وطنى بالرأى الصائب ، والفكر السديد ، فان ما يسمى بـ **«الاستراتيجية الاعلامية»**، أو بمعنى آخر بـ « الحملة الاعلامية » ، التى تستهدف التغيير فى الانماط الثقافية والاجتماعية وغيرها وفق ما يتمشى مع المصلحة العامة التى تخدم المجتمع من واقعه العام والخاص ، فان هذه القوائم لابد أن تستثير حماس المجتمع لخط التنمية الوطنية بوعى وفهم وادراك مثير يرقى بالجميع الى أعلى درجات المسئولية المنشودة التى لا بد أن تأخذ فى

(★) مجلة اقرأ – العدد « ٧٣٩ » – ١٤١٠/٣/٢٧ هـ ٠

الاعتبار الصيغة العامة للتركيبة الحضارية التى تتوافق مع معطيات العصر ، دون التخلى عن الجذور العميقة والأصول الثابتة للأمة بحضاراتها القائمة على قاعدة العقيدة الاسلامية الراسخة ومبادئها السامية الصريحة •

ويطبيعة الحال لم يأت ذلك من فراغ بل كانت الأهداف تهتم بشكل علمى وموضوعى ثقلا وتمثيلا لطبيعة المجتمع بخصائصه ومميزاته الاجتماعية والثقافية وانماطه التفكيرية آخذة فى الاعتبار الوضعية التى تشكل البنية الأساسية التى تنطلق منها أدوات التطوير والتحديث التى تساعد على حركة التقبل لها ، ولعلنا هنا نقف لحظة لنستعيد الدور المهم الذى ينبغى أن تقوم به الصحافة كاثر فعال لخدمة المجتمع ، وليكن ذلك الهاجس هو الذى يساعد على سرعة ترسيخ التفكير فى أسلوب المنهج العلمى الذى تقوم به الصحافة فى أداء وظيفتها كوسيلة من وسائل الاعلام المهمة والفعالة فى تقوية واظهار التكامل بين الناس ، لتهيئة النشاط العام فى تقبل الرسالة الاعلامية بشكل منهجى فعال وليكن ذلك الدور هو الأثر الذى يقوم على تحقيق الأهداف وفق الخطة المرسومة لتلك الرسائل الاعلامية القائمة على الرؤية العلمية والمنهج العلمى السليم •

وهذا لا يمكن ان يتحقق الا اذا كانت القيادة الصحفية بجهازها الخاص والعام مؤهلة بالخبرة التى تتمتع بالحس الفنى او التأهيل العلمى الذى تصقله الخبرة •

والله تعالى ولى التوفيق ؟

هل تعبر صحافتنا عن لغة واقعنا الحضارى
أو أنها متخلفة عنه ؟! (★)

لا يمكننا ونحن نتحدث عن الصحافة العصرية ان نضـــع لها تصنيفات تتسم بشىء من التعسف ، كما ان محاولة جمع الصحف فى فئات محددة سوف تؤدى بها بالتالى الى اللامبالاة بما لكل منها من شخصية فعلية ، ويرى علماء الصحافة ان المنافسة التى تخلق المعارضة هى التى تميز العناصر الصحافية المختلفة فإذا وضعنا باصرار المعايير التى نحدد بها التشابه فيما بين الصحف ، فان ذلك يجعلنا لا نلتفت الى فميز شخصية كل منها على الأخرى ·· وعلى الرغم من تقدم الصحافتين المسموعة والمرئية فلا تزال فى رأى علمــاء الصحــافة (ان الصحافــة المكتوبة تحتل المكانة الأولى بين الوسائل الاعــلامية المختلفة ··) فلهذا اكتسبت الصحافة بأن تكون من أهم الوسائل الاعلامية التى تؤثر على المجتمع ،وتؤدى الأدوار المهمة في خدمة التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها ··

ويقول فولتير عن الصحافة : هى آلة يستحيل كسرها وستعمـل على هدم العالم القديم حتى يتسنى لها ان تنشىء عالما جديداً ··

وقال كاسترو (١) ، أحد رؤساء حكومة فنزويلا الســـابقين : لا أخاف بوابة جهنم اذا فتحت بوجهى ولكن ارتعش من صرير قلم محــرر صحيفة ··

وهناك العديد من الآراء العلمية والفكرية التى تتحدث عن أهمية الصحافة وعن دورها الاجتماعى والفكرى والتعايشى وغيـره والذى

(★) جريدة المدينة ـ ملحق الأربعاء الاسبوعى ٢٥ ذى القعدة ١٤١٢ هـ ·

يزداد أهمية يوما عن يوم ، فانتشار الصحافة ووجودها فى العالم أصبح حقيقة واقعية ـ لا يختلف عليه اثنان ـ ٠

ويعتبر أوسكار وتشتين الذى قام بتدريس الصحافة بجامعة زيورخ ٠٠ ان الصحف من أقوى وسائل التثيف والتربية الشعبية ويقول الفيلسوف (شوبنهاور) : الصحافة عقرب الثوانى للأحداث العالمية ٠٠

والواقع ان للصحافة وظائف تقليدية تؤديها لخدمة المجتمع الذى تصدر منه : هى الاعلام ونشر الرأى والتعليم والتسلية ٠٠ وان كانت هذه الوظائف الأربع موجودة فعلا وقد تسيطر احداها على الثلاث الأخرى ٠٠

وثمة وظائف أخرى تقوم بها الصحافة فى خدمة المجتمع حسب الأنظمة التى تصدر منها ، وبعد أن تعرفنا الى حد ما عن قيمة هذه الوسيلة الاعلامية المتميزة عن الوسائل الأخرى نجد أن بعض الصحف فى بلادنا لم تستفد من قوة تأثير هذه الوسيلة ودورها الفعال فى خدمة المجتمع بل أخذ بعض رؤساء التحرير يتوجهون بها الى سياسة النزف الاعلامى والى قرع الطبول فى حلبة المصارعة التى تقوم على التحدى الشخصى والغرض الذاتى ، ولوى الاضلاع ، وأحسب ان هذا التوجه لبعض صحفنا أثر على توازنها الاجتماعى وكسر حاجز التزامها الأخلاقى كمهنة تؤدى غرضا انسانيا بالدرجة الأولى ، فان مهنة الصحافة لا تختلف عن مهنة المحاماة والطب وغيرها من المهن الانسانية فان الذين استغلوا الصحافة بتسخيرها وبتطويعها للهجوم والمهاترات والتراشق بالكلمات التى لا تليق بهذه الوسيلة اعتبروها جسراً يعبرون به الى تحقيق أغراضهم الشخصية فى التنفيس عن كوامنهم الانتقامية التى يريدون أن يصفوا بها حسابات قديمة ٠٠ فالذى يقرأ السطور الهجومية بين صحيفة وأخرى فى الرسائل الموجهة أو فى الاتهام المبطن أو فى الرمز المشار اليه أو فى الغموض المبهم يخرج منه بانطباع سيىء له رد فعل عكسى الى الاتجاه الآخر فى عقول القراء الذين يكرهون مثل هذه المهاترات ويعزفون عنها ، فالقارىء يبحث عن الصحيفة الجادة والصحيفة الملتزمة بالموضوعية التى يستفيد منها ثقافة وتسلية بأسلوب جذاب ومميز ، وفى اشارة واضحة للأستاذ حسن قزاز يذكر ان بعض الصحف فى بلادنا أخذت فى الآونة الأخيرة تستخدم اسلوب التهجم فيما بينها وتكيل التهم لبعضها وتحاول ان تثير عواصف رملية تغبر بها وجه بعضها ، وكما يقول أحد الأخوة الذين فربطنى به صداقة

قوية ان أغمدة بعض الصحف فى بلادنا أصبحت محملة بـ (الالغام المتفجرة) التى تثير الزوابع والتى تخلق المعارك الصحفية التى تدور بين محررى الصحف باشارة من رؤساء التحرير وكلها عبارات شتم وسباب وغير موضوعية وغير مثرية للفكر والثقافة . وكأن الصحافة فى عرف هؤلاء أداة مدمرة أو معول هدم – بينما اختفت الاقلام التى تكتب من أجل الاصلاح الاجتماعى والخدمة الانسانية وحقوق الانسان والسلام بين الأمم والنمو الثقافى والفكرى ·· وعلى حد رأيى أن صحافة الأفراد – بالرغم من أنها صحافة رأى ويغلب عليها هذا الطابع فانها أكثر موضوعية وثقافة وفكراً من صحافة المؤسسات التى تدعى انها أكثر تقدمية وأكثر فكراً ونضجاً وقد يكون لها ذلك بحكم التقدم التكنولوجى والفكرى والعلمى لولا ان ذاتية وسيطرة بعض رؤساء التحرير الأوتوقراطيين الذين فرضوا على هذه الصحافة ان تكون أداة أو سيلة من الوسائل التى يستخدمونها فى تحقيق أغراضهم الشخصية والذاتية والبرغماتية الصحفية واعتبروها حقا من حقوقهم التى لا يجرؤ أحد أن يقول لهم هذا خطأ ·· وهذا عيب ·· وأصبح مديرو المؤسسات الصحفية صفراً على اليدين فاذا ما أراد أحدهم ان يحاسب رئيس تحرير فى خطأ ارتكبه وتسبب فى خسارة مادية للمؤسسة فسوف تقوم الدنيا ولن تقعد وكأنما محاسبة رئيس تحرير جريمة لا تغتفر وقد يكون النظام معه · ولكن ليس الى هذا الحد ··

فالخسارة بالرغم انها مادية على المؤسسة يأتى تفسيرها من جانب بعض رؤساء التحرير أنها تدخل فى عمل رئيس التحرير الذى لا تحاسبه الا جهة واحدة ·· وزارة الاعلام ونحن هنا نحترم الانظمة فى جوهرها ليس فى تبريرها أو فى تعليلها ·· وهذا من شأن مديرى المؤسسات فهم أصحاب الحق فى ذلك ولكن أرجو أن لا يكون على حساب القارىء أو المجتمع ككل فى مادة منشورة كلها شتم وسباب ، وتصفية حسابات بين صحيفة وأخرى فالالتزام بمفهوم نظرية المسئولية الاجتماعية واجب ومقدس فالفرد الذى لا يحترم المجتمع لم يكن محترما ··

اننا فى واقع الأمر لسنا بحاجة الى هذه الغوغائية الصحفية التى أوقعت هذه الصحف فى هذا الشراك وفى هذا الشرخ الاعلامى الكبير الذى ينزف دما ، فأوجدت أسوأ الأثر على عقول القراء ، وعلى عواطفهم بل على الرأى العام نفسه الذى أخذ يتفجر ويتذمر ويدير ظهره عن هذه الصحف التى أصبحت فى الأسواق المكتبية لا تجد من يشتريها ولا يقدم عليها قارئنا المثقف أو الواعى الذى لا يتلفت الى مثل هذا التوانى من

الأمور بل يبحث عن كل معلومة جادة ، وتسلية بريئة وثقافة مفيدة يجد فيها ضـــالته الكبرى ..

ويحز فى نفوسنا ان نجد بعض الصحف أخذت تسير فى اتجاه العد التنازلى من البيع ، ومن الاعـــلان واصبحت لا ترتقى الى عالمنـا الحضارى الذى حقق قفزة كبيرة فى التقدم والتطور فى كل المجـالات الحياتية والعمرانية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية ، وكم أتمنى أن أرى الصحافة فى بلادنا تسير فى الاتجاه البيانى لمعدلات النمو التى ترتفع فى هذه البلاد والتى يقود مسيرتها خادم الحرمين الشريفين وهذا لا يعنى ان نتوجه بذلك الاتهام الى كل صحفنا فأغلبها يسير فى الاتجاه الصحيح وفى النمو المتقدم وفى التطـــور المستمـر السريـع ومعظمها تتمشى مع السياسة الاعلامية الملتزمة التى تقوم على أساس احترام المبادىء والقيم والسلوك الانسانى الحضارى ــ كما أن هـــذه السياسة الاعلامية تقوم أيضا على احترام الرأى الآخر وعدم التدخل فيه كما أنها فى حل الأمور تقوم على المعيار الحقيقى فى احترام أخلاقيات مهنة الصحافة وتوجهاتها مع قواعد الآداب الصحفية وأرجو أن يكون استغلال حرية الصحافة يتمشى مع اطار المسئوليـــة الاجتماعية التى لا تضر بالمجتمع ولا تؤذيه ولا تفسد ذوقه فى أمور جانبية ، وهامشية لا تخدم المصلحة العامة وحسبى أن تعاد الأمور الى تحكيم العقل الى ضمير الأمة ..

والله ولى التوفيق • ،،

Cscar Wetstein

المراجـــع

١ ــ خليل صابات ، الصحافة رسالة واستعـداد وفن وعـلم ، دار المعارف بمصر ط (٢) ص ١٧ ..

٢ ــ حسن قزاز ، رسالة محبة الى المسئولين عن الصحافة ، الأربعاء الأسبوعى ، ١٨ ذى القعدة ١٤١٢ هـ ص ٥ ..

الصحافة .. والجريمة (*)

في أي مجتمع أو تجمع انساني مهما كان حجم هذا المجتمع أو التجمع لا بد من وجود الجريمة .. كبر هذا المجتمع أو صغر ومهما كانت درجته في الرقي والتمدن أو التخلف .

فالظاهرة الاجرامية موجودة ، ما وجد الانسان ، ولا يمكن أن نقول انه يمكن القضاء على الجريمة أبداً ، لأن قولنا هذا خطأ فالجريمة لابد من وجودها مهما بلغت أجهزة الشرطة الحديثة من العلم والقوة والمقدرة ، فالأفضل أن نقول : « الحد من الجريمة والوقاية منها » .. بدل قولنا القضاء عليها وبحكم هذا الواقع فما هو النظام الذي يعالج الجريمة أو يقلل من وجودها على الأقل .

هل التشديد في العقاب هو الكفيل بذلك ؟

هل يلغى مفهوم العقاب وتحل محله فلسفة أخرى ؟

هل نأخذ بمفهوم الدفاع الاجتماعي ؟ .

ربما كانت كل تلك الوسائل مجتمعة تساهم في الوصول الى الهدف المنشود .

وفي ذلك كله يلعب الاعلام بوسائله المختلفة دورا مهما وأساسيا في الوصول الى الغاية المرجوة .

الجريمة كما سبق وان ذكرنا حدث غير مألوف ولا يتفق مع الناموس الطبيعي للحياة ولهذا السبب، فان كثيراً من الجرائم تستحق أن تتحول من حدث الى خبر ينشر في الصحف ـ اذ أن كل حدث ليس

(*) جريدة البلاد ـ العدد « ٨٧٨٤ » ـ ٢٠ محرم ١٤١٢ هـ .

بالضرورة ان يصير خبراً ، فالحديث يظل مجرد حدث ولا يتحول الى خبر الا حين ينشر أو يذاع ، أى أن قيمة الحدث تتحدث بمدى قابليته للنشر وبالاضافة الى كل ما سبق فانه يدخل فى مفهوم الجريمة كـــل خرق للقوانين كالقتـــل والخطف والاغتصاب وجــــرائم العرض والشرف والسرقة والاختلاس والسب والقذف والانحراف بالسلطة واستغــــلال النفوذ والنصب والتحايل على القوانين ، ويتسع مفهوم بعض الصـــحف لصحافة الجريمة بحيث تغطي حوادث التصادم ، وقد لا يكون وراءهـــا قصد اجرامى مثل حوادث التصادم ، وقد لا يكون وراءها قصد اجرامى مثل حوادث الغرق والانتحار وسقوط المباني وتحطم الطائرات وسقوط القطارات والحرائق ، ولعل ذلك هو السبب فى تسمية الصفحة المتخصصة فى نشر أخبار الجريمة فى كثير من الصحف بصفحة (الحـــوادث) ٠

وإذا كانت الجريمة فى حد ذاتها حدثا غير مألوف ، فان هنـــاك جرائم غير مألوفة ، أى أن تناقضها مع النامـــوس الحقيقى للحيـــاة مضاعف وهو الأمر الذى يكسبها أهمية أكثر عند النشر ٠

والجـــرائم فى الواقـــع لا تنحصر فى حـــوادث القتـــل والسرقة والاغتصـــاب ، بل ان هناك جرائم أخرى لا تقـــل أهمية من وجهـــة نظـــر القارىء عن الجرائم السابقة مثل الفضائح المالية والرشاوى والانحرافات وسوء استخدام السلطة والمحسوبية ٠ وفى هذا المجال فان صحـــافة الجريمة يمكن أن تلعب دوراً مهما فى تنظيف المجتمع من الفساد عنـــد تلاحق حالات الانحراف والفســـاد فى المجتمع وخاصـــة فى الدول الديمقراطيـــــة ٠

ولقد نجحت الصحف فى أوروبا والولايات المتحدة فى أن ترسل بالعديد من السياسيين وكبار رجال الأعمال والنقابيين المنحـــرفين الى السجون ٠٠ بل لقد نجحت بعض الصحف فى الكشف عن الانحـــراف فى أجهزة مقاومة الجريمة نفسها ، فساهمت فى اصـــلاح السجـــون والكشف عن انحرافات بين رجال القضاء وعن حالات للفساد واستغلال النفوذ بين رجال الشرطة ٠

وهنا وجهتا نظر فى المعالجة الصحفية لشئون الجريمة ٠

الأولى : ترى أن التوسع فى نشر أخبار الجريمة يساعد على انتشارها ويشجع على ارتكابها خاصة وانه غالبا ما تمر فترة زمنية طويلة بين وقوع الجريمة وبين صدور الحكم فيها ٠ بحيث لا يقرن نشر الجريمة بالعقاب الذى يناله المجرم عنها ٠ وبالتالى يقرأ القارىء أخبار الجريمة

بدون ان تتضمن قراءته للعقاب الذى ناله المجرم ، لذلك يطالب أصحاب هذا الرأى الصحف ، « بأن تقلل ما امكن من المساحة التى تغطيهـــا لأخبار الجريمة ، وان تحتاط فى الطريقة التى تنشر بها قصة الجريمة ، والصور التى تصحبها عادة ، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه رأيهم بالعديد من الدراسات والأبحاث العلمية التى اثبتت تأثر الشباب بالجرائم التى تنشرها الصحف ، وان بعض الشباب يقوم بارتكاب الجـــرائم تقليدأ لما سبق وقرأه فى الجريدة ٠

ويلاحظ ان الصحف المحافظة والصحف الاشتراكية تتبنى هـذا الرأى فلا تسمح بنشر أخبار الجريمة الا فى نطاق ضيق ٠

والثانية : ترى ان نشر أخبار الجريمة يمنع من تكرارها لما يحققه النشر من التوعية بأساليب المجرمين وكيفية مواجهة الجريمة وكذلـك دان نشر العقاب الذى يناله ارجرم يردع الآخرين من التفـــكير فى الجريمة ٠

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان الجريمة جزء من الواقع الاجتماعى٠ وان تجاهل هذا الواقع يحرم الصحافة من اداء جزء من واجبها كمرآة للحياة الاجتماعية ٠

ويقوم هذا الرأى على أن منع نشر اخبار الجريمة فى الصحافة لا يقلل من وقوعها وانما يزيد من أنتشارها وتحولها الى وباء اجتماعى يصعب علاجه ، مثل ظاهـــرة انتشار المخـــدرات وظـاهرة الرشـــوة والاختلاس ٠٠ وبعد فان الرأى الذى يميل اليه اغلب المتخصصين فى هذا المجال وما نميل اليه فى الواقع هو ان نشر اخبار الجريمة ضرورة اجتماعية ، لانه يمكن الصحيفة من اداء وظيفتها الاخبارية فى تلبيـة احتياجات القارىء فى الاحاطة بما يجرى حوله من أحـــداث ، ولكن بشرط أن تلتزم الصحيفة فى عرضها لوقائع الجريمة بالصدق والدقة والموضوعية فلا تضيف الى وقائع الجريمة أحداثا لم تقع ، ولا تحذف من الوقائع ما يغير معناها او يوجهها الى غير وجهتها الصحيحة ٠

وللصحف ان تقوم بتفسير بعض الجرائم وان تحلل ابعادهـــا ودلالاتها دون ان تقع فى شرك التهويل او تلون الواقعة بما يخدم شخصا بعينه أو يضر بشخص آخر اى أن تقوم التغطية الصحفية للجريمة على تقديم الحقيقة وحدها ولا شىء سواها ٠

الجريمة في الصحافة العربية :

بصفة عامة لا يمكن القول بأن هناك صحافة متخصصة في شئون الجريمة بكل ما تعني الكلمة من معنى ، كما هو الحال في الصحافة النسائية أو الرياضية وما الى ذلك ٠

كل ما في الأمر أن الصحافة تتطرق الى مواضيع الجريمة والكتابة فيها من زاوية خبرية ليس الا ، ولا يمنع ذلك من أنه يوجد بعض الصحف التي تتوسع في تغطيتها لشئون الجريمة استخدام مختلف فنون الكتابة الصحفية في هذا المجال ٠

ويلاحظ أن غالبية الصحف لا تفرد صفحات خاصة بشئون وأخبار الجريمة بصفة دورية - بل قد تنشر هذه الأخبار في مختلف صفحات الجريدة أو المجلة ، سواء الصفحات المحلية أو المنوعات أو حتى في الصفحات الخارجية ٠

والالاحظ أن المعالجة الصحفية لشئون الجريمة في الصحافة العربية لا تخرج في الغالب عن أسلوب التغطية الصحفية لحالات الأجرام الظاهرة أو ما يسمى بالمرسمي ٠

ويتسع أسلوب التغطية الصحفية لشئون الجريمة في الصحافة العربية أحيانا ليشمل « التحقيق الصحفي » لدراسة الجريمة من مختلف جوانبها الجنائية والنفسية والاجتماعية والقانونية للوصول الى أقصى حد ممكن من الفائدة ٠

وان كانت بعض هذه التحقيقات لا تخلو من بعض التحفظات التي تفرضها ظروف مختلفة ، والتي قد تقلل من معدل الفائدة بالنسبة للقراء ٠

وتفرد بعض المجلات العربية أحيانا صفحات متخصصة للجريمة تعرض بها الجريمة بأسلوب تسجيلي بحت ، أقرب ما يكون الى القصة أو الرواية دون معالجة علمية سليمة ، وتعتمد في ذلك على سجلات الشرطة والمحاكم ، والمحامين ، وفي الغالب تعتمد على الترجمة من الصحافة الأجنبية وهذا ما يؤخذ على الصحف العربية ٠٠ حيث تنعدم الفائدة عند نشر هذه الحوادث نظرا لبعدها عن الجو العام لمجتمعاتنا العربية وبالتالي يمكن أن تكون لنشرها آثار سلبية ٠

الجريمة في الصحافة السعودية :

لقد قيض الله بأن تكون المملكة العربية السعودية دولة اسلامية

تطبق الشريعة واحكامها وتسير على منهجها وتتبع تعاليمها فيما يتعلق بتنظيم حياة الأفراد والجماعـــات ، وقد أدى ذلك الى تدنى معدلات الجريمة بين فئات المجتمع الى حد يمكن اعتباره الحد الأدنى من معدلات الجريمة مقارنة بالمجتمعات الأخرى ، وذلك يمكن ان يفسر به عدم تركيز الصحافة السعودية على أخبار الجريمة بحيث لا تفرد صفحات بتلـك الشئون بالشكل الموجود فى غيرها من الصحف الدولية فى المجتمعات الأخرى التى ترتفع فيها معدلات الجريمة ·

وهناك عدة اعتبارات اجتماعية وفلسفـــات سياسية واعــلامية خاصة ، ومع ذلك كله تعتبر الجريمة واقعا اجتماعيا لا يمكن أن يخلو منه أى مجتمع حتى وان قلت معدلاته نسبيا كما هو الحال فى المجتمع السعودى ، وكان لزاما على الصحافة السعودية لكونهـا من احـــدى المؤسسات الاجتماعية ومرآة للمجتمع أن تقوم بدور الاضطلاع بمهمة تطهيره من الفساد ثم بالتالى حمايته وبرئه من المخاطر التى قد يتعرض لها · وهنا يحتاج الأمر الى ان تستقطب الصحف فريقا من المتخصصين فى « علم الجريمة » ليقدموا الدراسات والتحليلات العلمية التى قـد توصلنا فى النهاية الى معالجة علمية صحفية للجريمة تساعد عـــلى تحقيق الأهداف المرجوة منها ·· دون الوقوع فى السلبيــات والنتائج العكسية كما يراها المعارضون لصحافة الجــريمة ·

مصادر التغطية الصحفية للجريمة فى الصحافة السعودية :

كما سبق وان تطرقنا آنفا ، فان نشر أخبار الجريمة فى الصحافة السعودية يعتبر محدوداً ونسبيا ، حيث اقتصرت الصحف فى الغالب على نشر البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة الداخلية والتى عادة تكون عبارة عن خبر مقتضب ·· يعلن فيه عن الجانى وجــريمته والحـــد الواقع عليه ، وفى اكثر الأحيان يتضمن خبر القصاص فى القتـــل ، وهذا ما نطلق عليه فى التغطية الصحفية « الاجرام الظاهر » الذى يعتمد على البلاغ الرسمى فى كشف النقاب عن اسمــاء الذين تورطـوا فى الجريمة ووقعوا فى قبضة الشرطة ومثلوا امام المحاكم ، اى انها تغطية تسجيلية للجريمة ، لأنها اعتمدت على البيانات والمعلومات الرسمية ·

الجهود الذاتية للتغطية الصحفية لشئون الجريمة فى الصحافة السعودية :

لقد أخذت الصحافة السعودية تهتم بالجريمة لما لها من واقع اجتماعي وتاثير سلبى على المجتمع ، فأفردت الصحف ومن بينها جريدة المدينة وعكاظ صفحة كاملة تعالج فيها ظاهرة المخدرات من جميع جوانبها الاجتماعية والنفسية والقانونية ، من منطلق ان متعاطى المخدرات « مريض » لا « مجرم » ·· ولقد نجحت الصحافة الى حد كبير بأن تثبت هذه المفاهيم لئلا يذهب البعض الى وضع تفاسير قد تسىء الى هذه المعالجة فيؤدى بها الى آثار عكسية لا يستفيد منها المريض ولا المجتمع ، ومن المواضيع الجريئة التى أصبحت تتطرق لها الصحافة السعودية مؤخراً من خلال التغطية الصحفية لشئون الجريمة جرائم الفضائح المالية والنصب ، حيث تساهم فى حماية المجتمع من عمليات النصب ، والاحتيال ·· وتسمى هذه الجرائم اصطلاحا بـ « الاجرام الخفى » والتى غالبا ما يصعب على رجال الشرطة التوصل اليها بينما يمكن للصحافة ان تكشف عن بعض جوانبها ، وفضح المجرمين ، وكشف القناع عنهم ومحاكمتهم على صفحات الصحف ، وبهذا تكون قد قدمت الصحافة خدمة للشرطة وللمجتمع ·

وباعتبار ان الصحافة مرآة عاكسة لواجهة المجتمع فهى بالتالى مسئولة عن كشف الحقائق بايجابياتها وسلبياتها ، بغض النظر عما تواجهه الصحافة من صعوبات جمة قد يترتب عليها من سئوليات النشر تجاه المسئوليات القانونية فى حالة التجاوز أو المساس بأمور قد تتعدى الموضوع نفسه وهذا بالتالى ما يجعل الصحافة حذرة بقدر الامكان من النشر ما لم تتوفر لديها معلومات صادقة ومصادر موثوق بها لأن التعامل فى مثل هذه المواضيع الحساسة يقتضى من الناشر التوثق من أية معلومة ينشرها والا تعرض للمخالفات القانونية كما أشرنا اليه آنفا ، فان النأى عن الاثارة الصحفية وما تكتنفه من غموض ورمزية لمجرد بسط الأضواء لاقتناص أكبر قاعدة ممكنة للقراء فى محاولة الكسب للتوزيع سيرفع قيمة المصداقية للصحافة وتصبح فى نظر القارىء صحافة محافظة ·· ومحل تقدير وثقة ·

ملخص القول ·· والخاتمة :

باعتبار ان الجريمة تنطلق من واقع اجتماعى سلبى لا يخلو أى مجتمع انسانى منها ، وبما ان الاعلام وجه آخر يستفيد منه المجتمع

كأحد مؤسساته الاجتماعية لا بد له ان يلعب دوراً مهما وايجابيا فى تقديم الخدمات الاعلامية التى تحمى المجتمع من أية ظاهرة سلبية يتعرض لها فان تكثيف الحملات الاعلامية العلمية المدروسة سيكون لها رد الصدى الفعلى فى الحد من ظاهرة الاجرام أو محاولة التقليل أو التخفيف من آثارها على المجتمع ولعلماء الجريمة وعلماء النفس والاجتماع والدين والاعلام أدوار فى هذه الحملات للتوعية والارشاد والترشيد وبهذا سوف لا يتوقف الأمر لمجرد مكافحة الجريمة فقط بل سيظهر الدور الاصلاحى لمساعدة المنحرفين ، والأخذ بيدهم الى الطريق السوى ٠

وبما أن الصحافة من أهم وسائل الاعلام تركيزاً على هذه الناحية باعتبارها مؤثرة وواسعة الانتشار أرجو ألا تضن علينا بأن تكثف من نشاطها ومجهوداتها فتعير هذا الجانب اهتماما كبيراً بفرد صفحة ضمن الصفحات المتخصصة لشئون الجريمة ـ حتى ولو كانت أسبوعيا ـ لنقرأ جميعا راى العلماء والمتخصصين لأى حدث جنائى حصلت عليه الصحيفة ٠

المحطة الأخيرة :

الذى يؤرخ للصحافة السعودية ، لا يغيب عنه أحد فرسانها ورموزها الأستاذ حسن عبد الحى قزاز الذى كان رئيسا لتحرير عرفات والبلاد السعودية ٠ لقد كان القزاز ـ ولا زال ـ له وجود وحضور ، في كل مرحلة من مراحل التطور الصحفى فى بلادنا ، فالى جانب كونه أحد الكتاب المرموسين للأعمدة الصحفية ، فهو فى الوقت ذاته صحفى حرفى بمعنى الكلمة للـ ٠٠ « صحافة » وذلك عن طريق احساسه الفنى لها ، فهو يجيد لغة الاعلام ٠٠ التى تميزه بـ « البساطة » و « التلقائية » ليكون قريبا من فهم شرائح المجتمع على اختلاف طبقاتها الثقافية ، فهو اذن يخاطب جمهوراً كبيراً وعريضاً من فئة القراء ، بأسلوبه وبفكره الابداعى عرضا ٠٠ وتحليلا ٠٠ واستنتاجا ، فقلمه دائما ينطلق بـ « **عفوية** » و « **انسيابية** » دون تكلف أو عناء أو تصنع فهو لا يحب المجاملات على حساب مصلحة الآخرين ٠٠ ساهم فى كثير من الأعمال الانسانية والاجتماعية من داخل الصحافة وخارجها ، فقلما يذكر اسم القزاز الا وتذكر أعماله الانسانية ٠٠ أتمنى أن يعود للصحافة مرة أخرى قائداً لها أو قبطانا لسفينتها لانه كان مالكا لها ومحترفا لبضع سنين من الزمن ، فاكتسب الخبرة الواسعة من هذه المهنة ، فهو أقرب الناس من رجال السياسة ورجل الشارع العام مفهوما ومضمونا وفكرا ،

وأرجو ألا تأخذه ـ الأعمال الحرة ـ عن معشوقته التى حـــرمت منه عاشقا ، غزلا ومعنى ٠٠ وفى الختام اننى فى انتظار عودته ليس كاتبا فقط ولكن رائدا ٠٠ فـ « مدرسته الصحفية » ٠٠ لازالت قائمة تنبض بـ « الحياة » و « الحيوية » و « النشاط » ٠٠ كما اننى فى انتظار الهدية الثمينة لمؤلفاته عن « الأمن » وعن « الصحـــافة » فى مشـوارة الطويل معها ٠

تحياتى لك يا ابو على ؟

المـــــراجع :

١ ـ محاضرة للكاتب القاها على طلبة قسم الاعلام بجامعة الملـــك عبد العزيز « مدخـل صحافة » ٠

٢ ـ د٠ فاروق أبو زيد : صحافة متخصصة ٠

الصحافة : بين القضية والنقد البناء ! (★)

اشاد الأستاذ نواف السبهان فى مقاله المنشور فى مجلة « اقرأ » فى عددها الصادر بتاريخ ١٤١٢/١/١٤ هـ ٠٠ بدور الصحافة السعودية فى خدمة القضايا الوطنية ، والتنمية الاجتماعية ٠٠ وأثنى على هـذا الدور من خلال المنهج الموضوعى الذى التزمت به الصحافة فى طريقة العرض والتحليل الذى تتناول فيه مناقشة القضايا المحلية ، التى تهم أكبر قاعدة من المواطنين والوطن بشكل عام ، وعزا ذلك الى ان حريـة الرأى ، والتعبير عن الفكر الذى ينأى عن المصالح الخاصة مكفول للصحافة ، وان للكاتب والقارىء مساحة كبيرة فى ان يعبر عن رأيـه وفكره بكل حرية ، واعتبر ان وجود هذا المناخ الصحى ظـاهرة ، ساعدت الى حد كبير بأن تؤدى الصحافة وظائفها بكل أمانة ، وصدق ، وموضوعية ٠

وانتقل بعد ذلك الى مقارنة وضع الصحافة وحريتها التى تتمتع بها فى هذه البلاد وبين الصحافة الأخرى التى تصدر فى ظل انظمـة مغلقة سلطوية Authoritaran لا تسخطيع أن تتحـدددث عن شكاوى المواطنين ، وتعرضها بكل حرية ٠٠ بل أيضا لا تتجرأ أن تكتب حتى عن « **الطقس** » ٠

وبعد ان خرج من هذه المقارنة ، ورجح كفة الحرية لصحافتنا ، وما تتمتع به من نظام مستنير ، وحضارى كفل لها التعبير عن الرأى والنقد الهادف الذى يرمى الى الاصلاح ، نراه يقف معنا فى صف واحد يطالب به ـ انطلاقا من هذه الواجهة الحضارية والمنـاخ الصحى ـ المسئولين فى الجهـات المختصة فى بعض الدوائر الحـكومية التى لهـا

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ٨٢٧ ـ ١٤١٢/٢/٢ والعدد ـ ٨٢٨ ـ ١٤١٢/٢/٥ هـ

ارتباط مباشر مع مصلحة المواطنين بان تتقبل أى نقد موضوعى يهدف الى الاصلاح العام على أن لا يواجه مثل هذا النقد بالسخط والغضب طالما يهدف بالدرجة الأولى الى البحث عن الأفضل والأحسن سواء فى مستويات الخدمة أو رفع درجة الكفاءة فى الكوادر البشرية ، أو فى مطالبة التغيير من النظم الادارية وتوسيع قاعدة المرونة فيها والقضاء على الروتين المطول واختصار الاجراءات الى أبعد الحدود ، مما يتمشى مع معطيات العصر الحديث ، والتقدم العلمى ، والتقنى والذى تسعى الدولة فى تطويره ، وفى تنميته بحيث يتعايش مع وضعنا الحضارى المتقدم ، والذى يجىء وفق التوجيهات الحكومية التى تمثلت فى ذلك القرار الصادر من مجلس الوزراء قبل بضعة أسابيع الذى دعا الى ضرورة الالتفات فى تطوير النظم الادارية فى المؤسسات الحكومية الخاصة التى لها ارتباط بمصالح المواطنين ٠

وفى اشارة واضحة تعرض الصديق نواف السبهان « ٠٠ الا ان **بعض المسئولين ، وبعض الادارات يغضب موظفوها اذا ما لامست الصحافة سلبيات وقصوراً ، او حتى عرض مجرد تساؤلات حول عملهم ٠٠ هذا أسلوب لا ينم عن روح المسئولية من الثقة فى النفس** » ، فالبعض على حد رأى الأستاذ نواف يعتبر تعرض الصحافة سواء عبر مقال نقدى لكاتب أو عرض لشكوى مواطن تدخلا فى شئون خاصة ، وتعرضا لقضايا يجب ان لا تبحث فى العلن ٠

واننى اتفق الى حد كبير فيما ذهب اليه الكاتب ان المناقشة على صفحات الصحف ليست عيباً يجب مداراته واخفاؤه ٠٠ كما أنه ليس اقلالا من عمل الآخرين ٠٠ بل يعتبر الى حد كبير نافذة اجتماعية مطلة على المجتمع الذى يملك القدرة على حركة التفاعل التى تحدث بينه وبين المؤسسات الاجتماعية الأخرى التى لها أدوار ، وروابط بمصالح المواطنين ٠٠ وهذا فى حد ذاته يثرى حركة النمو الاجتماعى ، ويجعلها أكثر قدرة على العطاء فى ظل معيار الروابط الاجتماعية التى تقوم على التواصل ، والترابط فيما بينها وبين أفراد المجتمع المفتوح الذى يواصل تقدمه الحضارى ، بكل جدية وحيوية ، وحرية وتقدم ، وهذا مما يساعد على رفع مستوى الانفتاح فى تقبل حركة النقد ، ومحاولة تلافى أو تلاشى وجود الاخطاء والعيوب التى تعيق سير تقدمها الحضارى ، وعن طريق هذا التفاعل الذى يحدث بين الجزء والكل ينشأ مانسميه بالاصلاح العام فى تنمية الهياكل التنظيمية واعادة ترتيب نظامها الادارى وفق البناء الحضارى الذى يعتمد على وجود الكوادر البشرية المؤهلة ،

وعلى النظام الحديث الذى يستوعب معطياتنا الحضارية المتقدمة التى تسعى دولتنا الحبيبة فى تنفيذها وتحقيقها ، اذ أن مراجعة الحسابات القديمة ، وتصويب اخطائها بما يتفق مع مصالحنا ، لا يعنى وجـــود عيب فيها ، ولكن ينبغي علينا ان ننظر اليها وفق التطلع الى النظريات الحديثة التى نرى فيها الصالح العام لمجتمعنا ٠

وكما يقول الصديق نواف ٠٠ « فنحن لا نعيش فى مجتمع ميت لا حـــركة فيـــه ٠٠ بل نعيش فى مجتمـــع غاية فى الديناميكية والتفـــاعل الكبير بين أطرافه » ٠

وفى رأيى ان الكاتب الذى يطرح على الرأى العام قضية أو فكرة معينة ذات توجه عام من خلال الصحافة أو غيرها من الوسائل الاعلامية الأخرى بشكل موضوعى ، ونقد هادف ، وبناء لا يمكن ان ينطلق من ذاتية ، وخصوصية مطلقة حتى اذا رأى البعض أنها قضـــية تتعلق بالكاتب وبعيدة عن اهتمام المجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ اذ أن معظـــم الطروحات التى تنشر فى الصحف والتى تهتم بالقضايا المحلية ، يلاحظ عليها النقد الهادف والبناء ، حتى ولو تناولت بعض المسئولين عـــن الادارات ، وينطلق الكاتب هنا من واقع أنه مواطن ، وانه يهمه مصلحة أخيه المواطن بوجـــه عـــام ٠

وهذا لا يعنى أن يقلل النقـــد الموجه لأى مســـئول من شأنه ، أو من قيمته كمسئول يؤدى عمله باخلاص فى خدمة الجهة التى يعمل بها ، وانه مقصر فى أداء الخدمات الجيدة لصاحب المصلحة ســـواء أكـــان المواطن أم غيره من الوافدين الذين يعيشون فى بلادنا ، والذين يتمتعون بنفس الخدمات التى يتمتع بها المواطن التى كفلتها لهم الدونة ٠٠ ولـــكن الأمور تأتى أبعد من ذلك بكثير اذ أن الكاتب يهدف من توجيـــه لفت نظـــر المسئول واحاطته علما بما يحدث فى ادارته من أخطاء وعيوب ينبغى ان يتلاشاها ، وقد لا يفطن اليها بحكم وجود السلم الوظيفى الذى لا يمكنه ان يطلع على كل كبيرة وصغيرة تحدث أثناء العمل ، وقد تكون هذه الأخطاء ناتجة عن سلوك شخصى لبعض الموظفين الذين يستهترون بمصالح الناس ويتخذون من « كارت الواسطة » أهمية كبرى فى تحقيق المصالح الذاتية التى قد تكون على حساب مصلحة الناس ٠٠ وأرجو اذا كان الكاتب يهدف من موضوعه خدمة المصلحة العـــامة بعد ان يتحقق المسئول منها أن يعيرها اهتمامه بشكل عام ،وخدمة الوطن بشكل خاص ٠٠ كما اننى أود هنا ان يزال ذلك المفهوم الخاطىء الذى أخذه بعض المسئولين وتحقيق الأغراض الشخصية والأضـــواء الاعلاميـــة

والاثارة فى طرح القضايا ضد بعض الجهات المسئولة والتى ليس لها وجود على الاطلاق ·· فانه من حـق المسئول الذى يكتشف ان الاتهـــام الموجه ضده ليس له أساس من الوجود والصحة ، وأن ينشر رده على هذا الاتهام فى نفس المكان الذى نشر فيه ، لأن نظام المطبوعات والطباعة في المملكة العربية السعودية ضمن له الحق في ذلك ، كما أنه يستطيع أيضا أن يطالب بالضرر الذى لحق به من جراء ذلك الاتهام الباطل · وأذكر ان مجلة اقرأ احدى الصحف التى اهتمت بهذا الموضوع ونشرت ردود المسئولين فى نفس المكان الذى كتب فيه النقد الموجه لجهازهم ، كما انها نشرت أيضا بعض المقالات التى امتدحت بعض المسئولين فى الدوائر الحكومية الذين استطاعوا ان يطوروا فى أساليب أداء الخدمات للمواطنين وتطوير النظم الادارية التى ساعدت الى حد كبير فى اختصار اجراء الروتين وتسهيل مهمات أصحاب المصالح ، والعمل على تعميـم الحاسب الآلى فى اداراتهم التى وفرت بالتالى مثل هذه الخدمات التى تضت على نظام الطوابير الذى يستغرق الساعات الطويلة ، وأصبـح صاحب المصلحة فى ظل هذا التطور وهذه التسهيـلات ينم بالراحـــة التامة ، وتنقضى مصلحته فى أقل من ساعتين ، وهو يجلس على كرسى مريح ويحمل الرقم الذى يأتى به دوره ليرى كل شىء تم انجازه ·

والشىء الذى نطالب به تلك الادارات لا يمكن بأية حال من الأحوال ان يخرج عن دائرة مسئولية الصحافة التى تعكس واقعية المجتمع ، ومعاناته بشكل عام ، كما ان الصحافة عليها ان تقوم بهذا الدور بكل أمانة واخلاص وان تراعى مصالح الجماهير ، وتقف الى جانب الحق فى انصاف المسئولين اذا تعرضوا لقضايا ملفقة أو شكاوى مغرضة ، وهذا بالتالى ما فرض عليها ان تكون ملتزمة فى التحرى لمصداقية النشر والوقوف منها موقف الحارس الأمين الذى يراعى المصلحة العامة بين جميع فئات المجتمع وبين كل المؤسسات الاجتماعية عامة ، وخاصة ·

وفى اعتقادى ان مثل هذا الالتزام جعل الصحافة أكثر حرصـــا وشدة فى مراجعة موادها العامة قبل النشر ويرجع ذلك الى اهميـــة التأكد من صحة الوقائع الصحفية التى ينبغى أن لا تتعرض الى فقدان المصداقية من جمهور المتلقين الذين يمثلون حجر الزاوية الذى ترتكـز عليه الصحافة فى مقوماتها العامة ونحن نتفق جميعا أن المناقشـة الجادة ذات الهدف البناء على صفحات الصحف ليست عيبا يجب مداراتـــه واخفاؤه ·· كما أنه ليس اقلالا من عمل الآخرين على رأى الأستــاذ نواف السبهان ·· بل يعتبر الى حد كبير ظاهرة صحية تفاعلية لها من

الايجابيات أكثر من السلبيات كما انها تقوم على اصلاح المجتمع بشكل عام بتجريده من العيوب والاخطاء ٠

وهذا لا يعنى أن الصحافة ركزت على النواحى السلبية فى الجهات الحكومية بل تناولت أيضا من خلالها أو كتابتها النواحى الايجابية ، وأشادت بها ومجدت مسئوليها ومن يسعون اليها من خلال الانجاز العظيم الذى يقدمونه من خدمات وغيرها لصالح المواطنين ٠

والخلاصة ٠ نحن نعيش فى مجتمع حضارى ومتفتح ٠٠ والتواصل فيه بين فئات المجتمع ومؤسساته العامة ، والخاصة شىء مهم وأساسى ، وضرورى والتفاعل بين هذه الفئات وتلك المؤسسات الاجتماعية ضرورة حياتية وحاجة ملحة وظاهرة صحية يجب ألا تغيب عن الوجود أذ أن التواصل - بحركة ديناميكية - يقارب بين الفكر والثقافة ويساعد على تحقيق التقدم الحضارى والانسانى وتضييق فجوة التباعد بين هذه الحركات التى يجب أن تعمل بطاقة قوية ، وحركة مستمرة ٠

ان محاولة عزل المجتمع عن مؤسساته الاجتماعية تساعد الى حد كبير فى توسيع هوة التأخر الحضارى وتنميط الحركات الاجتماعية بالتبعية الحضارية الوافدة اليه من مجتمعات أخرى لا تخدم مصالحه الوطنية بقدر انها تساعده على التأخر والسير فى ركابها الثقافى الذى يخدم أغراضها ومصالحها ٠٠ نحن نحتاج هنا الى تفاعل بين المؤسسات الاجتماعية الوطنية وبين المجتمع فى كافة فئاته ٠٠ اذ علينا ان نراعى مصالحنا الوطنية من خلال هذا التفاعل ٠٠ كما اننا نحتاج أن نتفاعل مع المجتمعات الأخرى بما يتفق مع مصالحنا ، وهذا يقتضى بالضرورة أن نتعامل بحذر مع هذا التفاعل الذى لا يكون على حساب قيمنا الوطنية، والحفاظ على تراثنا الحضارى ، وديننا العظيم ٠

ارجو ان لا نفقد الثقة بيننا وان نراعى المصلحة العامة قبل كل شىء وان يكون توجهنا وطنيا الى أبعد الحدود ، حتى ولو أدى ذلك الى تعرضنا الى النقد الشديد الذى فيه الصالح العام ونحن على ثقة أن ذلك لن يقلل من قيمتنا الوطنية أو الاجتماعية ٠

والله الهادى الى سواء السبيل ٠

صحافتنا فى كفتي الميزان (★)

الوشيجة التى تربطنى بالأستاذ / أمين عبد الله القرقورى مدير عام مؤسسة البلاد لم تقف عائقا أو حائلا فى تسليط الأضواء على اللفتة الكريمة التى قام بها فى تدعيم الاصدارين لهذه المؤسسة «البلاد» ومجلة « اقرأ » ولعل اهمها ذلك الدعم المالى السخى الذى وفره لهما فى تغطية النقص للاحتياجات فى القوى العاملة الفنية والتحريرية ·

وبعد أن أصبح للبلاد جهاز تحريرى ضخم ضم العديد من المحررين الأكفاء وقسم كامل للاخراج بالاضافة الى انضمام كوكبة من الشباب السعوديين المثقفين المؤهلين الذين يتولون الاشراف على الصفحات الثقافية والمحلية وغيرها ، لم يبق للبلاد الا انها تسعى وراء النجاح فى تقديم أهم الوجبات الصحفية الدسمة التى تشبع القارىء ، وترضى اهتماماته بوجه عام ·

فهذه المساعى اذا تحققت أو حتى على المدى البعيد ستجعل من الصحيفة احد العناوين البارزة بين الصحف الناجحة ، والتى أصبحت تتنافس فى الحصول على المقعد الأول بين الصفوف الأمامية ، هكذا يبدو لنا من خلال تطلعنا الى المحاولات التى تبذلها صحفنا فى التسابق الى الأفضلية فيما تقدمه من خدمات صحفية للقارىء الذى لا يرضى بالقليل ، ولا بالهزيل يبحث عن الكم النوعى فى التغطية الصحفية الاخبارية الفورية · وفى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، والعلمية · وهكذا دواليك ·

(★) اقرأ ــ العدد ٧٩٨٠ ــ الأربعاء ١٤١١/٦/١٧ هـ

وبما ان الدراسات العلميه لم تطبق بشكل منهجي على صحفنا في تحديد المقاييس ، والمعايير العلمية التي تحدد بها عوامل النجاح لكل صحيفة على حدة ، فانه من الظلم أن نطلق حكما ذاتيا لتلك المحددات بعيداً عن تلك الدراسات المنهجية ، والتي لم تطلبها المؤسسات الصحفية من الجهات العلمية ، ومن المعاهد المتخصصة فى هذه الدراسات ·

وهذا لا يعنى اننا نقلل من النشاط الذى يبذله القائمون على صحفنا في الارتقاء الى تحسين مستوى الخدمات الصحفية لخدمة المجتمع ، فهذا الجهد القائم على الذاتية يعطي مؤشراً أن شيئا ما يتطور، ويلوح فى الأفق ، حتى ولو أن هذا التطور أصبح جزئيا ونسبيا ، فانه ثمرة عمل مقبولة لانها تشكل اجتهادات ، ومحاولات نحو الأفضل والأحسن والحق يقال ان جريدة البلاد ومجلة اقرأ ، وغيرهما من صحفنا لم تتوقف عن التطوير ، وعن التحديث ، وانها تحاول جاهدة وفق امكاناتها أن تتقدم الى الأمام ، بالرغم من أنها مازالت تحتاج الى المزيد من الدعم المالى والاعلانى ، والى زيادة التوزيع ، والى وقوف القارىء الذى يشجع صحفه المحلية وان يراعي ظروفها ، وان لا يحكم على نجاحها أو فشلها فى ظل الامكانات غير المتاحة ·

وان نجاح الصحيفة يعود أساسا الى مقدار ما يقدمه القارىء من تشجيع مادى ، ومعنوى لها ، وان لا يكون قاسيا فى الحكم عليها اذا أخفقت مرة أو أخرى ، وان لا يتعجل نجاحها فى ضعف امكاناتها ، فى حين أنه لا يدرك حجم هذه الامكانات لانه بعيد عنها ، فان أى تراجع من القارىء لصحيفته تحت أية ظروف يكون سببا فى كثير من الأحيان نحو تأخرها ، وتراجعها فى عد تنازلى ، فلا ينبغى عندئذ فى القارىء أن يكون ضيق النفس ، وان ينفر من صحيفته التى تعود عليها كما انه لا يتوقع من أية صحيفة كانت أن تقدم له كل شىء دون أن يكون لها شىء يحفزها على هذا العطاء والذى يتطلب من القارىء أن يكون سخيا فى دعمه لها من خلال شرائها ، ومن خلال مشاركته لها عبر أية قنوات من الدعم الفكرى ، والثقافى ، وغيرهما ·· كما ان المؤسسات الاقتصادية، والتجارية ، وعلى القطاعات الخاصة ألا تبخل فى تدعيم الصحف من الاشتراكات ، والاعلانات التجارية حتى ولو على سبيل التضحية بادىء ذى بدء ، فان القليل من الصبر على الحجم المتواضع فى التوزيع لتلك الصحف التى تحتاج الى دعم سيقلل الى حد ما بصفة مؤقته الى محدودية الاعلان فى الانتشار الى أكبر عدد من المستهلكين لتلك السلعة المعلن عنها فى الصحف التى لم تكن واسعة الانتشار غير أن هذه المحدودية تتلاشى فيما بعد بفضل دعم المعلن الذى مكن لهذه

الصحيفة ان تكسر حاجز تقدم انتشارها بما قدمه من دعـــم مادى ، وسيحقق بعد ذلك نجاحاً اكبر مما كان يتوقعه فى الصحف الأخـــرى واسعة الانتشار

وخلاصة القول : ان القواسم المشتركة فى نجاح الصحف تقـوم اساسا علي تلك المعادلة الصعبة التى لأزلنا نبحث عن حلهـا فى تلك القوائم المشتركة التى تضم توفر الامكانات اللازمة ، والى القـارىء الواعى الذى ينظر الى الصحف بعين التقدير ، والعناية ويعتبرها من الأولويات التى يعيرها اهتماماته كاحدى الواجبات الوطنية التى تتمثل فى قدسية رسالتها التى تتوجه بها الى المجتمع ، وان يكون واقفـــا بجانبها فى السراء والضراء ، وان يدعمها ماديا ومعنويا ٠٠ اذ هى تراعى مثل هذا الموقف ، وراحت تطور ذاتها شكلا ، ومضمونا ، ومن توسيع دائرة انتشارها ، وحسبى أن أرى فيها ذلك التمثل ٠

وختاما أبعث بتقديرى واحترامى لهذا « الأمين » أمين عبد الله الذى يقف ، وبكل امكاناته ، وطاقاته الفكريـــة والمـادية ، ومواهبه الادارية التى صقلت بخبراته الواسعة فى تدعيم حركة التجديد التى تقوم بها جريدة البلاد ، ومجلة اقرأ ٠٠ كما اننى أشيد بالدور الناجح الذى يقوم به الزميلان الدكتور / عبد العزيز النهارى رئيس تحريـر جريدة البلاد ، والأستاذ / يحيى باجنيد رئيس تحرير مجلة اقرأ فى حركة التغيير التى تدعو الى التجديد لصحيفتيهما ٠

وكما لا يفوتنى أن أخص بالذكر معالى الشيخ محـــمد ابراهيم مسعود المشرف العام السابق للمؤسسة ، الذى احاطها برعايته التامة . وأعطاها الشىء الكثير من وقته بالرغم من مشاغله الكثيرة فى الدولة نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وأن يحقق للعاملين فى مؤسسة البلاد وفى كل المؤسسات الصحفية دوام التوفيق والنجاح فى كل ما يصبون اليه لخدمة هذه البلاد التى حباها الله بوجود الحرمين وجعلها قبلة المسلمين ، وسخر لها الحكام الراشدين الذين يرعون حرمتها ويصونون كرامتها ويطبقون شريعة الله فى حكمها ٠

الصحافة بين الركود والحركة (*)

لا أدرى لماذا توارى دور المساجلات الفكرية والأدبية من صحافتنا الثقافية ؟! ، وان وجدت فهى لا تشكل سوى كسور عشرية ، ولا تسجل سوى نسبة ضئيلة تظهر ، وتختفى تبعا لحركة « السوق الثقافية » التى يصاب احيانا بالكساد ، والتراجع فى ميزان مدفوعاتها الأدبية ، فتسعى بعض الصحف ان تحرك صفحاتها باللجوء الى تفجير احدى القضايا الأدبية أو الفكرية باستقطاب كوكبة من الرموز الأدبية والفكرية لتكون محوراً لهذه المسجلات الثقافية فبمجرد أن تنشط حركة الصفحات الثقافية ويستفيد منها جمهور عريض من القراء ، تعود مرة أخرى بتخفيف هذه الأضواء لتصبح خافتة ، ولقد لمعت جريدة الشرق الأوسط فى هذا المجال ، واخذت تعيرها جل اهتماما ، كما قامت بعض الصحف كجريدة عكاظ ، والمدينة ، والرياض ، والندوة ، وغيرها بيادرة جيدة من خلال ملاحقها أو صفحاتها الثقافية بفتح باب الحوار والمناقشة لمناظرات أدبية وثقافية « Lebate » ادت فى نهاية الأمر الى اثراء الحركة الفكرية واستفادت منها سجلات الصحافة لتكون مصدرا تاريخيا للباحثين الأكاديميين وغيرهم ليستفيدوا منها فى اطروحاتهم العلمية ، والمتأمل لهذه المناظرات وتلك الساجلات التى تبنتها بعض الصحف وحركتها يرى أن للصحافة دوراً مهما وفعالاً فى خلق المناخ الثقافى الذى يعتمد على المنظور العلمى من الناحية الفكرية ، والذى يقوم أساسا على منهجية علمية عرضا ، وتحليلاً واستنتاجا .

وهذا ما حاولت بعض الصحف أن تصل اليه من خلال الاستقطاب الفكرى الذى يحمل اختلاف المناهج العلمية متعددة الزوايا فى طريقة تناول النصوص الادبية والفكرية وطريقة معالجتها ، ومن هنا نرى ان الاستفادة اكبر حجما ، واوسع طولا افقيا وراسيا ، وما كنت اتمناه هو

(*) مجلة اقرأ - العدد « ٧٤٧ » - ١٤١٠/٥/٢٣ هـ .

ان يكون التواصل الفكرى فى طرح القضايا شكلا ومضمونا ديناميكيا ، ومستمراً بما يكون له من الفوائد التى تثرى الفكر وتنمى نضجه ، وتطلعاته لاستشراف آراء وأفكار مدعمة بالشواهد والدلائـل والوثائق العلمية التى من شأنها الارتقاء بسـلم المعرفـة لوصـول الى النتائج العلمية ، التى يستفاد منها على نطاق واسع فى مجال حركـة البحث العلمى والتطلعات اليه فى خدمة الانسانية ، والانسان الذى يعيش فى هذا المناخ ، وان كنت فى واقع الأمر أتمثل مثل هذه النوعيات مـن الدراسات والأبحاث فى العدد الأسبوعى من جريدة عكاظ والرياض ، وبعض الملاحق الأخرى فى بعض الصحف الا اننى أرى أن هنـاك تراجعـا لهذا النشاط باستثناء جريدة عكاظ والتى اعجبتنى فيها بعض القضايا كالترجمة والتأليف والنشر وغيرها ، والتى استقطب لها بعض المتحدثين، والذين هم أقرب الى التخصص فكانت التحليلات والآراء قريبة من الرأى العلمى الناضج ، ولعـل الاتجاه لدور فتح قضـايا الفكر والأدب والثقافة بوجه عام من خلال المناظرات والمساجلات وأى منهج آخر كما أسلفت آنفا سيكون الطرح فيها فكراً وعمقا واستنتاجا لا يتفرد من أحادية الفكر بل من خلال مجموعاته ، وفى نهاية الأمر ستكون المحصلة النهائيـة اثراء المعرفة من خلال تنشيط الحركة الفكرية ولفـائدة القراء وأتمنى مرة أخرى أن تكون هناك صحافة خدمة للفكر والثقـافة والأدب والفن الرفيع ، بالاضافة الى الوظائف الأخرى التى تصب كلها فى خدمـة الوطن والمجتمع كله ••

والله ولى التوفيق ..

التوازن بين المضمون والشكل ..
وجهان لعملة واحدة (★)

أخذت أتأمل فلسفة الأديب العالمى « أرنست همينجـواي » الذى يقول : استعمل الجمـل القصيرة ، استعمل الفقرات القصيرة .

أكتب بلغة قوية .. بكتابة سلسة ، كن ايجابيا لا سلبيا .

ثم ادرت أن أقف على كل عبـــارة قالها هذا الفيلسوف عن واقعنــا العربى الذى يتمثل ، فيما نكتبه من مواضيع ثقافية وعلمية ، وفكرية ، وسياسية ، وأفتش على أرضية الواقع عن وجود مثل هذه المكونات أو تلك المقومات التى أراد لها ذلك الفيلسوف أن تكون معيارا حقيقيا أو مقياسا علميا لأولئك الذين يتعـــاملون مـع حرفة الكتــــابة أيا كانت نوعيتها .. والذين يتعاملون مع الكلمة أو الحرف قد يصعب عليهم الجمع بين تلك المقاييس أو تلك المعايير . وقد يتوفر لبعضهم الجـــزء الأكبر منها .. وفى رأيى أن الفيلسوف « ارنست » قد بالغ الى حـد كبير فى وضع فلسفته لهذه المقاييس أو لتلك المعايير ليلبسها ثوب المثالية Idealism فى شكلها ومضمونها فمهما بلغت ثقافة المفكر (Intellectual) أو الكاتب أو حتى المبـدع Creative فانه لا يستطيع أن يصــل الى درجة الكمال فى صياغته الفكرية مضمونا ، ولغة ومعنى وشكلا الى درجة تجعله قادرا على صياغة « القالب الفنى » للكتابة فى خلق معادلـــة متكاملة ، أى انها متوازية الاطلاع والرؤيا فى شكلها الهندسى .. « نظرية هندسية » فوجود هذا القاسم المشترك « فى علم الرياضيات » بين الفكر الذى يحمل الجمل القصيرة والفقرات القصيرة ، واللغـــة القوية والكتابة السلسة والايجابية المطلقة يكون أمرا صعبا ، ويستحيل

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ « ٨٧٠ » ـ ١٤١٣/١/٩ هـ .

تحقيقه ويصبح ضربا من ضروب الخيال واللا معقول وحتى « ارنست » لا يملك هذه الموهبة التى يجمع بها كل العناصر التى يطالب بها • ولقد وقع هو ذاته فى كثير من الاسقاطات الفكرية ، واللغوية التى تبتعـــد عن الواقع ، وعن الموضوعية وان كانت فى عالم الخيال شـــكلا فنيا ، فالذين قرءوا له يعرفون ذلك جيداً والأدلة مثتتة فى مؤلفاته الفكريــة والأدبية ، لقد نجح هذا الفيلسوف فى أن يجعل الكتابة « تكنيك » أو تقنينا فى اللغة والمضمون وعلى كل حال نحن نتفق مع هذا الفيلسوف العالمى ان الكتابة أصبحت موهبة وفنا، وعلما وذوقا رفيعا ومهارة تعتر عن قدرة فكرية مكتسبة وموروثة ، وأصبح هذا الفن فى علم الكتابة يدرس فى المدارس الثانوية ، وللجامعات ، وغيرها من المراحل التعليمية المنتظمة•• كما يكون ذلك لفن القراءة الذى أصبح هو الآخر علما يدرس فى كل المراحل التعليمية فى الدول المتقدمة ، وفى الدول النامية ، ويبقى فى نهاية الأمر ان خير الكلام ما قل ودل •• واننى أعجب كثيراً ببعض الأعمدة الصحفية ، والثقافية والاجتماعية والفكرية التى تلتزم وتراعى القواعد الأساسية للكتابة وفنونها، والفكرة وقواعدها، وعلومها وتحاول بقدر الامكان ان توازن بين البناء الفنى والمضمون ، والذين يستطيعون أن يحققوا هذه القدرات ويوازنوا بينها فى هذه العلاقة لتكون وجهين لعملة واحدة فى واقع الأمر كله ، بل ندرة •• فى عالمنا العربى •• ولكن بالموضوعية لا تخلو الساحة من بعضهم ••

أسأل الله تعـــالى التوفيق للجميع • ،،

معادلة التوازن الصحفى بين الادارة والتحرير (★)

— رؤساء التحرير يركزون على الناحية المادية

— الانفاق غير المرشد لا يؤدى الى تقدم الصحيفة

الادارة والتحرير فى المؤسسات الصحفية يمثلان أهم معادلة فى نجاح أية مؤسسة ، لأنهما وجهان لعملة واحدة ، فاذا وجد التعاون بينهما ارتفع مستوى الاصدارات الصحفية شكلا ومادة ٠

وبالرغم مما يشاع أن هناك بعض أشكاليات قائمة بين هذين الجهازين فيما يتعلق بالمصروفات وغيرها ، اذ نجد أن جهاز التحرير يطالب بالصرف على نفقاته كمكافآت الكتاب ، وحوافز المحررين ، وتكاليف السفريات للمهمات التحريرية ، وخلافها ، تتدخل الادارة بترشيد هذه النفقات ، بحيث انها لا تتعارض مع الامكانات المالية المتاحة للمؤسسة ٠

ومن خلال هذه المداخلات تنشأ الخلافات ، ويحدث الصراع بين هذين القطبين نتيجة الاصرار على أحقية الرأى فى اتخاذ القرارات المالية السليمة من واقع ما هو قائم ، بغض النظر عما يحدث فى المستقبل من اهتزاز فى وضع المؤسسات المالية ، والتحريرية ، ومهما يكن الأمر فى صحة هذا الوضع أو خلافه ، فان ثمة أموراً تفرض نفسها فى مثل هذه الأوضاع لتكون الفيصل النهائى فى اتخاذ القرار وفق جدولها الاقتصادى الذى يحفظ للمؤسسة بقاءها بشكل دائم ٠

(★) مجلة اقرأ — العدد — « ٧٥٨ » — ١٤١٠/٨/١١ هـ ٠

ولا أعتقد ان تقدم الصحيفة مادة وشكلا يتوقف على الانفاق غير الرشيد بلا حساب ، بل ان هناك عدة عوامل تساعد على نجاح الصحيفة وتقدمها ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، فان العلاقات العامة التى تقوم بين رئيس التحرير وبين المؤسسات الثقافية والتعليمية ، والحكومية، والاقتصادية والدينية وقطاع عام الكتاب وغيرها من المصـادر الأخرى تشكل أهم عامل من عوامل نجاح اصدارات النشر ٠

وهذا لا يعنى أن الانفاق المالى على الصحيفة لا يشكل أهمية بل له دور كبير فى هذا النجاح ، ولكن بشكل مرشد ومعقول ، وبلا افراط، ولا تفريط ، ولا ضرر ولا ضرار ٠ وهنا مربط الفرس الذى يشكل الخلاف بين الادارة والتحرير ٠

ولأن بعض رؤساء التحرير يركزون الأهمية فقط على الناحيـة المالية وتعلقها بما يحدث من عد تنازلى لصحفهم دون الأخذ فى الاعتبار بعوامل أخرى سلف ذكرها ، والتى تشكل عناصر النجاح وتقددمه ، وأنا أعرف قبل غيرى نماذج من بعض رؤساء التحرير ونوابهم بمـا حققوت من علاقات عامة من خارج المؤسسة ، وبذل الجهد من الضحيات فى الوقوف على اصداراتهم والاهتمام بها دون حسـاب للوقت أو الدوام ٠

ولا أذهب بعيداً اذ قلت ان بعض رؤساء التحرير فى غالب الأحيان يقومون بطبخ المواد الصحفية ووضع العناوين لها والاشراف التـام على كل ما ينشر للتأكد من صحة الصياغة الخبرية وغيرها من الفنون الصحفية ، ولأن احساسهم بتحمل هذه المسئولية ، وخبرتهم الواسعة فيها هى التى حققت النجاح لصحيفتهم ، وبالتالى أظهرت منهم صحفيين متميزين ذاع صيتهم وشهرتهم ٠

فلهذا ، لا نرى أن مقاييس ومعايير النجاح تتـوقف على الصرف بسخاء على الصحف دون مراعاة للوضع العام للسياسة الاقتصاديـة للمؤسسة ككل ، فلو أصبح الأمر متسيبا الى أبعد الحدود من حيث الانفاق العام على الصحف دون وعى وترشيد للمصروفات لتعرضت المؤسسات لوصد أبوابها ، وأشهرت افلاسها ، وهذا ما تتخوفه الادارة وتحرص على عدم حصوله تفاديا من الانهيار الذى لا يحقق الأهداف العامة لطموحات النجاح المادى الذى تسـعى اليه القمـة الهرميـة الادارية ، وفى الوقت نفسه تستبعد ان تكون مصلحة القمة الهرميـة التحرير بأن يحدث مثل هذا الانهيار أو ذلك العجز فى موازنة المؤسسات

الصحفية العامة ، وهذا لا يعنى فى الوقت نفسه بأن تكون دعوتنـــا الترشيد هى دعوة الى التقتير فى الصرف على جهاز التحرير ، ولكنها دعوة الى التوازن فى وسطية معقولة تتيح للتحرير عوامل الجـــذب للكتاب والمتخصصين والفنيين بكل فئاتهم ، كما لا تسحب فى الوقت ذاته حق الرقابة الرشيدة ، للادارة من وجهة نظر التوازن الاقتصادى المعقول ، مما يضفى على الواجهة العامة للمؤسسة حق قدرتها عـلى العطاء والتقدم فى كافة المجالات الصحفية والادارية ، ومما يساعدها على التغلب على مصاعبها واتخاذ القرارات السليمة التى تحفظ لها حق هذه الموازنة بين قوة الدخل وسلامة الانفاق وترشيد المصروفات ، أما فيما يتعلق بالوضع الانتاجى العام للمادة الصحفية وخدماتها ، فان ذلك الأمر يحتاج الى تغذية الانتاج بحيث يخضع لقانون العرض والطلب وفوق ما تحتاجه السوق العامة ، وما يخضع فى كثير من الأحيان لتقلبات هذا السوق الذى يتعرض بين المد والجزر فى سيولته والكفاف فى بعض الأحيان ، فان حالة الترغيب لاستهلاك هذه المادة تحتاج الى قناعة عامة من القارىء الذى يتذوق هذه السلعة ويرضى عنها لأنهـا توفر له غذاءه العام من حيث المعلومات والثقافة العامة ، ونحن الآن لسنا بصدد الحديث العام عن وظائف الصحافة واستخداماتها العامة ، فلها مكان آخر ، ولكننى أتعرض بشكل عام بين علاقة قائمة بين جهاز التحرير والادارة ونقطة الخلاف بينهما ، ونخلص فى نهاية الأمر الى ضرورة ايجاد حلول تضمن الوفاق الدائم الذى ينبغى أن ينشأ بين أهم جهازين يرتبط بينهما مستقبل صحافتنا ، وكم بودى أن يحدث هـــذا الوفاق فى جو الوئام وان تنشأ العلاقة على أساس توازنى متين وان تكون هناك توجهات عامة لرسم سياسة هذه الأبعاد وفق ما تقتضيه المصلحة العامة ، وان يكون جو التفاهم قائما على دراسة البعد العام لكل الحالات ، وان لا تكون النظرة للأجور من باب العاطفة والاختلاف الشخصى ، بل يحكمها العقل الذى يفكر فى بواطن الأمور وخوارجها ، ولا يترك للحقد ولا للتعاطف مجـــالا فى اتخـــاذ القرار بين الادارة والتحرير ، وان تعالج كل قضية خلاف بينهما بحكمة وبضوابط نفسية تراعى فيها المصلحة العامة فحب التناهى شطط وخير الأمور الوسط ، ولا أعتقد أن المسئولين فى الصحف من ادارة وتحرير تغيب عنهم هــذه النظرة بل هم أكثر وعيا بخلفيتها بحكم الممارسة الفعلية ، والذى أريد أن أقوله لهذين القطبين هو أن لا يكون احدهما يابسا فيكسر ، ولا لينا فيعصر ، وخير الأمور الوسط .

وانني هنا لا أقدم مواعظ ارشادية ، ولكنني أقدم خلاصة دراسة لمشكلة من واقع تجارب العمل الصحفى بالممارسة من جهة ، ومن واقع الدراسة المنهجية من جهة اخرى ، واسأل الله تعالى ان يوفق الجميع لما فيه خدمة المصلحة العامة ٠٠

صحافة الاثارة

بين التهويل ٠٠ والتضخيم وأخلاقيات المهنة (★)

لقد أصبح القارىء العادى والبسيط يعانى من مأساة كبرى من كثرة ما يعرض عليه من مواد صحفية موجهة وهابطة من بعض الصحف الأجنبية والعربية ، التى سخرت جهازها ووظفته فى سبيل تقديم بعض القصص الاخبارية ذات الطابع الغرائزى من جرائم جنسية وغيرها ، والتى غالبا ما تكون أقرب الى « التهويل » والتضخيم من الخبرية الحقيقية وذلك من أجل السيطرة على شعور القارىء واثارته ، ومن ثم لرفع مستوى التوزيع على اعتبار ان الوسيلة الرخيصة قد ترفع ثمن البضاعة الهزيلة بالترويج والاغراء ٠

ومثل هذه الصحف معروفة فى أمريكا وأوروبا وغالبا ما يطلق عليها « الصحف الصفراء » أو « صحف الرعاع والدهماء » وان كانت بعض الصحف العربية تحاول الى حد ما أن تفرض سياجا مفتعلا على القصص الاخبارية الصحفية لتحولها فى مصنعها الداخلى من حبة صغيرة الى حبة وهمية كبيرة ، وذلك فى غطاء من الوهم الذى يزيف الحقيقة ويلبسها ثوب الحق بالباطل ، لمزجها بين سمو العادات والتقاليد الاجتماعية المحلية التى تتغلف بها الرواية الخبرية الصحفية ، وبين بشاعة ذلك الانتقال الخبرى المثير الذى يثير الغرائز ٠٠ ولا يستأهل من القارىء العاقل سوى الاشمئزاز والاحتقار ، وهذا يجعل الصحافة الهابطة أو المضللة سببا فى أحداث فجوات فى المجتمع بين عقلائه وبين بسطائه الذين تستغل سذاجتهم من أجل الشهرة الصحفية الزائفة والكسب المادى السريع ، وهذا عمل يتنافى مع اخلاقيات مهنة الصحافة

(★) مجلة اقرأ ـ العدد « ٧٦٥ » ـ ١٤١٠/١٠/١٥ هـ ـ ٣١ ٠

وبرسالتها الانسانية السامية النبيلة ، ويجعل المتخصـــص علميا فى الصحافة يشعر بحرج شديد وهو يرى من يتعامل مع أمثال هذه الصحافة مع تلاميذه وطلابه الذين يريد لهم الخير علميا وسلوكيا ، وان كانت صحافتنا ولله الحمد خارج اطار أو حــدود هذه الصحافة الهابطة ، بل تربأ برسالتها ان تخوض فى مثل هذه التوافه من القصص الاخباريـة الهابطة بحكم أنها تصدر من مجتمع اسلامى ملتزم بتعاليمه الاسلامية السامية ، وبالرغم من أن بعض الصحف العربية تتحايل فى صياغـة القصص الاخبارية الصحفية الهابطة لتجعل منها رموزاً مغلفة كـــل ما فيها يستشف منه التلاعب فانها لا تعدو أن تكون مكشوفة للقارىء العربى الواعى الذى يدرك مجريات الأمور ومعطياتها ، وان مسألـة قبوله أو رفضه لها ذلك شىء يرجع الى القارىء ذاته الذى يخير بين ، الغث والسمين ، والردىء والجيد ، فاذا بحثنا من بعيد أو قريب عـن الدوافع التى أدت ببعض الصحف أن تنهج هذا المنهج فى أسلوب العرض الرخيص لوجدنا ان ذلك يرجع الى عدة عوامل من أهمها الارتفـــاع بزيادة التوزيع وفى الوقت نفسه الترويج لهذه البضاعة الصحفيـة الهابطة لتصبح نمطا استهلاكيا يقدم عليه القطاع العام من القراء ، وبالذات شريحة الشباب المراهق ، والشبيان المتصابين وهذا ما يطلق عليه المتخصصون اسم التضليل الاعلامى « Manipulation » .

وهنا يبرز السؤال الخطير الحاسم : « من يتحمل مسئولية تضليل الرأى العام وانحرافه ، وبخاصة عند الجيل الصـــاعد من الشباب ذكوراً واناثا ؟ » أليست هذه القصص الاخبارية الصحفية المثيرة التى تخاطب الحس والغـرائز هى المسئولة عن الاستخفـــاف والتـــلاعب بالشعور ؟! تلك مسئولية وواجب وطنى يحتم علينا التنبيه به اعلاميـا ثم بالتالى الكشف عن تلك الألاعيب والطرق الملتوية فى احتواء عقول الشباب بتنميط ثقافته الى تبعية منحرفة وهابطة ومتدنية الى أبعـــد الحدود ، ناهيك عن المسئوليات الدينية والأخلاقية التى يجب أن تلتزم بها الصحف عامة وفى بلادنا على وجه الخصوص ، التى تتجـــه اليها أفئدة المسلمين فى أنحاء المعمورة فان جاز تسخير اثارة الغرائـــز للترويج الصحفى فى مجتمعات لا تعترف بالقيم الدينية والأخلاقيـــة وتوجهاتها فكيف يجوز ذلك فى مجتمع تحكمه شريعة الله ، ودينه القويم « ان الدين عند الله الاسلام » ·· وان كنت استثنى من ذلك صحفنا الا فى حالات استثنائية لا تصل الى درجة مخاطبة الحس والغرائـز ولكنها تقرب الى « التهويل والتضخيم » فى بعض الحالات التى تنقلها عن بعض الصحف الأجنبية والعربية من قصص وأخبار وروايـــات

صحفية مشكوك فى صحتها وفى مصداقيتها ، فكان بالاحرى على صحفنا أن تتحرى الدقة والمصداقية فى كل ما تنشره منقولا عن صحف اجنبية مشكوك فى أمرها ومشبوهة فى اتجاهاتها الدينية والأخلاقية ، وبما أن صحفنا تستمد سياستها من سياسة اعلامنا الملتزم اسلاميا فذلك ما يدعوها ان تكون أشد حرصا والتزاما فى اختيار المادة الصحفية التى تتوافق مع تعاليم الشريعة الاسلامية ، وسياسة المملكة بوجه عام ، سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى ومن خلال استعراضى لهذه الناحية ومشروعية التذكير بما يحيط بنا من مخاطر بين صحيفة نخشى أن نتأثر بها اعلاميا تحت مظلة التطوير الصحفى الذى يدعو للاثارة الصحفية على حساب الارتقاء بالتوزيع أذكر صحفنا بأنها تراعى حقوق الالتزام تجاه الشريعة الاسلامية وتجاه المجتمع ·· الملتزم دينيا وأدبيا وأخلاقيا ، والذى تصدر منه ، وبأن تنأى عن كل ما يؤذيه ويفسد ذوقه العام ، كما اننى أذكر وأتذكر قول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون » البقرة ٤١ ، ٤٢ ·

ويغض النظر عن المغريات التى تستهدف جذب القارىء جذبا لا يتعفف فيه الجاذب للصحيفة الصفراء أو الصحف الهابطة عن ضرب هذا القارىء فى أخلاقه ، وفى عقيدته وكل القيم من أجل الوصول الى الكسب المادى والمالى ، اما بطريقة مباشرة من خلال التوزيع أو بطريقة غير مباشرة من خلال تكوين قاعدة عريقة من المستهلكين لـ « المغريات الصحفية » أمام المعلنين الذين تغريهم ·· بلا شك هذه الجاذبية وبخاصة اذ طغت روح التجارة وحب الكسب على روح القيم فى نفوسهم ، اذا كانوا معلنين من الخارج لا يهمهم مدى ما يصل اليه المستهلك من هبوط مادامت السلعة التى يروجون لها فى الصحيفة الهابطة تحظى بكثافة من المستهلكين ، ومن قراء يزيد من عددهم وكثرتهم تدنى مستوى الوعى عندهم من خلال الاسراف فى التضليل الصحفى بـ « المغريات الزائفة » ، ما دام ذلك يجعل القارىء مستهلكا ومتقبلا بدون وعى للبضاعة الصحفية البراقة التى خطفته وجذبته ، ولا يسأل عن محتواها وكأنه مجرد هيكل انسانى لا يعى شيئا بعد أن سلبت ارادته وتفكيره وأصبح لا يميز بين الجيد والردىء ، ولذلك يجب أن نحرص ونحذر فى التعامل مع هذه الصحف التى يمكن أن نطلق عليها مسمى يمكن ان يبلور فى مفهوم مصطلح علمى يحدد حجمها ، ونوعيتها ونضعها فى المكان الذى تستحقه ، وهو الصحافة

الهابطة الذى نجعله مصطلحا علميا عربيا يقابل فى مدلولـــه العام ، ومعناه العلمى الدقيق المصطلح الغربى المعروف فى أمريكـــا باسم « الصحف الصفراء » أو فى أوروبا باسم « صحف الرعاع والدهماء » كما أشرنا فى صدر مقالنا هذا ، ويمكن القول ان الصحافة الأمريكية كانت القدوة السيئة للصحافة العالمية فى هذا الميدان الشائك ، فبتأثيرها سارت الصحافة فى كثير من بلاد العــالم فى هــذا الطــريق المحفوف بالاخطار ، فالصحافة الأمريكية تعتبر أخصب حقل فى العــالم لأخبــار الجريمة والجنس ، حيث ينظر أصحابها ورؤساء تحريرها الى هــذه الألوان من الاخبار نظرة تجارية بحتة ، ولهذا يتكالبون على نشر الأخبار المثيرة ويجعلون منها مادة للصفحة الأولى من الجريدة ، ويكتبون لها العناوين الضخمة الملونة لتسترعى انتباه المشترين ، ويكفينا قــول أحد كبار ناشرى أمثال هذه الصحف فى أمريكا والذى يقول : « الفضيلـة لا تحوى غير العادى من الأمور ، أما الرذيلة فتحوى كل المادة التى تستهويها الصحافة » ٠

لقد أحسنت صنعا وزارة الاعلام حينما سوقتـا الثقـــافية من أمثال هذه المجلات والصحف العارية التى استهانت بمعاييرنا الاجتماعية والأخلاقية ، والتى لم تراع حرمتنا الدينية والوقوف عندها ، ومع اننى لا اخشى على مجتمعنا من التأثر والانحراف من تلك الصحف عـــامة وان هناك فكرا ناجحا وعادات وتقاليد ترقى الى سمو الأخلاق والفضيلة وتنبذ الرذيلة وتراعى حقوق الاسلام فى تعاليمه ، ولكن الشيء الذى استرعى الانتباه اليه والذى لا أريد لصحفنا ان تنغمس فيه تلك التقليعات أو تلك الصرخات من الاثارة الصحفية المفتعلة تحت مســمى المثير أو « المنبه » الذى يأخذ شكل الشائعة تحت مؤثر العناوين المبهرة المحيرة التى تصاغ بفنية الهرم المقلوب ، لشد الانتباه والجذب لقراءة القصص الاخبارية الخيالية التى تتعلق أحيانا بالشعوذة وثانيا بـ « الفبركة » وثالثا بأخبار كاذبة كأحد الأقوال عن موت فنان أو فنانة مشهورة . فان مثل هذه الأمور ، ستجعل القارئ الذى يكتشف الحقيقة ينفر من تلك الصحيفة ولا يعيرها اهتمامه ويشكك فى مصداقيتها ويشهر بها ، فاننى اربأ بهذه الصحف عن مثل هذه التوافه من الأمور التى لا تخدم الصحيفة بقدر ما تضر بها ، واذا سلمنا جدلا أن السعى وراء افراز هذه « المثيرات أو تلك المنبهات » أخطر حـــدة من الاثارة التى تمس المشاعر والغرائز الحسية كالجنس مثلا ، الا أن عملها غير مرغوب فيه اجتماعيا أو أخلاقيا أو حتى دينيا ، وحتى ولو أدى الأمر الى ارتفاع نسبة التوزيع أو ارتفاع كمية الاعلان التجارى الذى يجرى وراء ترويج

السلعة فان تحقيق هذا النجاح ــ اذا جاز لنا أن نعتبره نجاحا ــ يعتبر نسبيا ومؤقتا يدركه علماء الصحافة وغيرهم من عامة المثقفين ، ويأتى تيما بعد عد تنازلى فى نسبة التوزيع ، وكمية الاعلان لذلك الاعتبارات التى أشرت اليها آنفا ، وأهمها فقدان الثقة والمصداقية بين القارىء وصحيفته التى تلجأ الى مثل ذلك « الأسلوب » غير المستشاع بكـــل المعايير الأخلاقية والاجتماعية ، وبعد ذلك تتعـــرض الصحيفـــة الى « فيروس الصحافة » الذى يجهز عليها الى آخر رمق فى حيـــاتها ، وحسبى ان لا يأتى ذلك اليوم الذى نجد فيه صحافتنا تحتضر وتغــــرق فى الطوفان المادى بل نرجو لها أن تستفيد من كل مقومات ونجاح العمل الملتزم ، والذى وفرته لها الدولة من معرفة و « حرية » ونجاح فى سياسة مستقرة واقتصاد مزدهر وحضارة تنعم بكل تقـدم فى كافـــة المجالات .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » الآية .
نسأل الله التوفيق للجميع . ،،

الملاحق اليومية والعدد الاسبوعى
ومجلة للأطفـال (★)

★ المدخـــل :

هذا عنوان « شبه تقنى » لموضوعات سوف أناقشها بـ « اذن الله» ـ تتصل اتصالا مباشراً ووثيقا بـ « الصحافة » واركانها للتفاعل انتاجا ، وتلقيا أخذاً وعطاء وتفسيره كـ « التالى » :

م = منتج + م = مستهلك ·· الطرفان يساوى مجموعهما
ق = قارىء

★ بعيداً عن تقديم نتائج الدراسات العلمية والابحاث الاكاديمية التى تناولت الصحافة ، وملاحقها المتخصصة اليومية ، وعددهـــا الأسبوعى ، وما تعكسه هذه النتائج من خيبة أمل لدى بعض العاملين فى الصحف الذين يظنون أن مثل هذه الملاحق تحقق لهم المزيد من الدعم المادى والفكرى لصحفهم اليومية ·

★ فاننى فى واقع الأمر لست ضد هذه الملاحق ولكننى ضـــد الاكثـار منهـا بالكم على حســاب النوعية ، وقـد تلجـأ بعض الصـحف محدودة الانتشار الى اصدار مثل هذه الملاحق على شكل تجـــارى لتغطية العجز فى مواردها المالية والى جذب بعض القراء الذين يهتمون بمثل هذه الاصدارات التى غالبا ما تكون دسمة فى خدماتها التجارية أو غير التجارية ، وقد تدعو الحاجة اليها فى تغطية مناسبات وطنية أو غيرها لتكون فى خدمة الجماهير العامة ، فصدورها بلا شـك يحقـق

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ « ٨٤٦ » ـ ١٤١٢/٦/٢٠ هـ ·

انجازاً عظيماً فى تسليط الأضواء على أهم الجوانب الحضارية التى تعيشها بلادنا سواء فى مجال الصناعة أو التجارة أو التعليم أو غيره من الأنشطة الانسانية الأخرى ، وفى هـذه الحـالة يسـاهم المعلن فى صدور هـذه الملاحق ليحقق ترويجا لسلعته التجارية ، بالاضـافة الى مساهمته فى تدعيم الحركة الوطنية الحضارية لبلاده .

★ وتنقسم الملاحق المتخصصة فى الصحف اليومية الى تجارية والأخرى تخصصية ترتبط بالنشـاط الفكرى الانسـانى الذى يتعلق بالقضايا الفكرية ، وما يرتبط بها من خدمات اعلامية موجهة لفئـات متخصصة لها اهتمامات كبرى بهذه الملاحق المهنية المتخصصة ، وغيـر المهنية التى تبسط لها المادة المتخصصة ، وتقربها الى فهمها الثقافى الذى يستفيد منه القارىء العادى .

★ ويبقى أن هناك بعض المتخصصين فى الصحافة المتخصصة يعارضـون فكرة هذه الاصـدارات من الملاحق لأن لتلك المهن مجـلات متخصصة ، وصحفـا متخصصـة وأصبح أيضا هنـاك صحـافة تخصص التخصص .

★ والخشية من هذه الملاحق اليومية التى ترفق بالصحـف اليومية انها تخفق فى أداء وظائفها بشكل علمى ، وبشكل يكفل لها ان تخاطب فئة القراء المهنيين الذين يتابعون هذه الاصدارات من الملاحق المتخصصة ، وقد يأتى المحتوى أو المضمون فى المادة العلمية أو الثقافية ليس بالصورة التى ينظر اليها أولئك الدارسون أو الباحثون للصحافة المتخصصة ، وكما يلاحظ من المواد المتخصصة لهذه الملاحق انهـا تبتعد كثيراً عن التخصص ، حتى وان اقتربت منه فهى أبعد أن تكون مادة ترضى ذلك المتخصص الذى يريد أن يقرأ أبحاثا ودراسات علمية يستفيد منها بالاضافة الى المادة الثقافية الأخرى ، وهذا ما توفره له فى الملاحق المتخصصة ، ولا ينبغى أن ننفى وجوده فى مضمون هذه الاصـدارات .

★ فكلما حاول المشرفون على هذه الملاحـق المتخصصـة ان يترفعوا بمستواها العلمى لتثرى حركة الفكر المتخصص تتحول مثل هذه الاصدارات الى صحف متخصصة تؤثر الى حد كبير فى سحب البساط من تحت الصحيفة الأم التى لها من الصفحات اليومية المتخصصـة ، ولم يتوقف هذا التفريغ على التخصص من باب الصفحات اليومية الى هذا الحد ، بل أن هناك بعض الملاحق الأسبوعية التى استطاعت أن تحقق تقـدما فى الخـدمات الصحفية أكثر من الصحيفة الأم التى قـدمت كل

امكاناتها المادية والبشرية الى هذه الملاحق فان مثل هذا الحشد من الامكانات ، والفرد للصفحات المتخصصة للأسبوع تؤدى بالتالى الى تراجع الصحفة وتقهقرها أمام الملحق الأسبوعى ، وكم نتمنى ان نستفيد من هذه الامكانات من الصرف المادى والكفاءة البشرية المؤهلة صحفيا فى اصدار مجلة للأطفال خصوصا وان هذه التجربة من الاصدار الناجح قد مرت بها جريدة « عكاظ » قبل أعوام حينما أصدرت مجلة للأطفال تحت مسمى « حسن » وكان يشرف على تحريرها الزميل يعقوب يونس الذى يتمتع بكفاءة جيدة ، وبخبرة واسعة فى هذا المجال والدعوة اليه أقرب من حبل الوريد والاستجابة رهن الطلب ، ولا أظن انه يعارض هذه الفكرة وقبولها وهو الذى أحب الطفل وخاطب عقله ووجدانه ، ويعرف أكثر من غيره كيف ينمى هذه العقلية ، ويصقلها بالمعلومات المفيدة ويدربها على المهارة الجيدة من منطلق الموهبة التى تتفق أمامه ••

وأحسب أننى أمام هذا الرجل المتخصص فى صحافة الطفل الذى مر بتجربة ناجحة من ذى قبل يفرض علينا اليوم أن نفكر فى اصدار مجلة للطفل من داخل هذه البيئة ، ومن داخل هذا المجتمع ، تكون ملائمة لقدرات الطفل واحتياجاته النفسية ، فتقدم له القصص التى تنمى خياله وتفتح له آفاقا جديدة ، وتساعده على النمو الفكرى •• والثقافى كما أنها تشركه فى فهم مجتمعه ، وخلق التربية الوطنية ى داخله واطلاعه على ميراث مجتمعه التاريخى والدينى والثقافى والوطنى وهكذا دواليك ••

★ فاذا استطعنا أن نوجد مجلة للأطفال ، وكتب لها النجاح فانها تستطيع أن تؤدى وظيفتها فى تربية النشء والبراعم الجديدة التى تحتاج من الكبار كل الاهتمام والرعاية مهما كانت التكاليف والتضحية ، واسأل الله ان يوفق الجميع • ،،

العلاقة بين الشللية والشلل (★)

أدت ظاهرة الشللية والشلل الى تدنى مستوى الانتاج العام فى كثير من القطاعات العامة ، الخاصة فى ظل غياب الكفاءات الممتازة ذات التخصص الدقيق ، أو ذات الخبرة الواسعة فى مجال التخصص ، وقد أدى ذلك أيضا الى « غياب الرجل المناسب عن المكان المناسب » كما يقولون ويرجع السبب فى ذلك الى عدة عوامل من أهمها : الرغبات فى تحقيق المصالح الذاتية بين مجموعة من الأفراد يتفقون على مصلحة واحدة ويشكلون القواسم المشتركة فى توزيع هذه المصالح ·

ويأتى العامل الآخر فى ظل « الترابط والتناسق » فى وحدات العمل ضمن الاطار التسللى الوظيفى ، والذى ينحصر فى هذه المجموعات ويصب فى قنوات واحدة بين القمة والقاعدة ، وفى ظل هذا التناسق Coordination تحكم الأمور بضوابط انتفاعية على شكل الهرم المقلوب الذى يعرفه علماء الصحافة والصحفيون ، وفى هذا الاتجاه لا تصبح الغاية شريفة ونبيلة فى تحقيق المصلحة العامة التى تعود على رفع الكفاية الانتاجية فى خدمة الجمهور العام أو المجتمع ، فان ظهور مثل هذه الظاهرة وتكتل مجتمعها وتوسيع قاعدتها فى خريطة المجتمعات الاقتصادية والصناعية والتجارية والتعليمية والثقافية والاعلامية يؤدى بالتالى الى وجود كثير من الأضرار التى تضر بمصلحة المجتمع والوطن ·

فبالرغم من عدم وجود ظاهرة الشللية فى المجتمعات الراقية والمتحضرة وكثرة ذيوعها وانتشارها فى الدول النامية فلا زال العالم

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٨١٨ » ــ ١٤١١/١١/١٦ هـ ·

الغربي يعاني من ظاهرة أكثر سلبية وأشد خطورة تنحصر فى المجتمع الرأسمالى الاحتكارى الذى يسيطر على الاقتصاد القومى ، فمثل هذا التكتل الشللى وذلك التجمع المادى يؤديان بالتالى الى هيمنة اقتصادية تسيطر عليها هذه الفئات وتسخرها وتطوعها لمصالحها الاقتصادية الخاصة ، بغض النظر عن وقوع أضرارها على الطبقات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة وأصبح الاقتصاد الحر فى المجتمعات الليبرالية (Liberatarian) مقيداً وليس حراً بل حكراً على تلك الطبقات الرأسمالية، التى سيطرت بقوة رأس المال على الانتاج القومى وعلى صادراته العامة سواء بشكل « ظاهرى » أو « باطنى » .

« فالبرجوازيون » لا يفكرون الا فى مصالحهم الخاصة على حساب العامة وهذا ما أدى بالتالى الى مراجعة عامة فى تقويم مصالح الطبقات الاجتماعية ، وفى نظرة شمولية تكفل حقوق الفرد والمجتمع فى أن واحد ، فصدر العديد من القوانين الاجتماعية التى تؤمن حياة المجتمع ككل ، وتسعى الى تحقيق العدالة والمساواة بين المجتمع فى اطار نظرته « المسئولية الاجتماعية » Social Responsibility وتحت مظلة الأمن الاجتماعى Social-Security فاذا كان الغرب يعانى من « الاحتكارية الاقتصادية » وسيطرتها على الاقتصاد العام والدخل القومى وحكرها على الطبقة الرأسمالية ، ولا زال واقفا وحائراً فى مواجهتها ، بالرغم من وجود القوانين التى تحكمها وتضبطها وتفرض عليها الكثير من الأحكام العادلة والضرائب التصاعدية التى تخدم بها الأمن الاجتماعى وان كان مجتمعنا ــ ولله الحمد ــ ينعم بالعدالة الاجتماعية والرفاهية الاقتصادية التى تحققت بسهولة فى ظل الشريعة الاسلامية التى كفلت حقوق الأفراد والمجتمع ونأت بالمجتمع ان يعيش فى ظل الاحتكارية الاقتصادية وأتت بفرض الزكاة التى يدفعها الغنى للفقير غير ان المشكلة ليست فى ذلك ولم تكن أساسا موجودة فى نظامنا الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى أو الدينى ، انما المشكلة تكمن فى وجود فئة أو طبقات أو شرائح بشرية كونت لنفسها نظما وقوانين وتكتلات شللية وتواجدت فى العديد من المؤسسات الاجتماعية الثقافية والتعليمية ، والأكاديمية وأصبح لها نفوذ وسيطرة فى هذه المؤسسات الاجتماعية وهذا بالتالى أدى الى افراز العديد من السلبيات التى أوجدت عناصر بشرية هدامة لا يهمها مصلحة العمل ورقيه وتقدمها الحضارى بقدر ما يهمها المصلحة الذاتية التى حقق لها وجود الذات وجنون العظمة ، والغرور و « البارنويا Paranoia والنرجسية وضرب الجوخ وقرع الطبول والتصفيق وحمل العباءة على الاكتاف ، فيأتون بضعاف النفوس ، ويهيئونهم لحمل أعباء المسئوليات الادارية

التعليمية الاكاديمية ليحققوا من ورائهم أهدافا تخدم مصالحهم ومصالح أقرب الناس الهم ٠٠ وهكذا وان أستمر الحال الى استمــــرارهم فى الأقسام العلمية الى أكثر من نصابها القانونى ، وما أروعهم فى توظيف اللوائح لفائدتهم وما أحوجنا الى المواطن المسئول كل فى مقر عمله أن يكون مخلصا فى أداء عمله بكل جد ومثابرة وتفان فى سبيل المصلحة العامة وخدمة الوطن والمليك « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله المؤمنون » الآية ٠

وهذا حق الوطن ، وتلك تكون المواطنة ، والانتماء لحب الوطـن وهذا هو الاخلاص بعينه ، وذلك ما حث عليه الدين الاسلامى ودعا اليه ٠

والله تعالى ولى التوفيق ٠ ،،

الشـــللية ! (★)

« الشللية » اصبحت احدى العلامات البارزة فى الصحافة وأصبح لها تأثير على دفة حركة الانتاج الصحفى ، فهى التى تحدد مسار بعض الصحف وتحركها ، وتوظفها توظيفا خاصا لمجتمع الأصدقاء دون الأخذ فى الاعتبار المصلحة العامة ٠

ومن خلال هذا التوجه لا يمكن لها أن تؤدى رسالتها فى خدمة الجمهور العام ٠

وبالرغم من أن صحافتنا تتمتع بحرية الرأى والفكر الا انها عاجزة عن هذا التعبير بشكل جماعى ، لانها تتأثر بمجتمع « الشللية » الذى يشل حرية الحركة ويقيد التعبير ٠ والاحساس بهذا الوجود هو الذى طوق عنق الصحافة وأخر مسيرتها ، وحد من نشاطها وتطورهـــا ، فأصبحت تعانى من أزمات مادية وهذا بالتالى ينعكس على تراجـــع بعضها شكلا وموضوعا فتغلغل الشللية فى داخل بعض الصحف هـــو ذلك الأمر الذى عاق التطور الى الأفضل والأحسن لان عدم اتاحة الفرصة للمشاركة فى الطرح ، هو الذى جعل هذا « الانحسار » أو ذلك الانكماش يعيق الصحيفة ولا تأخذ وضعها الطبيعى من مجتمعها بالرغم من ان مجتمعنا يتقدم حضاريا ، وفكريا ، ولكن الملاحظ أن بعض صحفنا لم تواكب هذا التقدم ، بل تخلفت عنه ٠

ونرجع أحد الأسباب الى ذلك الأمر الذى أشرنا اليه آنفا مـــن بسط نفوذ تلك الشريحة فى الحقل الثقافى دون غيرها وتلميع أفرادها بمناسبة وبلا مناسبة ، ولا يمكن لنا ونحن نتطلع الى الموضوعية ان نغفل احكامنا بالتعميم ، اذ لا بد ان نخص من حكمت عليهم الشلليـــة بالتقوقع فى اطرها ، فاذا ما أردنا لصحافتنا ان تكون منبراً حراً وأداة عاملة وفاعلة ، ومؤثرة ومتطورة فى حرية دائمة ، لا بد ان ندعمهـــا

بالكفاءات الجادة والقـــادرة على التطوير ، والتحديث بكل تعقـــل وحكمة ، وليكون الهدف العام هو المصلحة العامة دون التحيز والتعصب لكاتب ما ، أو لصحفى آخر ٠

واذا وضعنا هذا المبدأ نصب أعيننا لا بد لنا أن نأخذ فى الاعتبار ما تفرضه على الصحافة من قيمة وعمل مهما كان صاحبه ، ما دامت نوعيته رفيعة المستوى وأيضا لأن مهنة الصحافة شريفة ونزيهة وتقوم فى الأساس على المبادىء الأخلاقية فى كل توجه ، وفى كل عمل يهدف الى خدمة وصالح الجميع ٠

وبعد ذلك لا يبقى الأمر صعبا اذا نفذنا هذه الاعتبارات وتلـــك الخطط لتكون أداة من أدوات التقدم ، والتحضر ، والكسب المـــادى والقيادة الجيدة التى تحرك هذه الصحف بلا عقد ٠

دور الإعلام في خدمة المجتمع

دور الاعلام في مكافحة المخدرات (★)

★ يتعاظم الدور الذى تقوم به وسائل الاعـلام ، والعبء الذى تتحمله فى مجال مكافحة المخدرات ، لما تتميز به من خصائص أو سمات تنفرد بها عن سائر الأجهزة والمؤسسات التى تقوم بدورها فى هـذا المجـــال ٠

★ ذلك انه بينما يمكن لكل جهاز أو مؤسسة ان تخاطب فئــة بذاتها ، كالطالب فى المدرسة ، أو الجامعة أو العامل فى مصنعه ، أو الفرد فى أسرته ، أو المترددين على المساجد فان وسائل الاعلام يمكنها أن تخاطب كل هؤلاء جميعا مجتمعين أو فرادى وتصـــل اليهم مهما تباعدت المسافات أو تزايدت الحواجز ٠

وكذلك بينما يمكن أن تقوم كل مؤسسة من هذه المؤسســات أو الأجهزة بوظيفة واحدة من الوظائف الاتصالية مثل التعليم فى المدارس، أو الارشاد فى أجهزة أخرى ، على سبيل المثال فــان وسائـل الاعــلام يمكنها ان تجمع بين عدد من الوظائف مجتمعة فتقوم بالتعليم والتوعية والارصاد والتثقيف ايضا بل أن دورها يظهر بارزاً فى مقاومة الحمـلات المضادة أو دعم الأفكار الوطنية ٠

★ ان وسائل الاعلام بما أصبحت تمتلكه من تقنيات حديثة ، فان قدرتها على التأثير أصبحت بارزة ، مما جعل الدول والحكومات تعتمد عليها كثيراً فى الحملات الخاصة بالتوعية والارصاد فى مجـــالات مختلفة ٠

(★) عكاظ ، السبت العدد ٨٥٠٠ ــ ٣٢ ربيع اول ١٤١٠ هـ ٠

★ ان وسائل الاعلام أيضا بحكم انفرادها بمثل السمات سالفة الذكر وغيرها قد أصبح واجبا عليها دعم الأصول الثقـــافية لوطننا الحبيب ، هذه الأصول التى ترفض تماما الوقوع فى دائرة الادمان أو متعاطى للمخدرات والتى أصبحت آفة الشعوب الحديثة ٠

واذا ما أضفنا الى كل ما سبق النظرة الى وســـائل الاعــلام باعتبارها نظاما متكاملا يتأثر بالنظام العام للدولة ويؤثر فى أفرادها ومواطنيها ، ويقع عليها دور كبير فى عملية التنمية الشاملة بوصفها تهتم أساسا بالتنمية البشرية ودعم ثقـافة المواطن السعـودى واتجاهاته نحو تحقيق آمال الخطوط الطموحة وأهدافها فى الارتقـاء بالوطـــن تجدها تبعا لذلك يقع عليها عبء تخليص المواطن ووقايته من التعرض لكل ما يؤثر فى أفكاره واتجاهاته ، وميوله وقدد رأينا فى حلقات سابقة كيف تؤثر المخدرات فى الانتباه والتذكير العقلى للفـــرد ، وبالتـالى تأثيرها على نشاطه وانتاجه بصفة عامة من كل ذلك نرى أهمية الدور الذى يمكن أن تقوم به وسائل الاعلام وضرورة التخطيط العلمى لهـذا الدور ، وتنفيذه فى اطار السياسات الاعلامية الكلية أو المرحلية ، التى ترتبط بطبيعة كل مرحلة على حـدة ولمـا كان التخطيط العلمى السـليم يبدأ بتحديد الأهداف ، فانا نرى أن دعم الدولة الانسانى فى الوطن يزيد من شدة التلاحم بين الحاكم والمحكوم من جهة كمـا يعزز الثقة بينهمـا تعزيزا كبيرا من جهة أخرى ، وهذا يربط المواطن ربطا مباشرا بأهداف وطنه وقضايا مجتمعه ويجعله المسئول المؤتمن عليه باعتباره الأداة الرئيسية للتنمية الاجتماعية الشاملة ومحور الارتكاز الأساسى فيها ٠

★ دعم الوعى الوطنى هذا يعتبر الهدف الرئيسى الذى تسعى وسائل الاعلام الى تحقيقه من خلال المحتوى الذى تبثه ، الذى يتفق مع خصائص كل وسيلة منها ٠

وفى مجال التصدى لظاهرة تعاطى المخدرات التى تؤثر الى حد كبير فى الوعى الوطنى كما سبق أن ذكرنا ، فان اتجـــاهين رئيسيين يرتبطان بطبيعة هذه الظاهرة ٠

الأول : الاتجـــاه الوقـــائى :

وفى هذا المجال فان وسائل الاعلام تسعى الى تحقيق الأهــداف أو عليها أن تقوم بهذه الأدوار التالية : التى تهدف فى مجموعها الى

وقاية الفرد من مجرد الاقتراب من المخدرات بأنواعها وتعاطيهـا وفى هذا المجال تقوم بالآتى :

★ التعريف بأضرار التعاطى على النواحى العقلية والجسمانية لمواطن ، وذلك من خلال عرض النماذج والأمثلة التى تعرضت لظاهرة التعاطى وفى هذا المجال فان تقنيات كل وسيلة يمكن ان تدعم طريقـة العرض والأثر معا ، فالصحف على سبيل المثال التى يتناولها المتعلمون يمكن أن تهتم بالاحصائيات والارقام التى تؤكد مدى الضرر بالاضافة الى تأثير الصورة الفوتوغرافية فى أحوال أخرى ، كما ان الصـــورة المتحركة والملونة وما يصاحبها من مؤثرات فى التلفاز يمكن ان تعطى أثرا كبيرا اذا ما أحسن استغلالها فى العرض بما يحقق هدف التعريف بالاضرار والمخاطر ٠

★ التعريف بموقف الدين من اضرار الفرد بنفسه ، ومن المخدرات بصفة عامة ، فى أسلوب يختلف تماما عن الخطابة وذلك من خـــلال الندوات واللقاءات المتعددة مع العلماء الاجلاء وأصحاب الاختصاص فى هـــذا المجـــال ٠

★ التعريف بموقف القيم الاجتماعية ، والأصـــول الثقافية من ظاهرة تعاطى المخدرات ورفضها ولعل التمثيلية الاذاعية التى تصل الى مسافات بعيدة فى أنحاء المملكة والى كل الفئات التى تقرأ أو لا تقرأ وتستثير فى المواطنين غيرتهم على عاداتهم وتقاليدهم يمكن ان تكون نموذجا لأسلوب تطبيقى فى هذا المجال ٠

★ التعريف بالادوار التى تقوم بها الجماعات المرجعية للأفراد فى الأسرة والمصنع ، والمؤسسة وغيرها من الأجهزة والمؤسسات التى ينتمى اليها الفرد بوصفه وحدة فى هذه الجماعات ، وذلك من خـلال الحملات المخططة للتوعية بهذه الأدوار ٠

★ التعريف – بجانب ذلك – بالعقوبات الرادعة للمشاركين فى سلسلة توصيل المخدرات الى المواطن وذلك بالاعلام المستمر عنها فى وسائل الاعلام وشرح القضايا والأحكام الخاصة بها ٠

ويعتبر الشرح والتفسير من خلال تقنيات كل وسيلـــة ضرورة بجانب التعريف بالجوانب سابقة الذكر حتى لا يصبح الأمر مجـــرد ترديد شعارات أو جمل وعبارات توجيهية قد لا تجـد صدى عند المواطن اذا ما غاب عليه ادراكها وادراك أبعادها ٠

الثاني : الاتجاه العلاجي :

ويبدأ هذا الاتجاه من الاعتراف بوجود الظاهرة وانتشارها بين عدد من المواطنين وبالتالى فان أجهزة أو وسـائل الاعـلام تتدخـل فى مرحلة العلاج من خلال القيام بالأدوار التالية وبما يتفق مع طبيعة كل دور واتجاهاته ٠

★ التركيز على الانتماء والمواطنة لكافة الأفراد الذين وقعوا فى مصيدة الادمان ، وقبول المجتمع لهم والترحيب بدورهم بعد مرحـلة الشفاء من الادمان ، والتخلص من تاثيره باعتباره مرضا ككل الأمراض التى يمكن أن يتعرض لها الانسان ، وبخاصة من خلال المنظور السلامى الذى يقرر أن التوبة النصوح تجب ما قبلها ٠

★ دعوة المجتمع الى قبول الأفراد المدمنين باعتبارهم مرضى سيتم شفاؤهم باذن الله وعدم رفضهم تقديم يد المساعـدة اليهم حتى يتجاوزوا مرحلة العـلاج ٠

★ الدعـوة الى انشـاء المصحـات والمستشفيات التى يمكن أن تستقبل المدمنين وتساعدهم على العلاج والشـفاء ، وتجـاوز التكاليف المادية الكبيرة التى قد تجعل غير القادرين يعزفون عنها أو تخصيص صناديق وطنية تتغذى من تبرعـات المحسنين وان أجـاز علماء الشريعة المختصون الافتاء بتخصيص جزء من الزكاة أيضا لهذه الصناديق ٠

★ متابعة الرعاية الاجتماعية والنفسية للأفراد بعد شفائهم حتى لا يتعرضوا للنكسات ويعاودوا الادمان مرة أخرى ويخضع تنفيـذ الأدوار التى تقوم بها وسائل الاعلام الحملات الوطنية المخططة باعتبار أن هدف مقاومة المخدرات هدف وطنى عام تشارك فى تحقيقه كافـة الأجهزة والمؤسسات على جميع المستويات وبذلك لا يتـرك لوسيلـة اعلامية دون غيرها القيام بتنفيذ هذه الأدوار لانه كما سبق أن ذكرنا - فان هناك من الخصائص ما تنفرد به كل وسيلة عن الأخـرى ، مثل الصحف للمتعلمين والراديو الذى يصل الى مسافات بعيدة ويخاطب المستمع بلغات عديدة واستخدام تقنيات الصورة المتحركة فى التلفـاز التى تجذب الكثير من الفئات وغيرها بل يصبح الواجب عاما وعلى كل وسائل الاعلام ان تشارك فيه ، بما يتفق مع طبيعة كل وسيلـة وخصائصها مع التركيز المستمر فيها على دعم الأثر الذى يمكن أن تحققه فليس هناك فى مثل هذه الحملات منحنيات أو نقاط ذروة يرتفع فيها الاهتمام بل أن التركيز والتكرار ودعم وسائل التنفيذ وأدواتـه

يعتبر ضرورة لمواجهة هذا الخطر بل الذى يعتبر من اكثرها شروراً لأنه يفتك بالانسان عصب الدولة ودعامتها

★ المحطـــة الأخيرة :

نصحنى بعض الأصدقاء من الوسط الاكاديمى بأن هـــذه الدراسة عن المخدرات التى سبق أن نشرتها على حلقات بجريدة المدينة اجمعها فى كتاب مع الاحتفاظ بقائمة المراجع التى وعـــدت القراء بالوقفـــة عندها ، وعملا بتلك النصيحة الموضوعية فاننى اعد القراء ـ باذن الله ـ باننى ساقوم بطبع هذه الدراسة الجادة فى القريب العاجل وشكراً لمن تابعنى فى هذه الحلقات آنفة الذكر ٠

وسائل الاعلام والبحث عن المجرمين الهاربين (★)

ان استخدام وسائل الاعلام كوسيلة من وسائل الاعلام فى البحث عن المجرمين أسلوب تتبعه نل الأجهزة الأمنية فى العالم المتقدم والمتحضر والنامى حيث أصبحت الجريمة تقع فى بعض الحالات فى منأى عن الرقابة الأمنية التى لا يفترض أن تكون متواجدة فى كل شبر أرض من المساحة الجغرافية التى تغطى كل المدن السكنية وغير السكنية وفى هذا الاطار الشمولى للتغطية العامة لكل المساحة الأرضية تحتاج الدول الى جهاز أمنى أكثر من عدد السكان الفعليين الذين يعيشون فى هذه المساحة الشاسعة من عالم المدن والقرى وهكذا دواليك . فالجريمة تقع بين وقت وآخر والمجرم يختار المناطق التى تبعد عنها أجهزة الأمن ولو بصفة مؤقته كتغير فى الانتقال من منطقة الى أخرى أو من حارة الى أخرى ، فالجريمة التى وقعت فى مدينة جده وراح ضحيتها اثنان من افراد دورية الشرطة ، حيث تمكن المجرمون أن يلوذوا بالفرار فى جنح الظلام كان لابد لأجهزة الأمن أن تعلن عن اولئك المجرمين فى وسائل الاعلام للبحث عنهم واضعة فى ذلك اعتبار مكافأة مالية مجزية لكل من يرشد عنهم أو يبلغ عن أماكنهم أو تواجدهم ، وقد ظهر الاعلان فى الصحف ، وفى التلفاز السعودى مضمنا بالمعلومات عن أحداث الجريمة وزمن وقوعها ومكانها بالاضافة الى الملامح التقريبية التى رسمها الكمبيوتر عن شخصية مرتكبى الجريمة فلم يمض على نشر الاعلان فى وسائل الاعلام سوى أيام معدودات حتى ظهر بيان من وزارة الداخلية عبر وكالة الأنباء السعودية تعلن فيه بالقاء القبض على مرتكبى الجريمة آنفة ذكرها ، على أيدى رجال المباحث العامة ، وهذا الخبر فى حد ذاته كان بمثابة بشرى ساره لكل المواطنين والمقيمين فى هذه البلاد الذين لم يفقدوا الأمل فى العثور على هؤلاء القتلة لانهم يدركون تمام الادراك بأن أجهزة الأمن السعودية بكل قنواتها المختلفة

(★) البلاد (العدد) ١٠٦٨٩ ، ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ .

قادرة وبكل كفاءة على الوصول الى المجرمين مهما حاولوا ان يختبأوا فى أماكن معقدة أو فى أوكار مختبئة ، حيث لا مفر لكل مجرم أن يهرب من الطوق الأمنى الذى يحكم رقابته على هذه البلاد بعيون ساهرة لا تعرف الكلل ولا الملل فى وظيفتها الآمنية التى تحافظ فيها على سلامة البلاد وأمنها جنائيا وسياسيا واجتماعيا وهلم جرا ٠٠٠٠ ففى التاريخ الأمنى لبلادنا فان نسبة المجرمين الذين هربوا من يد العدالة لا تشكل سوى كسور عشرية بالنسبة للدول الأخرى التى توجد بها أجهزة أمن متقدمة علميا وتقنيا فاذا أخذنا فى الاعتبار هذه المقارنة ، فان منافذ هذه البلاد أكثر الدول مفتوحة للوافدين بحكم وجود الحرمين الشريفين اللذين يؤمهما المسلمين من كل أنحاء العالم ليس فقط أيام الحج بل تتبعه مواسم أخرى كالعمرة وذكرى المولد النبوى ، بالاضافة الى العمالة التى تدخل البلاد بصفة دائمة كاحتياج لها فى المشاريع التنموية والاستخدامات المنزلية ففى الوقت الذى نستفيد من هذه العمالة فى بعض مشاريعنا ، وفى غيرها ، نرى اتجاها معاكسا من بعضها على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، والأمنية التى يرتكب فيها بعض الوافدين جرائم قتل وسرقة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما قرأناه فى صحفنا المحلية من اعلان نشرته اجهزة الأمن فى البحث عن مجرمين قاموا بحوادث سرقة وسطو وغيرها ، فهذا يعطينا مؤشراً بما أفرزته هذه العمالة من خطورة على وضعنا الاجتماعى والاقتصادى والأمنى وان استطاعت أجهزة الأمن بان تعلن اعلاميا بالقبض عليها بمساعدة بعضها من المرشدين سعيا وراء الحصول على المكافأة التى خصصتها أجهزة الأمن وهذه خطوة فى حد ذاتها ذكية – فى سبيل سرعة القبض على المجرمين ونخلص من ذلك أن خريطة انفتاحنا على الوافدين بهذا الكم الهائل تحتمه واجهتنا الدينية ومشاريعنا التنموية وان كانت الأخيرة بحكم اننا نفذنا قاعدة كبيرة من هذه المشاريع سواء أكانت فى البنية التحتية أم الفوقية ، لم تعد تشكل كاحتياج مثل هذا الكم الهائل من العمالة فلهذا أخذت الجهات المسئولة تضع حداً لزحفها بما قامت به من توجه لسياسة السعودة فى كل قطاعاتنا العامة والخاصة فلهذا الاعتبار لم يبق الأمر سوى اننا ننظر الى الوافدين من نافذة الزيارة ، والعمرة ، والفائض من الاحتياج ، وفى هذا الاطار فاننا نتحدث عن النموذج من العمالة التى لا تشكل الاحتياج لها إلا فى الضرورة القصوى كما اننا نتكلم هنا بالتحديد عن العمالة التى تسكن هذه البلاد وتقيم فيها بشكل نظامى وباقامة نظامية مكفولة من الدولة ومن المواطنين ٠٠ وأما المتخلفون من بقايا الزيارات والعمرة فهؤلاء هم الذين يشكلون خطورة على أمن هذه البلاد وللأسف الشديد اذ نجد بعض المواطنين

من ضعاف النفوس يتسترون عليهم ، فالمواطن الذى يتستر على هؤلاء المتخلفين يشارك فى مخالفة الانظمة والقوانين لبلاده ويساعد الى حد كبير على جرم انتهاكها بحكم أن هؤلاء المتخلفين لا يحصلون اقامة دائمة فى البلاد فوجود بعضها بدون عمل تقتات منه فى حياتها اليومية يساعد على لجوئها الى ارتكاب الجرائم كالسطو على المنازل وسرقات البنوك واستخدام القتل فى حالة كشف أمورهم ، وهذا ما حدث بالفعل بقتل اثنين من أفراد دورية الشرطة التى اكتشفت جريمتهم·· وباختصار ، فان كل متستر على وافد يعيش فى هذه البلاد بدون اقامة يشارك فى كل جريمة يرتكبها هذا الوافد ويعتبر فى عرفنا الاجتماعى ، وفى أنظمتنا القانونية غير أمين على أمن بلده وغير منتم لها بحكم المواطنة والا لماذا سمح لنفسه أن يتستر على شخص يخالف أنظمة بلده وينبغى ونحن نتكلم على هذه المشكلة أن ننفذ بأن الخطورة التى أقدمت عليها أجهزة الأمن فى استخدام وسائل الاعلام السعودية كأداة من أدوات البحث عن المجرمين بطريق الاعلان عن الجريمة وعن أوصاف المجرمين بالشكل التقريبى بملامحهم التى رسمها جهاز الكمبيوتر عبر قنوات شهود العيان لها عن بعد ، تعطى مؤشرا بالغ الأهمية على مدى الصناعة الأمنية فى رسم أبعاد الاستراتيجية الأمنية المستخدمة بأساليب علمية مدروسة ومخطط لها فى تعدد المصادر التى تبحث عن مطاردة المجرمين التى يشارك فيها الاعلام والمواطن والمقيم الى أن تصل عملية البحث عن المجرمين قائمة ضمن اطار اجتماعى تتحقق فيه المشاركة الجماهيرية واقعا وحدثا ، ومسئولية وأمنية حيث تتحول كل هذه الانشطة فى جهاز أمنى واحد مهمته تدور فى نصب كمين هدفه ايقاع المجرم الهارب فى مصيدة الأمن بغض النظر عن المكافآت المالية المغرية التى وعدت بها أجهزة الأمن بدفعها لكل شخص يرشد عن أماكن المجرمين ، فان ثمة اعتبارات هنا ليست بدفع المال أو فى كسبه عن طريق المشاركة مع أجهزة الأمن فالواجب هنا وطنيا يحتم علينا ان نكون جميعا رجال أمن وسباحث عندما يكون الأمر متعلقا بأمن بلادنا ويقابلنا فى هذه المسئولية أيضا المقيم الذى يعيش فى هذه البلاد بطرق نظامية والذى يقدر لهذه البلاد موقفها معه فى تقديم الخدمات له بكل الوسائل المريحة له سواء أكانت أمنية أم طمانينة وهدوءاً واستقراراً وهكذا ·· وهكذا ··

نسأل الله ن يوفق أجهزة أمننا فى كل ما تصبو اليه من تقـــدم وازدهار فى ظل قيادتها الحكيمة التى يديرها وزير الداخلية ، سمو الأمير نايف بن عبد العزيز ونائبه سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز وكل القيادات العامة فى هذا الجهاز الكبير الذى له دور حيوى فى استقرارية الأمن لهذه البلاد التى وضع لها سياستها ، قائدها الكبير خادم الحرمين الشريفين ٠٠ والله ولى التوفيق ،،

وسائل الاعلام وتاثيرها على ثقافة الطفل (★)

نحن لا نريد ان ندخل فى تنظير اعلامى عن المؤثرات التى تحدثها وسائل الاعلام على الرأى العام سلبا أو ايجابا ، فالكتب العـــلمية والابحاث الاكاديمية وغيرها لازالت تقدم الكثير من الدراسات العلمية عن الاعلام الحديث الذى أصبح يملك القدرة على تغيير موازين القوة بعيداً عن المرسل وتوجيهها نحو المستقبل وهذا ما أدى بالتالى الى أن يكون الاعلام سلاحا ذا حدين وميزانا من موازين القوة فى الحروب وفى السلم ٠

فهو يقف فى خندق واحد مع السياسة ومع الاقتصاد ، ومع القوة العسكرية وربما يكون الاعلام أكثر قوة وتأثيراً على حياة الشعوب ، والأفراد والجماعات بما يثيره من قضايا اجتماعية أو فكرية أو سياسية أو (ايديولوجية) فمن خلال وسائله المختلفة يستطيع أن يوجه الرأى العام فى الاتجاه الذى يريده كما أن بامكانه تغيير مواقف الرأى العام فى مواقف شتى ٠

فلهذا لا ينبغى أن نستهين بدور الاعلام وبما يقدمه من أفكـــار و (ايديولوجيات) ومضامين أخرى ، خصوصا فيما يتعرض اليــه الطفل الصغير من قراءة قصص المغامرات أو رؤية مناظر فوق مستوى ادراكه قد يقع ضحية تفكير أعمى يؤدى الى الجنوح أو يعرضـــه للانحراف فاذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر مشاهدة الطفل بعض أفلام العنف والرعب التى يقدمها التلفاز ، فانها تثير فيه مواقف القلق الذى يكمن فى قوة الجذب والاثارة غارقة فى « الرومانسية » أو انها

(★) البلاد ـ العدد ١٠٤٣٦ الثلاثاء ٤ شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ٢٦ يناير ١٩٩٣ م ٠

ترمز بشكل درامي لصورة حركية في الغرب أو الى الجرائم المتطورة التي أخذت تقدمها هذه الافلام كلغز محير لرجل الأمن ٠

والذى يشاهد هذه الأفلام يلاحظ ان الصراع الذى يدور بين المجرم ورجل الأمن يعطى تصوراً عاما أن المجرم يفوق أحيانا ذكاء ودهاء رجل البوليس ، وهذا التصور يظهر فى رسم الاستراتيجية الأمنية المضادة التي يخطط لها المجرم بشكل معاكس للخطط التى يرسمها البوليس فى مطاردة المجرم والقاء القبض عليه متلبسا بجريمته ، وهذا فى حـــد ذاته يشكل خطورة على بعض أطفالنا الذين لهم الاستعداد العدوانى (Aggression) فى ارتكاب الجرائم ، فهذه النماذج من الافلام تغذى فنر الطفل وتربى فيه روح العدوانية وتهيئة لارتكاباتها ٠

فلقد حذر منها خبراء وعلماء علم الجناية (Criminology) فى تقليد الأطفال لمجرمى الأفلام الذين خلقتهم (الدرامـا) وجعلتهم أبطالا بغض النظر عما تسفر عنه النهاية من وقوع المجـرم فى يـــد العـــدالة ٠

وحتى هذه النهاية تظل غامضة ولغزا تقدمه الافلام لاجتهاد فك رموزه من قبل فكر المشاهدين ، والاحساس بهذه الايماءات كرمـوز لحلها ٠

يبتعد عن ادراك فكر الطفل الذى لازال غضا وغير ناضج وغيـر مهيأ لفك هذه الرموز والوقوف منها موقف المدرك لنتائجها ٠

وكما يقول احد الباحثين فى علم الجريمة ان أبطال (الدراما) الذين يمثلون دور الاجرام فى افلام العنف أكثر قوة من التأثير عـلى المشاهد وأكثر جذبا فى شد انتباه المشاهدين وهذا ما يؤى بالتالى الى تقليدهم فى ارتكاب الجرائم التى يقوم بها أبطال أفلام العنف والجرائم ، وكما ذكرنا آنفا ، ان بعض الأطفال لديهم الاستعداد لهذا التقليد الأعمى بحكم تركيبتهم النفسية والتربوية والوراثية ٠٠ كما أن الجريمة التى أوجدتها هذه الافلام وساعدت على ظهورها للمشاهد بشكل (درامى) مثير وجذاب تساعد الى حد كبير أن يكتسب منها المجـــرم الحقيقى خططا ، وأهدافا واستراتيجيات اجرامية قد يكتشفها من خلال الحدث (الدرامى) الذى يصور له الوقائع بصورة وكأنها مجسدة أمامـــه بشكل نموذجي وفعال تحركه الكاميرا ويلعب فيه المخرج دوراً كبيراً فى تصوير الأحداث وكأنها واقعية من خلال رسم الصورة ووقائعها بشكل فنى ٠

وتاختصار ، فان هذه الأفلام مدرسة يتعلم فيها المجرم الحقيقى والطفل فن الجريمة ، ويكفى انه يشاهد هذه الافلام وكأنها تعطيه دروسا فى علم الاجرام ٠

واذا نحينا جانبا عن هذا التاثير الذى تخلفه الافلام كوسيلة لتعليم الجريمة ، فان آثارها الأخرى تكمن بشكل سلبى على التنشئة الاجتماعية للأطفال حيث انها تشيع سلوك اللامبالاة وتشوه القيم التى تعتمد عليها فى تربية جيل المستقبل ، أذ ان كثيراً من الأفلام التى نشاهدها وتعرضها وسائل الاعلام المرئية نشاهد فيها ابطال القصص السينمائية والتليفزيونية يحتسون الخمر ، ويدمنون الشراب في مواجهتهم للمواقف العصيبة التى تمر بها أحداث القصة أو يعتمدون على غيرهم أو يقتلون الآخرين وتلك نماذج شريرة وخطيرة تقدم للناشئة فى مواقف العاطفة المتأججة والشهوات المنطلقة من عقالها ، التى تعبث بكل ماتواجهها من قيم وتقاليد ، ومثل عليا ٠٠ ناهيك عن افلام الكارتون التى تعرضها وسائل الاعلام دون أن نخضعها للرقابة الواعية التى تدرسها شكلا ومضمونا بكل دقة وبكل تمحيص ، ففى كثير من الحالات نجد ان هذه الافلام تسعى الى غرس قيم بعيدة عن بيئتنا الثقافية والفكرية والدينية ٠

فلقد تقدمت صناعة هذه الافلام وأصبحت قوة مؤثرة وفعالة فى استخدام المنهج العلمى الذى تستطيع به أن تسيطر على عقول أطفالنا ، وأنماط تفكيرهم ، وتوجيهها وفق الاتجاهات التى تستهدفها ، فهى تسعى جاهدة الى تغييرها من تقاليدها وعاداتها واعرافها الاجتماعية والأخلاقية الى انماط أخرى مغرية ومنمطة ثقافيا بالتبعية . وبالاستلاب الثقافى وكم من الألفاظ القبيحة التى تذيعها هذه الافلام ، وتنشرها بين المشاهدين ، والسواد الأعظم من الأطفال ! ٠

ولا أذيع سرا اذا قلت ان معظم أطفالنا ترعرعوا وتثقفوا من هذه الأفلام وأصبحوا يعرفون أسماء أبطالها ، ويقلدون أدوارهم البطولية ويكتسبون منها الحيل ، والأساليب التى تقوم عليها الأحداث (الدرامية) تكل أشكالها المختلفة ٠٠ وتجنبا من وقوع أطفالنا فى أسر الأفكار المنمطة التى توجدها هذه الافلام وتؤثر فيها على ثقافة أطفالنا فاننا نطلب من وسائل الاعلام التى تهتم بتسلية الطفل ، وثقافته ان تراعى حسن الاختيار فى تقديم البرامج التى تهتم بتثقيف الطفل وترفيهه بشكل علمى ومدروس وان يكون هذا الاختيار من البرامج (الدرامية) ، وغيرها يتوافق مع بيئتنا المحلية فى كل مناحى الحياة ، وأحسب أن كثيراً من العلماء فى السنوات القليلة الماضية صمموا البحوث الخاصة بمؤسسات

الأطفال ورعاية الطفولة ، واعداد البرامج وتخطيط المشروعات وبرمجة (Programation) الخدمات والوسائل ، والأدوات التى تهدف جميعا نحو هدف وحيد وهو تنمية ثقافة الطفل ·· وذلك بتدعيم شخصيته وتأكيد ذاته وابراز جوانب القوة والذكاء وتشجيع المبادىء وتحسين مستواه بيئيا ، واجتماعيا ·

ولقد كان للاحتفال العام بعام الطفل صدى فى المدارس والجامعات والمؤسسات ولقد صاحب هذا الاحتفال اثارة وصخب واعلان ، وتخلل ذلك توجيه وترشيد واعلام ، تدل هذه الأنشطة على وفـرة الدراسـات حول عالم الطفل التى تود أن تستفيد منها وسائل الاعلام وتستثمرهـا اعلاميا لصالح مستقبل الطفل العربى فكريا وثقافيـا واجتماعيـا وهكذا ··

والحديث عن وسائل الاعلام وأثرها على التنشئة الاجتماعيـة للطفل لا يمكن أن تحصلها دراسات علمية محدودة الأثر فالاهتمام بها لا زال شغل شاغل العلماء لكافة التخصصات العلمية ، والاعلام الحديث يتطور مضمونا وشكلا وفق تقدمه العصرى ولم يعد ذلـك الاعـلام (الكلاسيكى) أو التقليدى الذى كنا نعرفه قبل سنوات ونحـدد منـه موقفنا ، فنحن نعيش فى ثورة (التكنولوجيا) المتقدمة وهذا الثالوث ، لا بد ان نأخذه فى اعتبارنا ونحن نتحدث عن أثر الاعلام على التنشئة الاجتماعية للطفل ، خصوصا وان الأطفال عقولهم غضـة ، وصفحتهـم بيضاء ·

فلا بد عندما نريد ان نغرس فيهم الخير ونبعـد عنهم الشر ان نكون واعين ومسلحين بعلوم العصر ومعطياته الحديثة ، وهذا يدخل فى باب التخصصات العديدة التى تشكل المعادلة الصعبة فى تعاملنـا مع التنشئة الاجتماعية للاطفال عبر قنواتها المتعددة والتى تشارك فيها أكبر المؤسسات الاجتماعية فى المجتمع ، وعلى هذا الأساس يجب ان نضع فى اعتبارنا كل البرامج التى تقدم للاطفال سواء عن طريـق المسرح أو السينما أو عن طريق التلفاز أو الاذاعة أو الصحافة أو عن طريق مجلات الأطفال ونعيرها جل اهتمامنا ونركز عليها بشكل علمى ومدروس ونستفيد من تجارب الآخرين ، الذين قدموا دراسات تربوية وثقافية واعلامية وغيرها عن الطفل ·

ولازلنا نتطلع الى مزيد من العناية بثقافة الطفل ونموه الاجتماعى ولنا فى ديننا الاسلامى قدوة حسنة ومنهج سليم نستفيد منه فى تربية أبنائنا وتوجيههم توجيها تربويا صحيحا وفق المنهج الاسـلامى الربانى والله ولى التوفيق · ،،

التلفاز ‥ والصحافة ‥ ودور الجامعات
بين كفتى الميزان ؟

تشير بعض الدراسات العلمية التى أجريت على عدد من الطلاب الجامعيين الذين يتعرضون لوسائل الاعلام السعودية المقروءة والمرئية ان نسبة مشاهدى التلفاز تقل عن قراءة الصحف ، وكما توضح احدى الدراسات العلمية بعنوان « تعرض الشباب الجامعى لوسائل الاعلام السعودية (الصحافة والتلفاز) والتى قامت بها طالبتان » ان التلفاز يحظى بنسبة مشاهدة متوسطة لدى فئة الشباب ، حيث بلغت نسبة من أجابوا بمشاهدته بانتظام (١٦٪) عند كل من الذكور ، والاناث فى حين تلغت نسبة من يتابعه أحيانا (٦٠٪) عند كل من الجنسين أما الذين نادرا ما يشاهدون التلفاز فبلغت نسبتهم (٤٪) ، ويلاحظ أن نسبة متابعة التلفاز أحيانا لدى الذكور (٦٤٪) وهى أعلى نسبة لدى الاناث (٥٦٪) كما أوضحت الدراسة أن الاقبال على قراءة الصحف تحظى بنسبة عالية مقارنة بالتلفاز حيث تبلغ نسبة من يقرأ الجرائد بانتظام (٤٤٪) من الذكور ، والاناث بينما بلغت نسبة من يقرأ الجرائد أحيانا (٥٢٪) عند كل من الجنسين وتقل نسبة من لا يتعرض لقراءة الجرائد الا نادرا تبلغ (٤٪) ولوحظ أن نسبة اقبال الذكور على قراءة الجرائد بانتظام تبلغ (٥٦٪) وهى أعلى نسبة لدى الاناث (٣٢٪) ولقد أوضحت الدراسة حسب الجدول للمعدل اليومى التقريبى لمشاهدة التلفاز لفترة زمنية ألق من ساعتين وهم الذين يشكلون النسب الكبيرة بينما بلغت نسبة من يشاهد التلفاز فى فترة لا تتجاوز الساعتين (٧٠٪) فى حين بلغت نسبة من يقرأ الصحف نفس الفترة الزمنية (٩٤٪) وهذا يرجع الى أن طبيعة العينات المفحوصة من الطلاب الجامعيين لديهم التزامات أكاديمية ٠

(★) جريدة عكاظ (العدد) ٩٩٥٠ السبت ١٥ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٣٠ أكتوبر ١٩٩٣ م ٠

كما أوضحت الدراسة ان الوقت المفضل لقراءة الصحف عند الشباب هو فترة الظهيرة حيث بلغت نسبة من يقرأ الصحف (٤٦٪) بينما يشكل من يقرأ الصحيفة مساء (٤٢٪) ·· وبما أن غالبية العينات من الذكور طلبة فان أغلبهم مقيد بمقاعد الدراسة فلهذا نجد أن نسبة من يقرأ منهم الصحف صباحا ضئيلة جداً (١٢٪) ·

مصادر المعلومات الجادة :

أوضحت الدراسة أن غالبية المفحوصين (٥٠٪) أكدوا على أن الصحافة وحدها هى وسيلتهم للبحث عن معلومات جادة · بينما يرى (٤٤٪) ان الصحافة والتلفاز معا هما وسيلتان للمعلومات الجادة فى حين أن نسبة الذين اعتبروا التلفاز وسيلة للحصول على المعلومات الجادة نسبة ضئيلة جداً (٦٪) ·

التسلية كوظيفة من وظائف الصحافة والتلفاز :

أوضحت الدراسة أن غالبية المفحوصين ٥٠٪ أكدوا على أن وسيلة التسلية لديهم هو التلفاز فى حين أشار البحث أن نسبة ٣٤٪ منهم تذكر أن الصحافة والتلفاز معا وسيلتان للتسلية ، وبلغ الشعور عند بعضهم بن الصحافة وسيلة للتسلية فكانت النسبة لذلك (١٦٪) وبرامج التلفاز أوضحت الدراسة أن التلفاز يحظى بجاذبية أكثر حيث بلغ عدد الذين اعتبروه كذلك (٥٤٪) والعكس عند الصحافة (٤٦٪) ويرجع السبب فى ذلك ان التلفاز يتميز بأنه يجمع بين الصوت والصورة وما فى ذلك من اثارة ، الاضافة الى سهولة العرض والتناول بينما يرى الآخرون أن الصحافة جذابة أكثر بما تحمله من الكم الهائل من المعلومات التى تعرضها والتى يمكن الحصول عليها فى أى وقت ·

البرامج الأكثر جاذبية فى التلفاز :

ان نسبة ١٩٪ من العينات التى جرى فحصها تشدها البرامج الدينية ثم تليها البرامج الرياضية ، اذ انها تحظى بنسبة (١٦٪) ثم البرامج الترفيهية (١٤٪) ·

الآراء حول تطوير برامج التلفاز :

١ ـ وجوب اضافة برامج الصحة النفسية والطبية عموما ، والطب الشعبى على وجه الخصوص ·

٢ ـ تعليم اللغات ·

٣ ـ **البرامج الثقافية والأدبية ٠**

الآراء حول تطوير المواد الصحفية :

١ ـ صفحات الأطفال ٠

٢ ـ وقضايا الطفولة ٠

٣ ـ والصفحات الدينية والتعليمية ٠

ما تتميز به الصحافة عن التلفاز :

ـ التغطية الكاملة للأحداث السياسية والاقتصادية ٠

ـ المدفوعات ، والأخبار العلمية والأدبية (**والمعارك الأدبية**) ٠

ما يميز به التلفـاز عن الصحـافة :

١ ـ الدرامـــــا ٠

٢ ـ الجاذبية بشكل عام ٠

٣ ـ الاثارة من خلال الصوت والصورة ٠

تأثير التلفاز على الصحافة :

يلاحظ أن غالبية العينات التى جرى فحصها (٨٤٪) ذكرت أن التلفاز لا يؤثر ويأخذ من أوقاتهم المخصصة لقراءة الصحف ٠

ولعل ذلك راجع الى أن الشباب توفرت لديهم كل مطالب الحياة بحيث لم تعد هناك عند الكثير منهم حاجة للعمل أثناء الدراسة فلذلك يجدون الوقت الكافى لقراءة الصحف ومشاهدة التلفاز دون ان يطغى أحدهم على الآخر فى حين لم تخل الدراسة من ذكر (١٦٪) من الشباب الذين جرى فحصهم الى أن التلفاز على حد قولهـــم قد سحب الوقت المخصص لقراءة الصحف ٠

ونخلص من ذلك أن نتائج الدراسة آنفة الذكر سحبت البســاط من تحت أقدام التلفاز لأسباب جرت الاشارة اليها سلفا ، وهذا لا يعنى أن البرامج التلفازية والمواظبة عليها لم تلاق التفاتا من العينـــات التى جرى فحصها بل انها لاقت اهتماما وقبولا لدى المفحوصين وان قلت نسبة وقت المشاهدة لها عن وقت قراءة الصحف ، وفى جانب آخـــر تساوى الوقت فيها ، وكما وضح فى الدراسة أن ثمة آراء ومقترحات تقدم بها أفراد العينات التى جرى فحصها فى تلك الدراسة الموضحـة أعلاه تطلب تطوير البرامج التلفازية ، وتطوير المـــواد الصحفية ، والخدمات الاعلامية بوجه عام ، وهكذا نرى ان الطلاب (**من الجنسين**)

قدموا محاولات لدراسة علمية يتدربون عليها (في مراحل البكالوريوس) تمهيداً لاعدادهم بأن يكونوا في المستقبل باحثين وان كانت منهجية البحث وأدواتها العلمية لم يكتمل نموها بعد بدرجة أكاديمية لعمل بحث متكامل يمكن أن نقول عنه أطروحة علمية وفق اطار أو مفهوم علم المنهج (Methodology) فالدراسة التى تحدثنا عنها سلفا والتى تم اعدادها من قبل الطالبتين ما هى الا تدريب عملى فى تطبيق منهج بحث طلابى يعطينا تصوراً لمرحلة بدائية ربما تتطور فى المستقبل الى بحث علمى اجرائى متكامل النمو والتكوين البيولوجى لمفهوم علم البحث ، هذا العرض الموضح أعلاه لمثل تلك الدراسات الطلابية يدحض المزاعم التى تتهم الجامعة بالقصور على تدريب الطلاب تطبيقيا وعمليا لمادة مناهج البحث العلمى التى تدرس اجباريا على طلبة الجامعات من الجنسين فنحن أساتذة الجامعات لم نهمل طلابنا أو طالباتنا من الاجراء العلمى للبحوث العلمية فى مرحلة البكالوريوس ، بل نكلفهم بها تحت اشرافنا وتوجيهنا ونشجعهم على ذلك ونقدم لهم الحوافز التشخصية من الدرجات العلمية التى تساعدهم على ارتفاع معدلاتهم اذا اتقنوا صنعة البحث العلمى بالمفهوم المنهجى الذى يدرسونه فى مادة مناهج البحث أو فى غيرها عند بعض الأقسام العلمية ، كما أننا نحثهم على مراجعة المكتبات الجامعية بشكل مستمر أثناء مرحلة البكالوريوس ، ونطلب منهم الاطلاع على الاطروحات العلمية فى مجال تخصصهم والتى ما أكثر وجودها فى سقف المكتبات العلمية للاستفادة منها كما نطلب منهم تلخيص بعض المراجع العلمية الموجودة فى مكتباتنا بهدف اثراء المعرفة فى مجال التخصص وفى تعددية المراجع وهذا ما أدى بالتالى الى نمو مدارك المعرفة لدى طلابنا (من الجنسين) أفقيا ورأسيا فالذى قدمناه من النموذج لذلك البحث المذكور أعلاه يجعلنا نتفاخر ونعتز بالقمة العلمية التى خرج بها على سبيل المثال لا الحصر الطالبتين اللتين استطاعتا أن تقدما لنا بحثا علميا أكاديميا فى مرحلة التجربة لاتقان أساليب المنهج العلمى للبحوث العلمية الأكاديمية ، وقد جرت الدراسة على اختيار العينات العشوائية من طلاب الجامعة (من الجنسين) فى الوسط الجامعى وهى بعنوان تعرض الشباب الجامعى لوسائل الاعلام (الصحافة المقروءة والمرئية) أرجو الاستفادة منها ، حتى ولو كانت طلابية ، وهى جنين خرج من رحم أمه ، فلا بد ان كان له عمر يكبر وينمو وتكتمل مراحل تطوره ، وهكذا نرى أن دور الجامعة فى بناء طلابها لا يتوقف على تدريس الطلاب المقررات الدراسية كقوالب جامدة (استاتيكية) بل بـ (ديناميكية) متحركة تقوم على تلقين الطالب للعلوم بشكل نظرى وبتطبيق عملى من خلال تقديم النماذج التى

يقوم باعدادها الطلاب تحت اشراف وتدريب أساتذتهم ونتمنى من الله أن نصحح المفاهيم الخاطئة المأخوذة عن الجامعات انها لا تخرج طالبا منتجا بل تسعى الى تخريج طلاب مستواهم العلمى متدن ، وكأن الجامعات تقع عليها مسئولية اخفاق بعض الطلاب فى مستواهم العلمى الذى أساس بنائه فى المراحل التعليمية قبل الجامعة هش وضعيف وغير قابل للاصلاح العلمى وليس لديه الاستعداد فى أن يبرز علميا وان يكون مبدعا ومنتجا فى تخصصه ولماذا لا ينظر أولئك الذين يحملون الجامعات ، فوق طاقاتها وفوق امكاناتها ودون مسئولياتها عذراً للجامعة ، وهم يدركون تمام الادراك أن البنية الأساسية للتعليم تحتج الى غربلة ، ومراجعة فى تطوير مناهجها العلمية ، والتى دعا الى تطويرها خادم الحرمين الشريفين لتكون مواكبة مع معطيات العصر الحديث فى علومه وتكنولوجياته وهكذا دواليك ، ويكفى الجامعات فخراً واعتزازاً بما قدمته من خدمات لخريجين متفوقين استفاد منهم المجتمع انتاجا وفكراً وعطاء حتى ولو كانت نسبة هؤلاء الخريجين فى المعدل الوسط من الكم الهائل فى عدد الطلاب الذين يلتحقون فى الجامعات فى كل عام وهكذا نقدم الطالبتين اللتين أجرتا البحث الاستطلاعى عن برامج التلفاز السعودى وعن القراءة لصحف المحلية كما جاء ذكره سلفا ضمن الدراسات التى أجريت على طلاب الجامعة والباحثين نذكرهما فى الهوامش (١) ٠

المراجـــــع :

(١) زكية جابر وكفاح درويش (**تعرض الشباب الجامعى لوسائل الاعلام (الصحافة والتلفاز)** دراسة على عينات من طلاب جامعة الملك عبد العزيز (**من الجنسين**) ميدانية استطلاعية كمى وكيفى ١٤١١ ـ ١٩٩٠ م ٠

التلفاز السعودى بين النظرية والتطبيق العملى (★)

اننا نبارك الخطوة التى اقدمت عليها وزارة الاعلام فى تطوير البرامج الاخبارية للتلفاز السعودى وأصبحت الأحداث العالمية تصل الينا بصورة حية من أرضها عبر التقارير الاخبارية التى يرسلها مندوبو التلفاز من انحاء العالم لحظة وقوعها فى خريطة البرامج الاخبارية التى مردودها الفعلى على المشاهد الذى يريد أن يلم بكل شاردة وغاربة عن الأخبار العالمية بالتفاصيل التقريرية الملتصقة بالأحداث الى جانب الصورة المتحركة الماثلة أمامه بالاضافة الى ما يذيعه التلفاز من أقوال الصحف المحلية وأحيانا العالمية وتعليقاتها ·

وبما أن البرامج الأخبارية أصبحت تشكل الأولويات للمشاهد فانها بالتالى تمثل له الجزء الأكبر من اهتماماته لانه يعيش فى دائرة ما أصبحنا نسميه فى الاصطلاح الاعلامى الحديث « القرية الاليكترونية » التى نشكل أحد أجزائها الجغرافية ·· وهذا بالتالى يعكس لنا أهمية الدور فى متابعة الأحداث أولا بأول ، واكتشاف ما يجرى من أمور دولية ترتبط بمصالحنا الاقتصادية والسياسية والعلمية والفكرية والاجتماعية وهكذا دواليك ·

ومن هذه الرؤية وتلك الانطلاقة فى تاريخ التحول الجديد أو التطور الذى حدث مؤخراً فى الشكل والمضمون اللذين ظهرت بهما فقرات نشرات الاخبار وبقية الفقرات المتابعة لها يعطينا مؤشراً ان التلفاز السعودى يسعى حثيثا فى تطوير برامجه الأخرى الثقافية والدينية والدرامية وغيرها ·· وتكون الخطوة الأولى البرامج الاخبارية ·· وهذه احدى مراحل التنفيذ فى الصورة العملية ، وستتبعها خطوات أخرى على خريطة البرامج الأخرى آنفة الذكر ·

(★) مجلة اقرأ - العدد - « ٨٣٨ » - ١٤١٢/٤/٢٤ هـ ·

وحسب مانما الى علمى أن ثمة دراسات معدة لتنفيذ العديد من هذه البرامج على خريطة التلفاز شارك فى تخطيطهـــا فريـــق من المتخصصين الاعلاميين ورجال الفكر والثقافة ٠٠ وفى رأيى أن مثل هذه المخططات القائمة على الدراسات العلمية والاستطلاعية ستحقق نجاحا أكبر فى احتواء عدد كبير من المشاهدين وحتى لو تم تنفيذهـــا عكس مراحل متقدمة وهذا ما تدعو اليه الخطط الحديثة التنموية فى سياسة الخطوة خطوة التى تقوم على رسم الأهداف وتنفيذهـا وفـــق محددات الدراسة العلمية لها وهذا فى حد ذاته يعكس حركة النمو فى رد الفعل لها والقياس لنجاحها وفق الخطط المبرمجة لها ٠

واذا نجح التلفاز فى أن يحقق شيئا ما فى خدماته الاعلامية وفق ابعاد الخطوة التى يسعى اليها فى تحقيق أرضاء أذواق المشاهدين من خلال البرامج التى يقدمها ٠٠ فانه بالتالى يستطيع أن يحقق لنفســـه حضوراً أكبر من الجمهور حول شاشته الفضية ٠٠ وهذا فى حد ذاته انجاز عظيم فى تاريخ التطور الذى يحققه لذاته ، وللجمـــاهير التى تتابعه ٠٠ وبمعنى آخر أن الدور الذى يقوم به التلفاز فى خدمة الجمهور خرج الى وضع أحسن ، وأكثر تقدما وحضارة وفق معطيات العصر الحديث الذى يدعو الى الاهتمام بتقديم البرامج المتطورة التى تخاطب انسان العصر الحديث وهذا ما تحقق من ذلك التطور الذى لمسناه فى البرامج الاخبارية التى قدمها التلفاز السعودى بشكلهـــا الحـــديث مضمونها ، وشكلا واخراجا فى المنهج الذى أشرنا اليه سلفا والذى جاء ليعبر عن لغة العصر الحديث ، ويأتى بنقلة جديدة نتطلع من ورائها الى المزيد من التقدم فى اثراء حركة التطور باعـــداد البرامج الثقافيـــة والدينية ، والدرامية وغيرها ، التى ترضى أذواق الجميع وتنمى حركة الفكر وتدفع به الى الرقى والحضارة التى تشهدها بلادنا فى كافـــة المجالات الانسانية والعلمية والتقنية وغيرها ٠٠ وبخصوصا واننا فى التريب العاجل سنواجه تحديا كبيراً فى قدوم البث المباشر عبر الفضاء والذى يتطلب منا أن نواجهه ببرامج فكـرية وفنية متطـورة فى كـــافة المجالات الانسانية والعلمية والسياسية والثقافية والاجتماعية وهكذا دواليك ٠٠ كاجراء وقائى وتحصنا منه ٠

استخدام المشاهير فى الاعلام وأثره على حياة الفرد والمجتمع (★)

لا يتوقف اعجاب الفرد بالشخصيات المعروفة على المستوى المحلى أو العالمى، وهو ما يطلق عليها المشاهير فى المجالات المختلفة عند حدود التعبير عن هذا الاعجاب باللفظ فى المجالس الخاصة ، والعامة ، بل يتعدى ذلك عند بعض الفئات ،وبالنسبة لبعض المشاهير ، وبصفة خاصة المشاهير فى المجالات الفنيـــة الى حد محـــاولة تقمص هذه الشخصيات أو هؤلاء المشاهير ، ومحاكاتهم فى الســـلوك بمظاهره المختلفة من ترديد الأقوال والعبارات التى يرددونها فى بعض الأعمال ، أو يحاكونها فى بعض أفعالهم ، وتصرفاتهم مثل طريقة الملبس والسير أو المأكل والمشرب ، حتى أصبحت مثل هذه المظاهر السلوكية معروفة لدى الأفراد عند بعض الفئات فى المجتمع ٠

وتصبح هـذه المحـاكاة أو محاولة تقمص هـذه الشخصيات فى سلوكها ، وتصرفاتها على مراحل الارتباط بها بحيث يحرص الأفـراد على متابعتها ومتابعة ما ينشر أو يكتب عنهم ٠

وبحيث تصبح رؤية هذه الشخصيات أو هؤلاء المشاهير فى وسائل الاعلام مثيرة لديهم يستدعون من الذاكرة ما ألفوه أو ما أخذوه عنهم ٠

واستغل خبراء الاعلان هذه الظاهرة السلوكية لدى الأفراد فى استغلال توظيف هؤلاء المشاهير أو الشخصيات المعروفة فى الاعـــلان عن السلع بأنواعها بتأكيد الارتباط فى المشاهدة بين السلع وهـــؤلاء المشاهير وذلك فى اتجاهين :

الأول : التأكيد على استخدام هؤلاء المشاهير فى الاعلان فيزداد تسويقها نتيجة محاكاة الأفراد لهؤلاء المشاهير فى استخـــدامها مثل العطور والملبوسات أو الجواهر أو السيارات ٠٠ وغيرها من السـلع التى تظهر من خلال الاعلان أنهم يفضلونها ٠

(★) جريدة البلاد ـ العدد « ١٠٤٨٥ » ـ الثلاثاء ٢٢ رمضان ١٤١٢ هـ ٠

الثانى : الربط بين مشاهدة السلع أو رؤية هؤلاء المشاهير فى وسائل الاعلان المختلفة وتظهر أهمية ذلك فى التسويق عند أستدعــاء صورة الشخصيات المعروفة أو المشاهير حتى يشاهد الأفراد السلعة أو العكس ، وبالتالى يتحقق التفضيل لهذه السلعة فى السوق أو فى منافسة السلع الأخرى ·

ومن ذلك يتضح أن أهداف توظيف هؤلاء المشاهير في الاعــلان هى أهداف ترويجية وتسويقية بالدرجة الأولى ، ذلك ان استخدامهــا مازال حتى الآن محصوراً فى الاعلان التســويقى ، وان كانت بعض الدول العربية مثل مصر على سبيل المثال ، قد بدأت تستخدم هــؤلاء المشاهير فى حملاتها الاعلامية المخططة التى تهــدف الي التوعيــة والارشـــاد ·

واذا كانت الأهداف ترويجية أو تسويقية بالدرجة الأولى ، فهى تنعكس بالتالى على تعزيز ودعم الحركة التسويقية فى المجتمع لمنتجاته الوطنية ، مما يؤدى الى نتائج ايجابية للفرد والمجتمع ·

اما محاذيرها فهى تختلف من مجتمع لآخر خصوصـــا بالنسبة للسلع المستوردة المنافسة للمنتجات الوطنية أو اشــارة للتطلعات الى اقتناء بعض السلع التي تخرج عن دائرة دخول بعض الفئات انقيادا وراء هذا الاعلان ومحاكاة للشخصيات التى تقوم بدور فيه ، وكلنـــا بعلم ما تؤدى اليه التطلعات مع قصور الامكـــانات من نتائج نفسية واجتماعية سلبية عن الفرد والمجتمع ، واذا كان هذا الاتجاه الاعلانى أصبح يستخدم بتوسع فى الاعلان التسويقى بالمملكة ، فيجب أن توضع له ضوابط التى تضمن عدم الانحراف بنتائجه الى الاتجاهات السلبية التى تضر بالمجتمع ، وليس أقل من التدقيق فى اختيـــار الشخصيات الاعلانية بحيث ترتبط شهرتها أو ذيوعها بين الأفراد بعمل يرضى عنها المجتمع بقيمه وعاداته وتقاليده ، والا تكون هذه الشخصيات قد مارست أعمالا ورددت أقوالا تتنافى مع تعاليم عقيدتنا الاسلامية السمحة ·

بالاضافة الى عدم الاعتماد على هذا الاتجاه فى دعم الاتجاهات الاستهلاكية البحتة عند الأفراد التى تؤثر فى الانفاق العـــام ، دون الاتجاهات التنموية ·

والحذر البالغ فى الاعلان عن السلع التى تثير تطلعات الأفـــراد وتفوق قدرات المواطن العادى ، فيؤثر سلبيا على الفرد والمجتمع كما ذكرت آنفا ·· وهذا ما نقف عنده بكـل حــذر ، ودقــة ، والله ولى التوفيق ·

الإعلام والغزو الفكرى

أصالتنا واعلامنا بين المصطلح والممارسة (★)

ان المصطلح الذى شاع استخدامه منذ حــوالى مائة وخمسين عــاما تقريبــا هو كلمة عرفت فى اللغات الأوروبية من شقين (Folk) بمعنى شعب و Lore وهو ما يشير الى العادات والتقاليد ، وكل ما يتمحور من فنون وممارسات تعبيرية تمارسها العامة فيتكون مــن مجموع تراكماتها تراث شعبى فنى ، وأحيانا شبه علمى يعرف اصطلاحا بـ « فولكلور » أى التراث الشعبى ، والثقافى والفنى ، وربما الأدبى ، والعلمى أيضا الذى يبقى فى أوساط العامة ، وهذا كله يمثل الشعب فى أوساطه البسيطة ، وما تحمله عبر الأجيال المتعاقبة والسنين مــن تجارب ، ودراية ، وحنكة تسمو بها الى درج من درجات الحكمة ٠

وقد ظل هذا التراث الشعبى سنين طويلة مهملا من قبل صــــفوة العلماء والدارسين ، والمثقفين ثقافة عالية بصفة عامة الى أن تنبأ علماء العصر الحديث منذ نحو قرن ونصف القرن من الزمان الى أهمية هــذا التراث ، ويظن أن العالم الانجليزى (سير جون وليام تومز) حــوالى عام ١٨٠٣ م لفت الانظار الى أهمية التراث الشــــعبى الذى أسماه (الفولكلور) ومنذ ذلك الحين أخذ هذا المصطلح يترسخ فى ميدان البحوث والدراسات العلمية والأنشطة الثقافية حتى بدأ مع الـــزمن يستغل بمصطلحات وأدوات علمية وفنية خاصة به ٠

لقد اختص علم (الفولكلور) بدراسات الانسان من ناحية قدراته الابداعية ، واثاره الفنية وتقاليده ، والأمثال الدارجة واغانى العمل ، وغير ذلك من فنون الأدب الشعبى والحكايات والقصص والأساطيــر

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٧٥١ » ــ ١٤١٠/٦/٢١ هـ ٠

التشكيلية ، كالصور والأشكال والأنغام الموسيقيــة ، والحركــات الراقصة التى يمارسها بعفوية وتلقائية ، والتى أصبحت فى مر السنين والأيام تعبيراً فرديا أو جماعيا وتتناقلها الأجيال المتعاقبة شفاهة دون تحديد لمؤلفها أو مبدعها فى معظم الأحيان ·

لقد أصبحت بالتواتر مجهولة الأصل فى معظم الأحيــان ، وان كانت المنبع لانها الميراث الحقيقى من الأعماق المترسبة من الممارسات القديمة للشعوب ، وهى فعلا عن ابداعات الناس جميعا ، ولا نستطيع أن نؤكد أن هذه الفنون ، والآداب ، والعلوم الشعبية تحتفظ على مــر السنين بأصولها الأولى الموغلة فى القدم بل الطبيعى انها يطرأ عليها بمرور الزمن تطور تدريجى ، كما هى سنة الحياة فى كل شىء يتغير من جيل الى جيل خلال تناقلها من عصر الى عصر بكثير أو قليــل من الاضافات الابداعية أو الحذف أو التعديل ، ولكن بصورة تلقائية غيــر منظورة ، ويكون من نتائج هذا التغيير مثلا اختلاف الآلات والأدوات المستعملة فى الموسيقى ، وفى أدوات الزينة والاثاث والحركات الراقصة وغير ذلك من الملامح العامة أو الخاصة ·

ويدخل فى علم (الفولكلور) كل مجالات التعبير والابداع الفنى من الشعر والاغنية وما قد يصل الى مرتبة الملاحم التاريخية مثل ملحمة « جلجامش » التى اكتشفها الدارسون من حياة شعب بابل القــديم فى بلاد الرافدين ، والأساطير والطقوس والعادات الاجتماعية والتقاليد فى الحياة اليومية والموسيقى بمختلف أدواتها والاتها يدخل فى ذلك ، مثلا التصفيق بالأيدى وهز الرؤوس والبطون ورموش العين والأصابع والألعاب الشعبية للأطفال والكبار ، كما يهتم (الفولكلور) بالدراسات الخاصة بالوصفات الطبية والعلاج الشعبى ، ومختلف فنون السحر ، وتحضير الأرواح ، وعرائس اللعب للبنات ، وأدوات الزينة والعطور والرسم (بالحناء) وسائر فنون الرسم والتطريز والأزياء ، ويختلف ذلك كله من بيئة الى أخرى حتى فى اطار الوطن الواحد ، فمثلا بعض العادات الشعبية تختلف فى نجد ، فبينما يرقص العامة فى الحجــاز (رقصة المزمار) بالعصى مصحوبة بالتصفيق باليدين على ايقــاع موسيقى معين ، فان العرضة فى نجد تكون على دقات الطبول بمصاحبة مرددين بالأناشيد مع التلويح بالسيوف بحركات تختلف أيضا عــن الرقصات الشعبية فى الجنوب أو على الساحل الشرقى أو الغربى · وهكذا فان اختلاف البيئة يلون التراث الشعبى والفنى والأدبى أو شبه العلمى بلون خاص فى كل بيئة خاصة ، وكذلك ممــا سبق ان لمحنــا ان التطورات الاجتماعية لها تأثير واضح فى تطوير سائر الفنون الشعبية

(الفولكلور) فى جميع البلدان ، فانها أيضا تستطـرد فى النمـو والازدهار حسب تغير وازدهار الشعوب المختلفة نفسها مع الأخذ فى الاعتبار ما يأتى من اضافات أو تداخلات من خـلال ظاهرة التأثير والتأثر التى أصبحت فى عصرنا الحاضر أكثر انتشاراً ، وأكثر فاعلية وسرعة بسبب تطور أساليب المواصلات والاتصال الاعلامى الشخصى المباشر الجمعى والجماهيرى الذى يتمثل من خلال الرؤية فى الاذاعة المرئية التى تنقل كثيرامن شاهد الحياة العامة من بيئة الى اخرى · محدثة بذلك تلاحقا سريعا لم يكن مالوفا من قبـل فى ميدان التراث الشعبى وما يطرأ على مؤثراته من نماء أو طموح ، وان كنا لا نعنى بالضرورة من خلال هذا التلامح الاشـارة الى التطـور أو التغيير · ولكننا نعنى على وجه التحديد وسائل الاعلام الحديثة من تحريك سريع وفعال وحيوى لتبادل التأثير والتأثر أفقيا ورأسيا فى الامتداد أو العمق فى ميدان المأثور الشعبى أو ما يعرف اصطلاحا بـ « الفولكلور » ، وان كان هذا التشابه فى الأغلب و الغالب ليس فى التفاصيل الدقيقة بـل فى الأصول والجذور والخطوط العامة ، وهذا دليل بلا شك على وحدة شعور الانسان العام عند كل البشر ، وهى الوحدة التى تؤكد تحدرهم من أصل واحد ، وهى الحقيقة الخالدة التى نص عليها القرآن الكريم فى صورة الحجرات فى قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعـلناكم شعوبـا وقبـائل لتعارفوا) · صدق الله العظيم »

ويتنبه الدارسون المتخصصون من زيادة اهتمامهم بالمأثور الشعبى ، وكل ما يتمحور حوله ويتفرع عنه ويتصل به أصبح (الفولكلور) فى الحياة المعاصرة فى عالم اليوم يمثل أساسا مهما من أسس النشـاط الجماهيرى عند الأمم ، ووسيلة فعالة من وسائل التواصل الانسانى العام بين مختلف شعوب الدنيا التى تتعرف على جوهر الانسان فيها من خلال تراثه الشعبى الأصيل فى مهرجانات ، ولقاءات محلية ، أو عالمية ، يلتقى فيها المختصون ، والمهتمون وعامة الناس لقاء تعـارف وآراء وممارسة تنشط التواصل الانسانى وتبعث موروثاته الشعبية بعثا حيا ، كما يحدث فى بلادنا العزيزة فى كل عام فى مهرجان (الجنادرية) الذى يعتبر أعظم فرصة لاحياء الأصالة الشعبية ، وبعثها فى ممارسة عصرية تجمع بين القديم الأصيل والجديد المتطـور فى تفاعـل حيـوى يراه الجميع ·

ولعل المعارض الكبرى التى عـرفت ببـلادنا ، ومروراً بمعرض الحرمين الشريفين ، وبقية المعارض الأخرى كلها تمثل فرصا متاحـة

يبعث جوهر أصالة انسان هذه البلاد من خـــلال بعث تراثه الشعبى وموروثاتها وتفاعلها مع التطور الذى عاشه هذا الانسان فى خـــطط التنمية المباركة المتعاقبة التى قدمت مثالا فريداً فى الجمع بين أصول الجذور وامتداد التطور بلا جمود ، أو قصور ، ولعل فى هذا كـله ما يدفع وسائل الاعلام وفى مقدمتها الاذاعة المرئية « التلفاز » لخدمة هذا النشاط والتفاعل معه فى حيوية : نشرا بآثاره وتجـذبا لمنتائجه فى ضمير الانسان المتلقى ٠

المشعوذون ·· والغزو الفكرى (★)

نحن نؤمن بوجود السحر ·· والسحرة ، ولقد ورد ذكر ذلك فى أكثر من آية فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، ولكننا لا نؤمن بـ « الشعوذة » والمشعوذين ·

★ وهناك فرق بينهما ، ولقد أصبحت الشعوذة علما من العلوم الذى تفرد له العديد من مؤلفات الكتب التى تحتوى على طلاسم ورموز وجداول حسابية ، ونجد ان كثيراً من صحف الاثارة تهتم بـ «الشعوذة» ، ومؤلفاتها وبـ « أيديولوجياتها » وبمدارسها الفكرية ، ويأتى الاهتمام بهذه الكتب كـ « ضرب » من ضروب التسلية التى تقدمها للقراء ، ولم يتوقف الأمر على نشر أخبار الشعوذة والمشعوذين من باب « النزف الفكرى » أو « النزف الاخبارى » أو الطرفة ·· وانما تتجاوز صحف الاثارة عن هذه الاطر ، وتأخذ من الشعوذة مادة فكرية فى عرض كتبها على القراء ، ونشر بعض فصول هذه الكتب التى تتضمن شرحا وافياً عن الطلاسم و « الرموز » Code وغيرها التى تدخل فى باب العلم الخرافى أو « الأسطورى » وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ، أن احدى الصحف اليومية الموسومة بـ « صحافة الاثارة » ، نشرت قبل شهرين عرضا كاملا لفصول كتاب يتحدث عن علوم الشعوذة فكريا ونظريا ، وبالوقوف على فصول الكتاب المنشور فى الجريدة تبدو لنا الأيديولوجيات المضللة التى تروج لأفكار مسمومة ، ومحمومة هدفها الغزو الفكرى لشبابنا بزعزعة نوازعه الدينية ، ومحاولة احتواء فكره بـ « الاستلاب العقائدى » الذى يدعو الى الانغماس فى الشهوات الحسية والمادية التى تبشر بالنوازع الشيطانية فى استخدام أدوات

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ ٨٦٢ ـ ١٤١٢/١٠/٢٧ هـ ـ ٧١ ·

منهج الشعوذة فى تحقيق مطالب تلك الشهوات الحسية الغرائزية عن طريق الاسترجاع ، وغيرها من الغرائز الأخرى الموجهة الى أعمال الشر ، والذى يقف على أكثر من فصل فى الكتاب يجد من الجداول الحسابية والفلكية المستخدمة فى منهج الشعوذة التى ترشد أو تدل الى استخدام الطلاسم التى تشتم فيها رائحة الدعوة الى الشعوذة والتبشير بها كمعتقد وكأنما هى الأدوات التى يستخدمها المشعوذ فى تضليل أفكار الذين يؤمنون بها ويتخذونها تجارة رابحة لهم من حيث المعتقد والفكر متناسين تعارضها مع الدين الاسلامى والأديان الأخرى .

★ وكم حز فى نفسى ان الجريدة التى سلطت الأضواء على هذه الأفكار المسمومة لم تعلق ولا بحرف واحد على معارضتها أو حتى التعليق عليها بأفكار علماء الدين ، وعلماء النفس ، وعلماء الاجتماع وعلماء « الانتربولوجى » الذين ينبغى أن ينبئونا بآرائهم حول هذه الكتب الخرافية التى للأسف تجد من ينشرها فى أسواق الكتب العربية الاسلامية ، ولكن يبدو أن الجريدة تريد أن تسوق نسخها وتكتسب أكبر قاعدة من شرائح القراء لصالح الكسب المادى الذى يعود من هذا النشر ، فهى عندئذ لا تراعى القيم الانسانية والأخلاقية والدينية من هذه النوعية فى النشر ، وتركت كفة الميزان تتأرجح لصالح المادى .

★ وأحسب أن مثل هذه الكتب الرخيصة فكريا تشكل أكبر خطورة على فكر شبابنا اذا ما حاول هؤلاء الشباب قراءتها والتأثر بها فكريا وعقائديا ، وكما يبدو واضحا أن هذه المؤلفات عن الشعوذة التى لم يظهر لها مؤلف ، وأصبحت مشاعة بين الكتب ، وبين المكتبات لم يكن الهدف منها فقط الكسب المادى للناشر أو للمستفيد منها بوجه عام بل أيضا تتوارى فى خلفياتها حركة ماسونية موجهة ضد أبناء الاسلام وان من يقوم بدعمها وترويجها فى أسواقنا المكتبية هؤلاء الماسونيون وذلك بهدف الغزو الفكرى المسلط علينا .

★ فالغزو الفكرى لم يكن مرهونا على البث المباشر الذى سيأتى قريبا بل أيضا موجود فى مثل هذه المؤلفات ، وغيرها من الكتب والأدوات الأخرى التى تبشر بدعوات وحركات فكرية ماسونية ، وغير ماسونية .

★ والمكتبات المرئية والمسموعة والمقروءة مكتظة أدراجها بمثل هذه التناشير وبمثل هذه الأخبار أو « الأسفار » التى فى ظاهرها انبهار « أيديولوجى » أو فكرى وفى باطنها سم « عقائدى » استلابى لفكرنا ، ولثقافتنا .

ان من اكثر الأمور التى تثير فى مشاعرنا الخوف والوجل على مستقبلنا الفكرى والحضارى لا يتوقف على البث المباشر الذى سيأتى من الأفكار الغربية المتداخلة والتى قد يكون لنا فيها بعض المنفعة العلمية ، والتقنية اذا أحسنا الاختيار فى تنقية برامجها ، ولكن سيكون التجاوز عنها فى الأمور الاقتصادية التى تتمحور فى الاطار الثقافى الذى يحمله الاعلام التجارى الذى سينمط ثقافتنا وأيديولوجيتها وفق معطيات الغرب فى البرغماتية الاقتصادية وهذا ما ينبغى أن نوقف مده وان نكون حذرين منه ، واذا ما عدنا الى الشعوذة التى أصبحت هى الأخرى موجهة الى اقتصادنا عن طريق التوارى تحت النفق المظلم المسلط على بعض أولئك الأشخاص الذين وقعوا تحت تأثير المشعوذين الذين سلبوا أموالهم عن طريق الايهام النفسى أو « الايحاء السيكولوجى » بخروج كنوز الأرض من الذهب على وجوههم ، فهؤلاء صدقوا هذه اللعبة الشيطانية ودفعوا من الأموال الكثير للمشعوذين لقاء البحث والتنقيب عن الذهب الذى سيظهر على وجوه هؤلاء الضحايا ، وبلغت الأموال التى دفعت للمشعوذين الملايين وكانت النتيجة الاستيلاء على هذه الأموال المدفوعة ، والهروب بها الى خارج البلاد ٠٠

★ والشىء الذى يدعو للاستغراب ان هؤلاء الضحايا بعضهم من الطبقة المثقفة ، والبعض الآخر من أصحاب الأموال ، فلو وقف أحدهم ، وفكر قليلا ونظر بعيداً ، وحكم العقل والمنطق وصوت الضمير لما وقع تحت مؤثر هذا المخدر « السيكولوجى » الذى استخدمه هذا المشعوذ فى استلاب ثروته ، والاستيلاء عليها بطواعيته ، وبارادته السلوبة عن طريق الايحاء السيكولوجى ، فلو كان يستطيع هذا المشعوذ أن يخرج كنوز الأرض بهذه السهولة لما لجأ الى طريق ، الاحتيال ، والنصب وأخذ يبحث عن الأموال التى يسرقها بحجة البحث والتنقيب عن الذهب الذى يراه فى وجه ضحيته ، والتى صدق الضحية نفسه فيها ٠

★ لقد انتهت العصور الوسطى والحجرية التى أخذ الانسان فيها يصدق نفسه بأنه صاحب كنز ، وان الكنز لا يظهر الا على وجهه ، كفانا تخريفا ، وكفانا جهلا بواقع غير فكرى ، وغير منطقى ، واسأل الله تعالى التوفيق ٠ ،،

أين موقعنا من البث المباشر ؟ (★)

لا شك فى أن وسائل الاتصال الحديثة تلعب دوراً رئيسيا فى العلاقات الدولية من حيث انها تؤثر فى الرأى العام الدولى كما أنها تثير الكثير من المشاكل التى تهدد الجنس البشرى وذلك من خلال الصور التى ترسمها وسائل الاعلام للمجتمع الدولى ، فلقد أثير منذ عام ١٩٧٥ جدل دولى حول الكثير من المفاهيم المتصلة بذلك الدور لتبدأ عملية صياغة لهذه المفاهيم بشكل أكثر تحديداً ووضوحا ، وكان هذا الجدل يرتكز أساسا حول الشكوى من السيطرة الاتصالية المتقدمة ، « تكنولوجيا » ، والتى تحاول استغلال نفوذها لتحقيق مصالحها الخاصة ، وفرض « أيديولوجياتها » وثقافاتها مما يعرض الدول الأخرى الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل فى فقدانها لهويتها القومية ويشكل نوعا من التبعية الثقافية ، وفى هذا الاطار الدلالى ، والمعنوى والرمزى تتمحور فكرة البث المباشر D.B.S الذى يصل الينا بدون تحكم مبدبا دورا خطيرا فى تنميط ثقافتنا من خلال المعلن الدعائى لسلع انتاج الدول الصناعية المتقدمة ٠

ولما كانت هذه الدول تتحكم فى أكبر مساحة من خريطة المنتج الدعائى والاعلامى لذلك الارسال الدولى الذى تسميه مصطلحا فى ثورة الاتصال الحديثة بـ « البث المباشر » فعلى سبيل المثال لا الحصر ، اذا تحدث الاعلان عن الساعات السويسرية يذهب تفكيرنا الى الجهة المصدرة لها « سويسرا » واذا تحدث الاعلان عن الساعات ، أو السيارات أو « الاليكترونيات اليابانية » يتحول تفكيرنا وذهننا الى « اليابان » وهكذا دواليك ٠

(★) البلاد ، العدد ١٠٤٢٣ الاربعاء ٢٠ رجب ١٤١٣ هـ ٠

فالاعلان الذى نتصوره ترويجا للسلع لم يكن محصورا فقط على هذا الاطار المعرفى أو الدلالى أو الرمزى له ثقافيا بالتصور الذهنى الكلاسيكى الذى كنا نعرفه قديماً بل لأن الاعلان أصبح يتجاوز شكلا مضمونا لهذه الأطر الأفقية الرأسية بالمفهوم الضيق له اذ أن الذى يقوم بصناعته فريق كبير من علماء الاعلام والنفس ، « الانثروبولوجى » والسلوك ، وغيرهم ٠٠ فالذى يتحكم فى هذا الاعلان كوكبة من العلماء الحرفيين الذين يعرفون كيف يصنعون لغة الكلام ، ويلعبون بالألفاظ وينمطون الثقافات ، وينقنون ابداعا فى التحكم فى أفكارنا ، وثقافتنا ، وغرائزنا وفى كل الخلايا التى تجرى فى عروقنا وفى دمائنا وفى كل العوامل النفسية والسيكولوجية وغيرها فان الانفكاك من هذا التسلط الثقافى والدعائى الذى يأتى من الاعلان لا يبدو سهلا بل يصبح ضربا من ضروب الخيال وربما يكون مستحيلا ٠ فالاعلان الدولى أشد خطورة من الرسائل الاعلامية والفكرية ، فالغزو الفكرى يعتبر من الرموز التى لا يصعب علينا فكها فمفتاحها الوعى الثقافى والفكرى لانها تتضمن الفكر فى الكتب العلمية وغيرها من النشرات والبحوث العلمية ويكون توجيهها لطبقة المتعلمين والمثقفين ولكن الاعلان يشمل كل شرائح المجتمع ويغض النظر عن المستوى التعليمى والتعددية الفكرية لهذه المجتمعات ٠

وكم كان الاعلان له دور فعال مهم فى التركيز على الناحية الفسيولوجية التى ترتبط بغرائز الأكل والشرب ، وغيرها من الغرائز الأخرى ، فاذا كان الاعلان لا يتحدث عن السياسة والاقتصاد ويبتعد عنهما فانه لا ينأى بالتحدث عن العادات والتقاليد والقيم الأخرى التى تدخل فى باب الناحية الاجتماعية الثقافية ٠ فما يهمنا اليوم أن نكون واعين وبشكل جيد عن كل الثقافات التى يروج لها هذا الاعلان التجارى ليس على مستوى الترغيب الاستهلاكى للسلعة المنتجة بل لانه يتجاوزها الى أبعد من ذلك بكثير ، وبشكل خطير عندما يركز على اثارة كوامن غرائزنا الحسية ويدغدغها ثقافيا ناهيك عن ما يروج له من دعايات أخرى يخدم بها مصالح تلك الدول التى تنتج السلع الاستهلاكية التى لا غنى لنا عنها ٠

فعن طريق الوازع الدينى نستطيع ان نتحكم فى مردود تلك الدعاية الاعلانية التى تتجاوز حدود مفاهيمنا الجغرافية والتاريخية ، والحضارية و « البيولوجية » وأحسب أن الفرد ، والمجتمع اكثر وعيا

وفكراً من ذلك التأثير الاعلانى المضاد اذا ما أراد أن يحط من ثقافتنا ، وان يتحكم فى ارادتنا ونحن واثقون فى نهاية الأمر أن تقدمنا الحضارى والفكرى ووازعنا الدينى أقوى بكثير من تلك المؤثرات والمنبهات الاعلانية التى تركز على الايحاءات النفسية ، والغرائزية ، التى تخاطب بها عقولنا وغرائزنا فمجتمعنا اسلامى وعقيدتنا اسلامية ،محضة بكل الأدوات الوقائية ، ولم يبق أمامنا الا أن نتحدى هذا الغزو الثقافى الذى يخرج من رحم الاعلان التجارى ونصده بشكل قوى اذا خرج عن الالتزام الذى نعرفه ونتقيد به ٠

فالاعلان الاباحى لا وجود له على الاطلاق فى خريطتنا الاجتماعية والثقافية فكل مدرسة اعلانية تدعو الى الاباحية ، والى مخاطبة الغرائز الحسية نحاربها ونقف منها موقف المتشدد والتزمت والرفض ، وهكذا يكون الالتزام واجبا مقدسا ، ومفروضا علينا ، ونحن نشاهد مثل تلك الاعلانات التى تخرج عن الشرف ، والأخلاق ، ولا نضع لها أى موازين فى قانون العيب ، واحسب اننا مطالبون باعادة النظر فى تقويم برامجنا الاعلامية والثقافية والدينية وغيرها فى مواجهة مضادة لتلك الثقافة التى تهب علينا من رياح البث المباشر ، ونسأل الله التوفيق ٠ ،،

ماذا أعددنا للبث المباشر ؟! (★)

ان مصطلح البث المباشر يعنى فى هذا العصر غزواً يصعب التصدى له ، وذلك بسبب اختراقه للحوائط ، وبدخوله غرف نومنا حتى يصل الى أهدافه ·· وهذا الغزو يسمى بغزو التكنولوجيا و « الاليكترونيات»، والوقوف منه طريق صعب وشاق لانه ليس مثل الجيوش اذا أرادت أن تغزو دولة ما ، فان تلك الدولة المسلط عليها ذلك الغزو تستطيع ان تواجه العدو حسب امكاناتها وقدراتها القتالية ·· ويأتى العكس فى البث المباشر الذى مجاله الفضاء ووسائله الأقمار الاصطناعية ·

والبث المباشر فى غزوه لم يكن مقصوراً على دول العالم الثالث فحسب ، ولكنه أيضا مسلط على كل دول العالم المتقدمة ·· فتأثير هذا البث ، وما يحمل من أفكار ومعتقدات ·· وايديولوجيات متباينة سوف يشمل كل الشعوب كما ذكرنا آنفا على حد سواء ، وسوف يغير من انماط تفكيرها ، وثقافاتها بحيث يجعلها تصطبغ بهوية ، وشخصية ، وانتماء خارج اطارها القومى ، وهذا ما يؤدى بالتالى الى التبعية بالتخبط الثقافى الذى تعززه أدوات الغزو التى تمتلك التكنولوجيا المتقدمة فى مجال الاتصالات ·

والغزو بهذه الطريقة يعتبر من أخطر الهجمات فى العصر الحديث لانه يستطيع أن يتحكم فى قيم ومفاهيم شعب من الشعوب أو دولة من الدول لانه يفرض سيادته عليها – وهذا هو خطر الغزو الثقافى ·

وكما هو معروف لدى علماء الاعلام وعامة الناس ان وسائل الاعلام فى العصر الحديث هى من أحدث وسائل الغزو الفكرى والثقافى

(★) مجلة اقرأ – العدد – «٨٧٢» – ١٤١٣/١/٢٣ هـ·

فمن خلال هذه الوسائل يمكن غزو العالم بأقل التكاليف ، وأرخص الاثمان ، بينما نجد العكس فى الغزو العسكرى الذى يأكل المليارات ، ويخلف وراءه الخسائر المادية والبشرية ٠٠ وذكرت الاحصائيات العالمية بأن عدد العاملين فى قطاع الاتصالات فى عدد من الدول الصناعية يبلغون نحو نصف القوى العاملة فى مجتمعات تلك الدول ٠ كما أن حجم السوق الاعلامية فى الولايات المتحدة خلال عام ١٩٨٢ يصل الى (٢١) مليار دولار ، ومن المتوقع أن يبلغ حجمها عام ١٩٩٢ نحو « ٢٠٠ » مليار دولار أن لم يكن أكثر وذلك بزيادة تبلغ « ٧٩٠ » فى عشر سنوات فقط ٠

ومن هنا يتضح لنا مدى الامكانات المتاحة لسيطرة الاعلام على عقول وأفكار الدول وشعوبها ، سيأتى اليوم الذى نجد فيه أن الدول المتقدمة تزداد سيطرتها ، وقوتها الاعلامية على الدول النامية باستخدام الاقمار الاصطناعية ٠

والخطر الكامن من هنا بأن الافلام غير المناسبة والمنحلة سلوكيا سوف تصل الى الرجل العادى فى البلاد النامية ، وذلك بدون رقابة وبدون وسائل تحكم الا عن طريق محطة الارسال ولكن الخطر الأعظم ، والأكبر هو كيف يكون تأثير هذا البث على الأطفال ؟ ٠٠

ان هذا التأثير الذى استطاع ان يغير من انماط تفكير أصحاب العقول لم يصعب عليه ان يغير اتجاهات ، وأفكار الأطفال الذين لا يستطيعون ان يميزوا بين الجيد والردىء ٠

وفى الختام لا بد أن أتوقف أمام خطورة الاعلان التجارى الذى يستخدم وسائل الدراما فى العنف ، وفى الانحراف الخلقى الذى يدعو للاباحية ، وينادى بها ويخاطب عن طريقها الغرائز الحسية للشباب ويشحذ هممها ٠٠ باسم الاعلان عن السلع التجارية وهذا المنحى فى الاتجاه الايديولوجى لانتاج الحملات الاعلانية من بنات فكر شركات الاعلانات التجارية الامريكية ، والأوروبية ، وللأسف الشديد أخذ أحد منفذى الاعلانات التجارية فى احدى الدول العربية الشقيقة ينتهج هذا المنهج ولكن بأسلوب آخر بتحفظ نسبى حيث استخدم فى حملاته الاعلانية المرأة ذات الفتنة والجمال والاغراء كوسيلة من وسائل أدوات الحملة بصفتها مستهلكة للسلعة فقط ومغرية لجمهور الحملة ، وليست كمنتجة لها دور اجتماعى ، وسمو مكانى وأخلاقى تمثل فيه نصف المجتمع ٠٠ وأرجو أن نبتعد عن هذا الامتهان المبتذل للمرأة ، ولهذا الغزو الذى يأتى من بيئتنا ، ومن وسط مجتمعنا ، وهو أشد خطورة من الغزو الخارجى الذى نعرفه على الأقل ٠٠ والله الهادى الى سواء السبيل ٠ »

هل نجح الاعلام العربى فى مواجهة تحديات الاعلام الغربى والصهيونى ؟ (★)

لقد لعب الاعلام الصهيونى دورا كبيرا فى رسم صورة لاسرائيل وانجازاتها لتكون متوافقة مع تطلعات الغرب ، ومثله ومصالحه ، وفى الوقت الذى رسم صورة معاكسة للعرب ولحضارتهم ولقيمهم متناقضة تماما مع مصالح الغرب وقيمه ومواقفه الفكرية ، وانطلاقا من هذا التصور العاكس أخذ الأمريكيون يتعاطفون مع يهود اسرائيل ويتجاوبون مع دعاياتها ويتحيزون لسياستها المعادية للعرب •

ويعرف قاموس « وبستر » الصرة الذهنية بأنها مفهوم عقلى شائع بين أفراد جماعة معينة ، ليشير الى اتجاه هذه الجماعة الأساسى نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها ، أو جنس أو فلسفة سياسية ، أو أى شىء آخر •

وقد اتضح أن عدد كبيرا من صناع القرار لا يستجيبون للحقائق الموضوعية للمواقف ، بقدر ما يخضعون لتاثير ما لديهم من صور عن أنفسهم وعن العالم الذى يتعاملون معه •

ويدل استعراض الدراسات المختلفة فيما يتعلق بتصور الدول الغربية لشعوب وتراث الشرق الأوسط ، أن هذا التصور ليس تصورا متكاملا بل يقوم على مقتطفات مجزأة تتسم بالتحيز وعدم الوعى حتى فى مجال الدراسات العلمية ، والاكاديمية حول الشرق الأوسط التى أجريت فى الغرب ، غير ان التراث العربى ، والاسلامى ، تمت دراسته ومناقشته فى ضوء قناعات وتصورات مسبقة ، كما أن الذين قاموا بهذه الدراسات استهدفوا بالدرجة الأولى الدفاع عن المصالح السياسية والاقتصادية للغرب •

(★) مجلة اقرأ ـ العدد « ٧٧١ » ـ ١٤١٠/١١/٢٨ هـ ـ ٢١ •

وفى أثناء انعقاد مؤتمر الصحافة الدولية فى لندن يومى ٢٩ ، ٣٠ أيلول « سبتمبر » ١٩٧٩ والذى كان موضوعه الرئيسى « الصورة العربية فى الاعلام الغربى » ·· أورد البروفيسور جاك شاهين أسماء ما يزيد عن عشرين برنامجا ترفيهيا بثتها شركات التليفزيون الأمريكى وتعتبر من أشهر البرامج التليفزيونية الشعبية فى أمريكا وتتضمن كلها اساءات للعرب والمسلمين (١) ·

وفى مجال الاستشهاد بهذه الصورة السطحية المشوهة عن العرب ، نقل الباحث شاهين كلام الصحفى « مابروك » الذى ذكر ان كلمة عربى ترتبط بـ « الارهاب » ، الخطف ، عدم الاستقرار ، الغباء ، السفالة ، القسوة ، النفط ، المقاطعة ، الحظر ، الطمع ، الانقسام المثير للضحك ، التعذيب الوحشى ، المنازعات العائلية ، تجارة الرقيق ·

ان هذه السخرية تعكس تلك المعتقدات التى غالبا ما تكون مستترة برموز مغلقة كل ما فيها يستشف باثارة الخلاف والصراع بين التراث الغربى والتراث الشرقى الأوسط ، الى أن امتد الى مواجهة فكرية بين الاسلام والمسيحية وقد ذكر « ادموند سعيد » انه لم يكن باستطاعته ان يجد خلال أية فترة من التاريخ الأوروبى والأمريكى منذ العصور الوسطى أية مناقشة للاسلام خارج اطار من السخط والحكم المسبق والمصلحة الساسية ·

وقد ناقش « ادموند سعيد » بعض الأسباب التى أدت الى هذه الصورة المشوهة ، وجد ان الأسباب الرئيسية للتشويه ترجع أساسا الى أن الأمريكيين لا ينظرون للاسلام ككل ، ولكنهم يهتمون بجزئيات متصلة بمشاكل وقضايا خاصة مثل البترول ، وايران ، وافغانستان ، والارهاب ، وأصبح الاعلام الأمريكى يستند أساسا على الاهتمام بالقضايا المعاصرة المرتبطة بمصالحهم ، لا يهتم بالتراث والشعوب فى ذاتها وهذا أدى بالتالى الى خروج الصور الذهنية عن العرب لتأتى تعبيراً عن مصالح جماعات لها مصالح خاصة أو كنتيجة لمصالح سياسية أو اقتصادية معينة ·

وقد اشارت دراسات أعدتها الرابطة الوطنية للأمريكيين العرب نشرتها صحيفة الدستور الأردنية بتاريخ ١٩٨١/٣/٧ ، أن ١٧٪ من الكتب المدرسية التى تدرس فى أمريكا تحتوى على ٥٠٪ معلومات مدسوسة ومشوهة عن العرب والمسلمين ، وتحتوى على نسبة ٣٣٪ معلومات تحتاج الى تصحيح وتعديلات كثيرة ·

وتستغل الصهيونية الاعلانات التجارية استغلالا بشعا فى الاساءة للعرب والمسلمين ، ويتفنن اليهود الذين يسيطرون على غالبية وكالات الاعلان العالمية فى اظهار العربى فى اعلاناتهم بصورة الهمجى أو الغارق فى شهواته ، ويذكر الأستاذ / زياد أبو غنيمة فى كتابة « السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية » ، أمثلة بعض الاعلانات التى ظهرت فى التليفزيون الأمريكى عام ١٩٧٥ م ، فهناك اعلان تليفزيونى عن أحد أنواع الصابون وفيه يؤكد أن صابون « كذا » ينظف أى شىء ·· حتى العرب ، وفى دراسة لافتتاحيات « كذا » وجد ان هذه الافتتاحية تتحيز مع اسرائيل وضد العرب وتقدم تعميمات سخيفة عن العرب ، كما أظهرت هذه الدراسة بداية نحو اتجاه مؤيد للعرب فى الافتتاحيات فى السنوات الأخيرة ، وقد اتجهت الصحافة الأمريكية خلال سنوات طويلة وفى عام ١٩٦٨ م بالذات الى تأييد اسرائيل ومعاداة العرب بشكل مستمر ، الا أن هذا الاتجاه أخذ فى التحول خلال السبعينيات بشكل أكثر تفهما وتعاطفا فيما بعد سنة ١٩٧٣ م ، كما لوحظ انخفاض فى ظهور الكاريكاتيرات السياسية بشكل ثابت واتسمت الكاريكاتيرات التى نشرت فى العام نفسه بمناصرة اسرائيل وقدمت العرب بالعداء العنصرى ·

وفى دراسة أخرى عن صورة العرب والاسرائيليين فى صحف الولايات المتحدة ذكرت نادية سالم ان حرب أكتوبر كانت واحدة من تلك الأحداث التى أثبتت تأثير الأحداث فى تغيير الصورة السائدة أو تصحيحها ، ومن ناحية أخرى فان قرار حظر تصدير النفط العربى الى كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وهولندا ، والبرتغال وجنوب أفريقيا أثناء حرب أكتوبر ، وقرار تصحيح أسعار النفط أدى الى زيادة الاهتمام بالعرب وثرواتهم النفطية ، وعلى الرغم من أن تلك الأحداث قد أدت الى زيادة عداء الرأى العام الغربى للدول والشعوب العربية الا انها أرغمت أجهزة الاعلام الغربى على تغطية أحداث وتطورات السقياسة الفطية ، وابراز أهمية النفط · وبسبب تزايد اهتمام رجال الاعلام والأعمال السياسيين الغربيين بالدول العربية ، وتكرار زيارتهم لها بدأ الغرب يكتشف الوجه الآخر للحياة العربية ، حيث وجد ان غالبية العرب تعيش فى مجتمعات حضرية لا بدوية ، وان لديهم الكثير من القيم والانجازات الحضارية ، وانهم ليسوا على تلك الدرجة من التخلف التى وصفتهم بها الدعاية اليهودية الاسرائيلية ، ونتيجة

فالتطورات على الساحة العربية والدولية ، الاسرائيلية والفلسطينية أصبحت الأخبار التى تنقلها اجهزة الاعلام العالمية بما فى ذلك الأمريكية تميل الى ذكر الجوانب السلبية لممارسات قوات الاحتلال وحكومة اسرائيل العنصرية ، وهكذا أخذت الصور التى رسمها الاعلام الصهيونى والامريكى الاسرائيلى والدول الغربية تتغير تدريجيا ، اذ لم تعد صورة اسرائيل مثالية وصورة العرب غاية فى القباحة والعدائية (٢) ، ولكن مع ذلك لم نستغل نحن العرب مثل هذا التحول الذى تغير الى حد ما تغيراً فى الصور النمطية التى تعشش فى العقل الغربى منذ سنوات طويلة لترسم استراتيجية اعلامية فى العالم الغربى لتصحيح هذه الصورة المقلوبة عن العرب التى نجح الاعلام الاسرائيلى فى ترسيخها فى اذهان عقول الغرب ·

اذ لم يعد اعلامنا العربى الخارجى قادراً على مواجهة الدعاية المعاكسة له بنفس القدرة والكفاءة العالية والتقنية وأمور أخرى ، فهناك أسباب حالت دون هذا التقدم وتلك المواجهة وشبه عدم التواجد بالشكل المؤثر والفعال ، فكما ذكر الباحث محمد عبد العزيز ربيع فى بحثه . « الاعلام العربى فى الخارج (٣) » :

« انه بالاضافة الى صعوبة العمل فى بيئة غالبا ما تكون معادية وبامكانات مادية وبشرية ضعيفة ، فانه لا يتوفر لديهم القدر الكافى من المعرفة العلمية عن مجال الفعل الذى يمارسونه ، ولا عن متطلبات النجاح فى الواقع الذى يعيشون فيه » ·· ويضيف : « ان تتبع تجربة الاعلام العربى فى الخارج على مدى عقدى الستينيات والسبعينيات تثبت أن تغيير مديرى المكاتب وتبديلهم لم ينجح فى ازالة وقائع الفشل الذى مازال يحيط بالعملية الاعلامية ، فان عملية التغيير اذا أريد لها أن تنجح لابد أن تتجه الى تغيير السياسة الاعلامية ، ومنطلقاتها الأساسية والى تبديل أساليب العمل الاعلامى ، وأدواته والى استكشاف آفاق جديدة لم يجرؤ المسئولون الاعلاميون على استكشافها من قبل » ·

« ان مقاومة الدعاية الصهيونية فى كل من أمريكا وأوروبا تحتاج الى جهود كبيرة حتى تكسب الرأى العام العالمى ، وذلك عبر اعلام عربى مضاد وعلى مستوى من القدرة والكفاءة العلمية ، لكشف الأكاذيب والافتراءات التى نشرتها الدعاية الاسرائيلية » ·

ان أول مقومات المخطط الدعائى العربى المضاد أن يكون مرتكزاً على الأسلوب العلمى والحقائق العلمية المدعمة بكفاءة الوسائل ، وان

تكون وسيلة الأجهزة الدعائية في الخارج المبادرة واستباق الأحداث حتى تجعل الدعاية الصهيونية هى التى تلهث وراء الدعـاية العـربية ، وان توجه مخططا دعائيا مضاداً بكل اتجاه من اتجاهات المخطط الدعائى الصهيونى ، وهذا يحتاج الى المثقفين المزودين بالأساليب العلمية (٤) » ان المخطط الدعائى العربى المضاد يجب أن يتضمن :

١ ـ الاشتراك الفعلى فى المعارض الدوليـة بالاضـافة الى انشـاء المعارض المحلية ـ ولأن المعارض فى ذاتها تعتبر من أهم وسائل الاعلام قديما وحديثا ، وانهـا تعطى الأجانب فكرة صحيحة ودقيقة عن جوانب النهضة فى العالم العربى ، ولا بد أن تزود هذه المعارض بكل ما تحتاجه من نشرات وكتيبات دعائية واعداد الجوائـز المشجعة للزائرين (٥) ·

وقد أثبتت هذه الوسيلة نجاحها وذلك عندما قامت المملكة العربية السعودية بانشاء معرض « المملكة بين الأمس واليوم » والذى عرض فيه أهم انجازات المملكة ، ونجح هذا المعرض بأن يعطى صورة مشرقة عن المملكة وعن الاسلام والعرب بوجه عام ، بالاضافة الى أن المعرض أدى دورا فعـالا فى تصحيح الصـورة المشـوهة عن الانسان العربى والمسلم ، وكان ضربة موجهة الى الاعـلام الصهيونى ·

٢ ـ انشاء محطة اذاعية عربية لنشر الثقافة العربيـة الأصـيلة ، والتعريف بها واذاعتها بلغات متعددة ·

٣ ـ اختراق الاعلام الغربى وهذا يحتاج الى رؤوس أموال لتغطيـة تكاليف بث برامج تعكس الحضارة العربية والاسلامية ·

٤ ـ ان تقوم الجاليات العربية التى تعيش فى المجتمعات الغربيـة بنشاطات اعلامية محلية ، مستغلة المناسبات الدينية كأعياد الفطر والاضحى ، والسياسية للفت انتباه الانسان الغربى الى الجوانب الثقافية للحضارة العربية ·

٥ ـ عدم البقاء سلبيين تجاه ما يبثه الاعلام الغربى من صور سلبية وغير حقيقية عن العرب ، وذلك عبر الاتصال بالوسيلة الاعلامية التى بثت الخبر والاحتجاج عـلى ذلـك حتى لا تتكرر مثل هـذه المحاولات ·

٦ ـ تكوين منظمات سياسية ، واجتماعية وعلمية فى البلاد الغربية ،

وتتضمن الصفوة من أبناء الجالية العربية أو ذوى الأصـــول العربية ، وذلك بعقد الندوات العلمية أو الخطابات التى تسـاهم فى توضيح الصورة الحقيقية للانسان العـربى ، على غـرار ما تقوم به منظمة الأمريكيين العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ذكرت مجلة « كل العرب » الصادرة فى لندن فى عددها رقم « ٦ » الصادر فى ٦ تشرين الأول عـام ١٩٨٢ م أن لجنة الأمريكيين العرب المعادية للتمييز العنصرى فى الولايات المتحدة ، تمكنت عن طريق المحاكم من سحب اعلانات تجارية تسىء للعرب بشكل مشين ، كما انها تمكنت من الغاء استعراضات فنية اعلانيـة فيها تهكم على العرب ·

وبعد أن استعرضنا بايجاز أهم النقاط التى يجب أن نأخذها فى اعتبارنا من خلال رسمنا للسياسة الاعلامية فى الخارج ، لمواجهـة الدعاية الصهيونية وما ينبغى أن تقوم به من أدوار مختلفة للوقوف فى وجه هذا البركان الاعلامى الموجه ضدنا من الصهيونية وعملائها من أميركيين وغيرهم ، ما أحوجنا اليوم الى التكاتف العربى فى التربص والترصد والتعامل الحذر مع عدونا ، الذى يحاربنا بالحرب الباردة من خلال وسائله الاعلامية المتطورة تقنية ، والمتقدمة علمية ولعلنـا نعود مرة أخرى ونذكر أن سياسة الاعلام الخارجى العربى تحتاج الى دراسة متطورة مبنية على المعلومات الدقيقة ، التى تنطلق من المتابعـة المستمرة فى التحرك الاعلامى الصهيونى الذى لا يهمه فى العالم الخارجى سوى تشويه سمعتنا بأخباره الملفقة ومحاولته لضرب قيمنا وحضارتنا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ·

---

(١) زياد أبو غنيمة « السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية » دار عمار للنشر والتوزيع ــ عمان ــ ١٩٨٤ م ص ٦٩ ·

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة ــ الاعلام الصهيونى أطروحـات ومواقف ــ الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين تونس ١٩٨٦ م ص ٨٧ ، ٨٨ ·

(٣) عبد القادر طاش ·· « الصور النمطية للاسلام والعرب فى مرآة العالم الغربى » « شركة الدائرة » للاعلام المحدودة ــ الرياض ــ ١٤٠٩ هجرية ــ ١٩٨٩ ، ص ١٠٧ ·

(٤) محمد عبد العزيز ربيع ــ الاعلام العربى فى الخارج ــ الفشل ومتطلبات النجاح شئون عربية « تونس » العدد « ٣٨ » ١٤٠٤ ــ ١٩٨٤ م ، ص ١٤٠ ·

(٤) فتحى الابيارى « الاعلام الدولى والدعاية » ، دار المعرفة الجامعية اسكندرية ــ ١٩٨٨ م ص ٣٢٤ ·

(٥) عبد اللطيف حمزة ــ « الاعلام له تاريخ ومذاهب » دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ــ ١٩٦٥ ، ص ١٩٣ م ·

المعادلة الصعبة في تطبيق التوازن
بين مصالح الدول المتقدمة والنامية (★)

تلعب وسائل الاتصال فى معالجتها لموضوعات دولية دوراً رئيسيا فى العلاقات الدولية ، حيث تؤثر فى الرأى العام الدولى كما أنها قد تثير مشاكل تهدد حياة الجنس البشرى . وكما يشير « ماكبرايد » رئيس اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال وفى تقرير اللجنة النهائى بعنوان « أصوات متعددة وعالم واحد » فان وسائل الاعلام تلعب دوراً حيويا فى التأثير على الرأى العام الدولى .

ومن هنا فقد اثير منذ سنة ١٩٧٠ م جدل دولى حول الكثير من المفاهيم المتصلة بذلك الدور وبدأت عملية اعادة صياغة لهذه المفاهيم بشكل اكثر تحديداً ووضوحا ، تركز هذا الجدل أساسا حول الشكوى من السيطرة الاتصالية للدول المتقدمة « تكنولوجيا » والتى تحـاول استغلال نفوذها لتحقيق مصالحها الخاصة وفرض « ايديولوجياتها » وثقافاتها مما يعرض الدول الأخرى الأقل تقدما لخطر جسيم يتمثل فى فقدانها لهويتها القومية وتشكل نوعا من التبعية الثقافية ، الى جانب ذلك فان الدول النامية تشكو من تحريف وتشويه ثقافاتها عن طريق وسـائل الاعلام فى الدول المتقدمة .. وهذا ما دفع « ماكبرايد » الى القول بأن الدول النامية تقدم فى صورة ليست مزيفة فقط بل ومشوهة أيضا ، وأن تاثير ذلك لا يقتصر على العلاقات الدوليـة بل يمتـد ليضر بالتوازن الداخلى لهذه البلاد .. ولعل ماكبرايد وهو يشير بأصـابع الاتهـام

(★) جريدة البلاد ـ العدد «٨٣١٠» ـ ٢٧ ربيع الأول ١٤١٢ هـ .

للاعلام الغربى الموجه ضد شعوب الدول النامية يحذرنا بل ينبهنا الى مغبـة الخطـورة نحـو هذا المنعطف الغـربى الذى يهـدد كياننا الثقافى والاجتماعى والحضارى والسياسى ، فانطلاقا من هذه المفاهيم نجـد أن المقاييس أو المعايير نحو تحديد التوازن بين مصالح الدول الكبرى والصغرى لا يقاس بشكل عادل أو منصف طالما أن السيطرة والهيمنة العامة لقمة الهرم يتحكم فيها الاعلام الغربى ، وهو الأداة الموصلة بل القنوات الرئيسية التى تعتبر من أهم المصادر تغطيته الأخبار العالمية والمحلية للدول الأقل تقدما فى « التكنولوجيا » مما جعل لتلك الدول حق التحكم فى توجيه المعلومات وفق الرغبات التى تتفق مع مصالحها الخاصة والعامة ، وهذا ما أشار اليه امادو مختار المدير العام لمنظمـة اليونسكو فى خطابه أمام مؤتمر سان خـوزيه الى احتـكار الدول الصناعية المتقدمة للاعلام الدولى بفضل تقدمها التكنولوجى ومواردها المالية ٠ وقال فى كلمته : « ان لدى الكثيرين شهوداً بأن استمرار الموقف على هذا النحو لا بد وأن يعوق التفاهم الدولى ٠٠ ويحول نتيجة لذلك – دون الحفاظ على السلام والانسجام بين الدول » ولقد أسفر دخـول التليفزيون والأقمار الصناعية مجال الاتصال عن زيادة مخـاوف دول العالم الثالث باضافة أبعاد جديدة للمشكلة تمتد جذورها الى قـرب البث المباشر الذى سيواجه المجتمعات النامية ، لقد أخذت الشركـات العملاقة والمسيطرة على معظم الأقمار الصناعية للبث المبـاشر باعـداد العدة لمخططـات ومجمـوعة أهداف ترمى من ورائها تحقيق مكاسـبها المادية عن طريق الاعلان التجارى وسيكون لشركات التليفزيون التجارى الأمريكى والشركات الصانعة المنتجـة للسـلع الضرورية نصيب الأسـد من تسويق منتجاتها لسوق الدول النامية وهذا هو مربط الفرس ٠وبطبيعة الحال لا يتأتى ذلك الا عن طريق التغيير فى الانماط الثقـافية والقيم الثقافية التى تعرف بها المجتمعات المختلفة وسيلعب الاعلان التجارى والبرامج الدرامية أدواراً مهمة فى خلق هذه الاجواء ليكون هنـاك اقبال على المنتجات الصناعية الغربية وسيكون العـكس من ذلـك فى التقبل للمنتجات الصناعية الوطنية ، لأن وظيفة الاعلان التجارى الغربى سوف لا تكون مركزة فقط على رفع قيمة مستوى الانتاج لتلك الصناعة بل سيكون لها دور آخر ينعكس على التقليل من قيمة الانتاج الوطنى معنويا وماديا مما ينتج عن ذلك فقدان النوعية وجودتها فلهذا نجد أن خطورة الغزو الاقتصادى أكثر من أى أهداف أخرى كالسياسة وغيرها وقد تكون المحطة النهائية هى « تنميط الثقافات » فكلها تنصهر فى بوتقة الثقافات العالمية لتتشكل وتتلون بلونها ، بحيث ترفض أية ثقافات أخرى لا تتفق مع الاتجاه والفكر الغربى فلهذا ، ينبغى أن نتعامل مع أية مـادة

اعلامية غربية بحذر شديد وببصيرة متوقدة بحيث نستقبل المفيد منها لصالح مجتمعاتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية والفكرية ٠٠ وكما قال الدكتور محمد فاضل الجمالى : « نحن كمسلمين نجابه اليوم عالما متطوراً تطورا سريعا له مفاهيمه الجديدة وابتكاره المتطور فلا يجوز أن نكون جامدين منغلقين على انفسنا ، بل علينا أن نتلقى الأفكار والمصطلحات الجديدة بعقل متفتح ونحللها ونقتبس ما فيها من خير فنقبله ونرفض ما فيها من ضلال أو شر ونقدم البديل الأحسن لخير الانسانية جمعاء » ٠

وخلاصة القول انه لا بد لنا ونحن سنواجه قريبا « البث المباشر » أن نأخذ فى الاعتبار اعادة النظظر فى أعلامنا العربى والاسلامى ، بحيث نقوم بتحديثه ليكون متوافقا مع العصر ، وهذا يتطلب منا اعداد امكانات ضخمة من الكوادر البشرية الاعلامية والتكنولوجية الحديثة المتقدمة لتكون مهمتها خلق جسر يربط بين المواطن ووسائل الاعلام ليكون معتمدا عليها فى سد حاجاته ورغباته وتثقيفه وتنويره بما يحاط به من معلومات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، فاذا ما وجد المواطن نفسه مشبعا بهذه النشاطات التى تشكل حدثا مهما فى حياته العامة والخاصة، فانه سيدير ظهره عن أية قنوات ، وبنظظرة عابرة فاحصة فى تقويم وضعنا الاعلامى فى استخدام « الأساليب الاعلامية » نجد أنفسنا لم ننجح الى حد كبير فى استخدام الأحسن والأمثل ، لغياب النظرة العلمية والتخطيط العلمى ٠ ويجب قبل أن نفكر فى استيراد فكرة جديدة علينا ستخدم أفكارنا بحيث لا يعتمد على وسائل اعلامية أخرى ، لتكوين قنوات رئيسية تثقيفية لشعوبنا ، ولأنها لا تتفق مع بيئتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية ٠

لقد امتلكنا القمر الصناعى العربى وحتى الآن لم نستخدم قنواته سوى للأغراض التليفونية والمطلوب من البلاد العربية أن تتحرك لكى تستفيد من قنواته الست لكى نتمكن الى حد ما من مواجهة خطر البث المباشر وحسب ما نما الى علمنا أن هناك دراسات مستفيضة قامت بها الجامعة العربية فى هذا المجال نرجو الاستفادة منها فى تطوير استخدامنا للأساليب الاعلامية الحديثة بما يتفق مع معطيات العصر الحديث ورغبات المواطنين فى سد حاجاتهم من البرامج ذات المستوى الرفيع ، فالنهوض بمستوى البرامج ومنافسة الانتاج الأجنبى يحتاج الى أموال ضخمة لا تقوى عليه دولة عربية بمفردها فلذا يحتاج الأمر الى تكثيف الجهود نحو انتاج مشترك بين الدول العربية لخدمة مصالحها الاعلامية المشتركة ، بالاضافة الى فتح جسور لتبادل البرامج بينها ٠

وفى النهاية انه لا خلاص لنا الا بنهوضنا من سباتنا العميق وان

نتعلم ونكسب الخبرات والمهارات لنصبح دولا منتجة لا مستهلكة كما فعلت اليابان ، اذ أنها اصبحت من الدول المنتجة لهذه العلوم فتحصنت من الغزو الغربى اقتصاديا وفكريا فهى بذلك أصبحت سيدة نفسها ·· ونسأل الله التوفيق للجميع ·

وقفة مع الختام :

لقد ظل الاخطل الصغير ·· رمزاً ولغة غامضة مع فيروزته التى عجزت ان تسبر اغوار نفسه ·· وان تعرف ماذا يريد !!

ولأن رويانس حالم يتلاعب بلغة الألفاظ وسيمفونية الحب ··· هكذا هو المتشافى الاخطل ·· محيط كبير وغاية واسعة !!

الاذاعات الموجهة والمجتمع العربى (★)

لازال البعض مخدوعا بالاذاعات الموجهة بل يعتبرها من أهم الاذاعات التى يركن اليها فى مصداقية الاخبار وسرعة تحرك تغطية الأحداث من أراضيها الأم ، وقد يأتى هذا التصور من واقع الاستراتيجية التى تقوم عليها هذه الاذاعات الموجهة من خلال التفنن فى صياغة القوالب ٠ والأشكال الفنية التى تصاغ بها البرامج الثقافية وغيرها من أخبار وتحليلات سياسية بحيث تقدم فيما يشبه الوجبات المغرية السريعة Snack Food بحيث تدعو الى التشويق فى احتواء هذه الوجبات السريعة الهضم ، ناهيك عن البعد عن التكلف والتصنع بين المرسل والمستقبل ٠ الأمر الذى يؤدى فى النهاية الى الارتباط الوثيق بين الاذاعة والمستمع ٠

والاذاعات الموجهة حسب استراتيجيتها التى شرحناها آنفا تستقطب بمغرياتها جمهوراً عريضا من المستمعين الذين تستهويهم تلك الأساليب ، ومن ثم تحتويهم فيما تم التخطيط له من نمطية القوالب والتوجيه فى الاتجاه المطلوب حتى لتكاد الثقة التى تنبثق من خلال هذا الاغراء أن تصل الى درجة الاطلاق والتنزيه ، ولربما التقديس عند بعض الذين لا يعرفون الحقائق ٠

ولقد تعددت الدراسات العلمية حول العلاقة ين هذه الاذاعات الموجهة وبين نوعية الجمهور المتلقى بين المستمعين ، واتضح من نتائج تلك الدراسات أن التوجه للاذاعات الموجهة كـ « هيئة الاذاعة البريطانية» (BBC) وصوت أمريكا واذاعة « مونت كارلو » يفوق بكثير التوجه الى ما سواها من اذاعات ٠

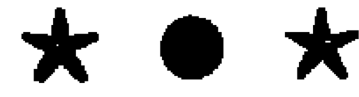
(★) مجلة اقرأ ـ العدد ٧٨٤ ـ ١٤١١/٣/٨ هـ ـ ٢٩ ٠

ولكن هذا يظل دائما محصوراً فى شرائح محدودة من نوعيات خاصة من المستمعين ، لأن المستمع العربى يضع فى شروط توجيهه الى مصدر اعلامى ، اذاعة كانت أو غيرها عناصر أخرى غير الاغـــراء والتشويق ، ولعل من أبرزها حميمة الترابط الانتمائى بروابط الولاء للعرض والأرض فى قدسية الوطن ، اضافة الى عناصر أخرى متممة ، يبحث عنها المستمع فى ثنايا ما يتلقاه ، وهى على رهافة الحس فى تنقية ما يستمع اليه ويتلقاه ليفرز الحقائق وينقيها من شوائب الـدس والخداع التى غالبا ما تفوت على المستمع العادى ، ولكنها لن تغيب أبداً عن فطنة المستمع الواعى المتخصص لكل ما يتلقاه ، ولهـــذا السبب لا يمكن التسليم اطلاقا بحيادية الاذاعات الموجهة من خـارج منطقـة ما الى المكان الذى يتلقى فيه المستمع الواعى تلك الارساليات الاذاعية الموجهة فهو يقف دائما موقف الحذر الفطين الذى يعرف كيف ينتقى الحقائق فى الكلام المرسل اليه ، كما ينتقى تاجر الجواهر الاحجـــار الكريمة من الأحجار العادية ، بالرغم من حالة البـــريق الزائف التى تكتنف بعض الأحجار العادية أو الرديئة ٠

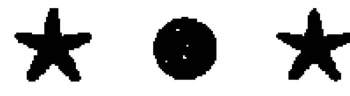
وهنا يجب من الناحية الاعلامية العلمية التنبه الى وسائل الاغراء فى بعض الاذاعات الموجهة التى قد ترقى فى بعض فنونهـا الى درجـة « التحذير الاعلامى » الذى يستلب المستمع العربى استلابا ويوهمه أنه لن يجد بغيته فى الخبر والتعليق ، والمتعة والتسلية من موسيقى وغناء ، وكل ما يتعلق بالمادة الاذاعية الا على موجات تلك الاذاعات الموجهة ، وخطورة هذا الوهم والايهام تتمثل فى زعزعة الثقة بين المستمع المواطن واذاعته الوطنية ، ومن ثم فى تحويل هذا المستمع الى مجرد آلـــة وشخصية استهلانية تستورد من الاذاعات الموجهة أفكارها مغلفة بغلاف جميل هو المتعة التشويقية ، التى قد تصل الى درجة التحذير الآلى كما سبق أن ذكرنا ٠

ولو أغفلنا التنبيه الى هذه الخطورة لفقدنا جمهوراً عريضا ـ لا سمح الله ـ من شبابنا وفتياتنا ، وسلمناهم هدية للجهات الأجنبيـة التى توجه لهم اذاعاتها ، ولهذا فان واجب الصحافة الوطنية أن تبتعد عن خطأ تمجيد تلك الاذاعات الموجهة حتى لا تسهم عن قصد أو غير قصد فى ضياع هذا القطاع المهم من شباب الوطن الذى قد يهجر العقول والقلوب والأفئدة التى تخفق بنغمات تلك الاذاعات الموجهـة ، والأخرى أن تخفق بحب الوطن والأخلاص له ٠

ولعل الاسهام الحقيقى فى علاج هذه المشكلة اذا سلمنا فى بعض الأحوال انها مشكلة ممكن أن تكون فى تقديم مقترحات عملية لاذاعتنا الوطنية لتحسين أساليب الأداء وفق خطة علمية اعلامية مدروسة لا بأس من الاستفادة منها من بعض المقبول من أساليب التفنن فى وسائل العرض والطرح الاذاعى فى قوالب تشويقية تحمل عناصر الجذب والاغراء ، فالاغراء الوطنى لجذب المستمع الى بلاده وحيويتها أفضل من تركه ، ليظل شخصية استهلاكية سهلة الجذب والخداع بالاغراء المشبوه من الاذاعات الأجنبية الموجهة ٠

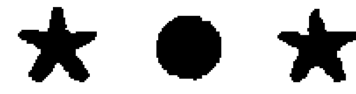


والحقيقة هى أن الاذاعات الموجهة لا ترى فى رسالتها سوى أداة حرفة تروج من خلالها فكراً اعلاميا سياسيا وثقافيا فى بهرج من الاغراء ، والتشويق مع أن رسالة الاذاعة الوطنية ترقى فوق مفهوم الحرفة ، لتكون وسيلة توجيه وتثقيف مع تحقيق الترفيه الاعلامى الفى نللستمع والتوفيق بين هذين العنصرين هو الذكاء المطلوب شحذه الى أبعد مدى لتمويل المستمع حبا لا كرها وتشويقا لا فرضا من الركون الى الاذاات الموجهة بزرع ثقتة فى اذاعته الوطنية التى عليها أن تحافظ على الاستمرار فى مصداقيتها مع التنويع فى القوالب والأداء ٠

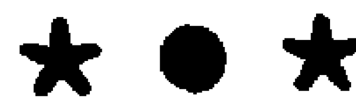


لقد أصبح الأمر يؤدى الى ما يسمى بعملية التورط Involvement اللاواعى فى الاستماع الى هذه الاذاعات التى تجذب المستمع اليها ، ففى هذه الفترة الخطيرة التى تعيشها المنطقة فى أزمة الخليج ، كشفت هذه الاذاعات طريقة أسلوب الجذب بين المد والجزر فى التفنن بسيناريو الأحداث فى تغطية البرامج الاخبارية السياسية وثيقة الصلة بأزمة الخليج ، وفردت لها أكثر من برنامج تحليلى اخبارى بالاضافة الى تقارير المراسلين المتواجدين فى مناطق الجبهة العسكرية ، أو بالقرب منها ، ناهيك عن تسليط الأضواء على التحليلات السياسية التى عادة ما يقوم بكتابتها كبار الكتاب السياسيين من العرب والأجانب والتى تعكس وجهات نظر هؤلاء الكتاب وفق ما يتصورونه عن أحداث تحتل الاتجاهات الفكرية التى وان كانت قائمة تعبر عن تحليل موضوعى الا انها لا تسلم من النزعات الشخصية فى الحكم عليها خلاف الأمر من جانب الاذاعات العربية التى أصبحت فى وقتنا الحاضر منقسمة فى أعلامها بين مؤيد لدول الخليج ، ومعارض ، وهذا شىء يؤسف له ، حيث بدأت بعض الدول العربية المؤيدة لصدام حسين بـ ـ غير وجه حق ـ

توظف اعلامها فى الهجوم على دول الخليج وبعض الدول العربية التى ناصرت الحق ووقفت فى وجه الظلم ، وكأنها توجه سياستها الاعلاميـة بـ « التبعية » للاعلام العراقى حيث استخدمت فى اعلامها نفس القوالب من الألفاظ النابية ، والشتم ، والسباب فى حق زعماء العرب الاحرار الذين يطالبون بتحرير الكويت من الاستعمار العراقى الذى سلب حقوق هذا الشعب البرىء ، فى الوقت الذى وقف الكويت بجانب العـراق فى حربه مع ايران ، وقلب موازين القوى له ٠

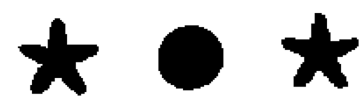


فان الاذاعات ، وأعنى بها الاذاعات الموجهة وقفت من هذه الأزمة من خلال مادتها الاذاعية لاستقطاب الانتباه اليها وبكل الأحداث بصورة حية ديناميكية متحـركة بحيث تنقـل المسـتمع من حـدث الى آخـر من داخل الموقع بـ « بانوراما » تغطى كل المستجدات التى تحدث آنيـ من خلال المراسلين العالميين لهذه الاذاعات ، وتلقى الضوء كما أسـلفنا ذكره على تحليل هذه الأحداث وربطها بوجهة نظر المحللين السياسيين نحو مستقبلها وبالرغم مما يبدو من الموضوعية من هذه التقارير أو تلك التحليلات أو ما يتبعها من مادة اخبارية ، فلا زال الأمر كما ذكرنا يحتاج الى انتباه كبير من المستمع العربى الذى يعتبر هذه الاذاعات أهم مصدر له وأكثر مصداقية من غيرها ، اذ أن هذه المادة الاخبارية وغيرها من البرامج التى تبثها تلك الاذاعات الموجهة تخضع أو ترتبط بمصـالح تجارية أو سياسية مع كثير من الدول التى وان كانت تبدو معادية لها ولسياستها ، ان شيئا مـا فى الخفـاء (Under ground) يحـدث وهـو ما يتعـلق بتسريب أخبـار مدسـوسة ومغـرضة فيما يشـبه الحيادية فى المواقف السـياسية وغيرها اذ أن القـوالب التى تصب من تلك الاخبار تستخدم بما يسمى « قصب السبق الاذاعى » بين أطراف النزاع ٠ وبما يعكس وجهات النظر الاختلافية لكل من طرفى النزاع بغض النظر عن وجهة الحق المؤيدة للمظلوم والمضارة للظالم وهـذا ما تدعو اليه نظرية كسر حاجز الأخلاق المهنى فى سبيل كسب «خبطة» صحفية تنفرد بها تلك الاذاعات ٠

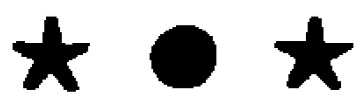


فاذا أردنا أن نقوم اتجاه هذه الاذاعات من أزمة الخليج ، فاننـا نضع الحيادية فى قائمـة الاستثناءات وبمعنى آخـر فان وقوفها من الأزمة يمكن أن يكون موضوعيا الى أكبر نسبة ، ويعود ذلك الى أن المجتمع الدولى وقف بجانب دول الخليج فى مناصرة الحـق ومؤازرته ونبذ الظلم

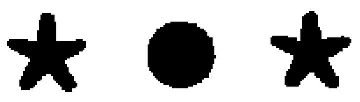
ومن يقف فى صفه وهذا فى حد ذاته يلقى كل تفكير موجه أو مدسوس ضد أزمة الخليج التى تعتبر أهميتها قائمة على استرجاع حـق مسلوب من الكويت ومع ذلك ينبغى الحذر والحيطة فى تلقى الأخبار ومحاولة الكشف عن حقيقتها وعن مصادرها الموثوق بها والمعول عليها ٠٠ اذ لا بد لعقول المتلقين أن تدرس أو تحلل وأن تستقبل بالمنطق بين ما هـو حقيقى وبينما هو مدسوس ومغرض ، لأننى أجـد من بعض الذين كتبوا فى صحفنا المحلية عن الاذاعات الموجهة أخذوا يمجدونها ويشيدون بمصداقيتها الى درجة الاسراف فيما تقدمه من برامج اخبـــارية ومـواد اذاعية أخرى وسلموا بذلك دون تحفظ ، وهنا مكمن الخطورة لتوجيه الرأى العام العربى نحوها دون ما يترتب على ذلك من تأثير فى الرأى أو الفكر الذى يذهب أحيانا الى أستلاب الهوية العربيـــة فى تنميط ثقافتها الى « التغريب » وفى توجيه فكرها الى ايديولوجية تخالـف عقيدتها الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، خلاف ما قد ينجم من اطلاق الاشاعات أو الشـــائعات التى تروج لبعض الأحـــداث التى لا وجود لها على الاطلاق فى عالمنا العربى وخاصة فى دول الخـــليج العربى والدول العربية المناصرة لها التى التزمت فى أزمـــة الخليـج بالسياسة الحكيمة فى اصدار القرارات السياسية التى تدعوا الى احتراء الأزمة عن طريق الحلول السلمية عبر القنوات الدبلوماسية والسياسية تحت مظلة الجامعة العربية ٠



وخلاصة القول : ان الاذاعات تعتبر من أهم وسائل الاتصـــال المؤثرة سلبا وايجابا بالاعتماد على الحرفية الاعلامية شكلا وموضوعا وما للكلمة من تأثير على اذن المستمع أو المتلقى مهمـــا كانت ثقافته وتعليمه ٠



ولقد استطاعت بعض الدول السيطرة من خلال أعلامها الموجه على كثير من المستمعين بغرض الاستمالة اليها ٠



ان الاعلام سلاح ذو حدين يمكن استخدامه سالبا وموجبا فى تنميط الأفكار وفى تشكيلها وفى تنويعها وفى تجهيزهـــا تحت مؤثر القوالب الدعائية التى توظف لخدمة المصالح الانتفاعية التى ينطلق منها هذا الاعلام الموجه ، والذى غالبا ما يستخدم الفنون الدعائية جسرا

للتعبير عن مصالحه فى قلب موازين الحقائق حتى انها تتشكل فى فكر المتلقى وكأنها حقيقة مسلم بها ، وهكذا دواليك ٠٠٠ وغالبا ما يصبح الاعلام هنا غير ملتزم بالموضوعية المطلقة وبالحيادية وان كنا لا نستبعد وجود الحقائق الموضوعية ، ولكنها تعتبر نسبية الى حد ما خارج أطر « البراغماتية الاعلامية » وتنعكس هذه الرؤية فى تحديد الأهـــداف الاعلامية التى قامت عليها سياسة اعلامنا السعودى التى استمـدت فلسفتها وايديولوجيتها من تعاليم الاســـلام التى خرج منهـا الالتزام بالموضوعية والحيادية المطلقة التى لا غبار عليها فى نقـــل الحقــائق والتعامل معها بكل أمانة وصدق ، وهذا فى حد ذاتــه نأى بالاعـــلام السعودى ان يكون موجها وان يكون مغرضا وان يكون مزيفا للحقائق كما هو واقع الاعلام العراقى الموجه الذى أخذ يزيف الحقائق ويختلق الأكاذيب والافتراءات ويوظفها لصالح نظامه السياسى الفاشل الذى أصبح مرفوضا من كل المجتمعات الدولية بعد أن فقد مصداقيته بين هذه الدول وعدم احترامها له وأصبح فى عزلة تامة عن العالمية طريداً شريراً قابعا فى خلوته الى أن يأتى ذلك اليوم الذى يتحرر الشعب العراقى من هذا النظام الصدامى ليعود مرة أخرى الى المجتمع الدولى ويحتـــل مكانته العربية والعالمية اللائقة به ، بعد هذا الانزلاق الذى أوقعه فى هاوية المخاطر والهلاك والدمار ، ولنا فى شعب العراق الحر الأمــانى فى الخلاص من هذا الرجل الارهابى الذى أصبح يهدد كيان الأمـــة العــربية والاســـلامية ٠

الاعلام الاسلامى ٠٠ وتطبيقاته العملية

اشعر بسعادة بالغة وانا اقوم بعرض هذا الكتاب الاسلامى الاعلامى ، والذى يحمل عنوان : « الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية» تأليف الأستاذ محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الاعلام بجامعة الأزهر ٠

ويتميز هذا الكتاب بحرص المؤلف على ربط الدراسات الاعلامية الحديثة بأصول الدعوة الاسلامية ، ولذلك كان السؤال الذى فرض نفسه على المؤلف هو : « متى سنظل نترك هذا الفرع المهم من فروع العلم والمعرفة ؟ وهو فرع الاعلام الاسلامى ، دون أن نوفيه حقه ، أو حتى نقترب منه ، وهل نتركه للمستشرقين والباحثين الأجانب ليتولوه عنا وقد يضفون عليه من ذاتيتهم ما يخرج به عن أصالته ، ويحرمه نقاءه ؟ لقد خرج الى النور العديد من الدراسات الحديثة حول الاقتصاد الاسلامى ، والفلسفة الاسلامية ، والسياسة الاسلامية ٠٠٠ الخ ، ولكن الاعلام الاسلامى – كما يقول المؤلف – ظل حقلا بكراً لم يكد يقترب منه أحد الى الآن على الرغم من الأهمية البالغة لدراسة الاسلام من هذه الزاوية الاعلامية لأنها تكاد تكون أهم هذه الزوايا وأدقها ، ذلك أن الاعلام وفنونه هو قوام هذا الدين ، وقاعدته الصلبة ، فهو بمثابة الجسور التى تعبر منها هذه الرسالة الخالدة الى الناس ويرجع اليه فضل انتشاره على هذه الرقعة الفسيحة من كوكب الأرض فى الشرق والغرب وفى الشمال والجنوب ، ولم لا وقد عرف الاسلام بأنه دين دعوة أو دين اعلامى ٠

وأحب أن أتوقف هنا عند عدد من الدراسات الرائدة فى الاعلام الاسلامى أحسب أنها ترضى المؤلف ، وتجعله يتفاءل بأن المكتبة الاعلامية

بدأت تحفل بالدراسات الاسلامية فى الاعلام ، فللدكتور ابراهيم امام كتابان عن الاعلام الاسلامى ـ المرحلة الشفوية ، ثم أصول الاعـــلام الاسلامى ، وللدكتور محمد سيد محمد كتاب عن المسئولية الاعلاميـة فى الاسلام ، وللدكتور محمد على العوينى كتاب عن الاعلام الاسلامى الدولى بين النظرية والتطبيق ، وللدكتور عبد العزيز شرف والأستاذة أمينة الصاوى كتاب عن نظرية الاعلام فى الدعوة الاسلامية ، ولنفس المؤلفين بالاشتراك مع الدكتور عبد المنعم خفاجى كتاب : السيرة النبوية والاعلام الاسلامى وذلك الى جانب عدد من الدراسات والمؤلفات التى تؤكد لنا مع الدكتور محيى الدين عبد الحليم أن الاسلام دين اعلامى فى جوهره ، على الرغم من حداثة كلمة « اعلام » وعراقة كلمة « الدعوة »٠ وسوف يتضح لنا ذلك أثناء استعراض فصول هذا الكتاب القيم الذى يتضمن أربعة فصول :

ففى الفصل الأول يتناول المؤلف دراسة لأصول العمل الاعلامى متضمنا لمحة تاريخية لتطوره ونشأته فى العالم ومفهوم الاسلام وأهدافه ووظيفته فى المجتمع وكذلك عناصر العملية الاعلامية ، كما يضم هـذا الباب موقف الاعلام من فنون الاتصال الأخرى وأوجه الشبه والاختلاف بين الاعلام وكل فن من هذه الفنون وهى : الدعاية والاعلان والعـلاقات العامة والتعليم والحرب النفسية ٠

ويعالج المؤلف فى الفصل الثانى من هذا الباب موضوع الرأى العام ومفهومه وأهميته للنظم المختلفة سواء الديمقراطيـــة منهـــا أو الاستبدادية ، ثم تطور ظاهرة الرأى العـام فى العالم بصفة عامة وفى المجتمع المصرى بصفة خاصة ، وأبرز التعريفات التى وردت عن الرأى العام ، وأنواعه ، وعوامل تكوينه ، والعلاقة بين الاعلام وعملية تشكيل الرأى العام ، ثم أهمية قياسه ومراحل استقصائه وهنا لا يفوتنى أن أنوه بالدراسات السابقة فى الرأى العام ، واختص منها الدراسـات الرائدة التى قام بها الأستاذ الدكتور مختار التهامى عميد كلية الاعلام ٠

أما الفصل الثالث فيعالج فيه المؤلف الأسس العلمية التى يقوم عليها الاعلام الاسلامى متضمنا مفهوم الاعلام الاسلامى انطلاقـا مـن المفهوم العام للاعلام ، والمكانة التى يتبوأها الاعـــلام فى الاســـلام والوسائل الاعلامية التى اختصت بها رسالة الاسلام ٠

وأحب أن أتوقف عند هذا الفصل ، ليتعرف معى السادة القراء على الأسس العلمية للاعلام الاسلامى كما عرضها المؤلف الفاضل ، الذى ينطلق من مقولة مؤداها أن عامل الدين كان أبرز العوامل التى لعبت دوراً حيويا فى حياة المجتمع البشرى ومازال يمثل عاملا رئيسيا فى تشكيل الرأى العام ٠

وينطلق المؤلف فى تحديد مفهوم الاعلام الاسلامى من تعريف العلامة الألمانى اوتوجروت للاعلام بأنه « التعبير الموضوعى عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم فى نفس الوقت » وذلك عن طريق تزويد هذه الجماهير بالحقائق والمعلومات الصحيحة والثابتة والأخبار الصادقة التى تساعدهم على تكوين رأى عام صائب فى واقعة من الوقائع ، أو حادثة من الحوادث ٠

ويتناول أبعاد العملية الاعلامية الاسلامية من خلال العناصر الخمسة فى النموذج الاتصالى الشهير وهى : المرسل والمستقبل والرسالة والوسيلة والأثر ، والمرسل فى الاعلام الاسلامى هو أحد المتخصصين فى حقل الدعوة الاسلامية ، وقد يكون غير متخصص فى هذا المجال على أن تتوافر لديه خلفية واسعة فى الموضوع الذى يعالجه سواء أكان تفسيرا لآية ءم شرحا لحديث نبوى ٠

والرسالة الاعلامية الاسلامية قد تكون رسالة دينية بحته واضحة المقصد بصورة مباشرة كالحث على أداء العبادات الاسلامية ، وتفسير آيات من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وقد تكون رسالة عامة تفسر آخر الأنباء والقضايا المعاصرة من منظور اسلامى ٠

أما عنصر الوسيلة الاعلامية ، فقد تكون وسيلة متخصصة مثل : خطبة الجمعة ، ودروس الوعظ والارشاد ، والمجلات الدينية المتخصصة ومحطة القرآن الكريم فى الاذاعة ٠ وقد تكون وسيلة عامة لا يقتصر مجال عملها على الاعلام الدينى ، ولكنها تعالج مختلف الموضوعات بما فيها الموضوعات الدينية مثل محطات الاذاعة العامة وكبريات الصحف القومية ومحطات التليفزيون ٠ ومستقبل الرسالة الاعلامية الدينية قد يكون قاصداً لأن يعرض نفسه لهذه الرسالة ، وقد لا يكون ٠٠ فالنوع القاصد هو الذى يتمثل فى جماهير خطبة الجمعة والصحف الدينية المتخصصة ، ومستمع اذاعة القرآن الكريم ، أو الذى يحرص على متابعة البرامج والموضوعات الدينية فى أوقاتها المحددة ، أما المستقبل الآخر فهو الذى

يتعرض للرسالة الاعلامية الدينية من خلال وسائل الاعلام بصـــورة عرضية ، دون قصد منه ٠

وعنصر التاثير يستهدف التأثير الدينى البحت كتغيير السلوك نحو العادات مثل الاعلام بمناسك الحج ، وأصول قيام رمضان ، وموقـف الاسلام من القضايا الاجتماعية ، وقد يكون تأثيراً دنيويـــا كتغيير السلوك العام نحو مختلف القضايا والشئون الدنيوية من منظور اسلامى٠

ويخلص المؤلف من هذا العرض لأبعاد العملية الاتصـالية الى تعريف الاعلام الاسلامى بأنه « تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائـــق الدين الاسلامى ، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة اعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها ، وذلك يهدف تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينيـــة ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته ٠ وما يجدر ذكره أن للاسلام وجوها ثلاثة هى « العقيدة والعبادة والمعاملة » ٠

ثم يتحدث المؤلف عن مكانة الاعلام فى الاسلام ، فيؤكد أن الاعلام كان ولا يزال اداة هذا الدين ودعامته الرئيسية ، على الرغـم من أن الاعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة كان غير معروف وقت نزول الوحى على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ٠ ان الدين الاسلامى دين دعوة ٠٠ والدعوة عمل اعلامى بكل ما تحمـل هـــذه العبارة من معنى فى أذهان أســاتذة وخبراء الاعلام والاتصال بالجماهير ذلك أن الدعوة ما هى الا عمل اعلامى ، يخاطب العقـل ويستند الى المنطق والبرهان ويعمل على الكشف عن الحقيقة ٠

واذا كنا نعمل جاهدين على دراسة اكتشافات المفكرين المحدثين فى حقل الاعلام والاتصال بالجماهير ، فانه يجب أن نشحذ الهمم ونشجع كل جهد يبذل وكل بحث يجرى لدراسة كل عمل اعلامى ، وان نقـف طويلا على كل خطوة خطاها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتوسيع وتعميق رقعة دعوته ٠ ذلك اننا اذا أعطينا هذه الدراسات حقها فاننا سوف نخلص بحقائق تتضاءل الى جانبها اكتشافات هؤلاء العلمـــاء والخبراء والمحدثين ، ولم نذهب بعيداً وامامنا دائرة المعارف البريطانية تصوغ الجهود والمنجزات العملاقة التى حققها الرسول الكريم فى فترة زمنية وجيزة ، فقالت فى ذلك ما نصه : « لقد أنجز الرسول فى عشرين عاما من حياته ما عجزت عن انجـــازه قرون من جهــود المصلحين فى

الديانات الأخرى على الرغم من السلطة الزمنية التى كانت تساعد جهودهم ، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى » ٠

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : هو كيف أنجز الرسول عليه السلام كل هذا فى هذا الزمن القياسى ٠ يجيبنا القرآن الكريم على هذا السؤال من واقع المهمة التى كلفه الله بها وهى مهمة اعلامية بالدرجة الأولى ، فقد حدد الله له هذه المهمة فى كلمات دقيقة واضحة لا تحتمل لبسا أو غموضا فى العديد من الآيات الكريمة ، فقال تعالى فى سورة الأحزاب :

(يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ٠٠٠) صدق الله العظيم ٠

وننتقل مع مؤلف الدكتور محيى الدين عبد الحليم الى الفصل الرابع : حيث يتحدث عن الاعلام الاسلامى فى مصر الاسلامية ، فيتحدث عن انتشار الاسلام فى مصر ، بهدف دراسة الأساليب والوسائل الاعلامية الفريدة التى استخدمت فى هذه الفترة الزمنية من تاريخ مصر٠ ولا سيما أن ازدهار الاعلام الاسلامى فى بعض الفترات الزمنية من تاريخ مصر الاسلامية قد ترتب عليه تأسيس وزارات وأجهزة اعلامية دينية فريدة فى ذلك العصر ، انفردت بها مصر وحققت نتائج بالغة الأهمية ٠

ويوضح المؤلف كيف بدأ العمل الاعلامى لنشر الدعوة الاسلامية بين المصريين بالرسالة التى بعث بها رسول الاسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس حاكم مصر من قبل الرومان وجاء ذلك ضمن الرسائل التى بعث بها الرسول عليه السلام الى ملوك وأباطرة هذا العصر فى السنة السادسة للهجرة ، بعد عودته من صلح الحديبية ، فلم يجبه من هؤلاء غير المقوقس صاحب مصر في ذلك الوقت، وأرسل له مع حاطب بن أبى بلتعة ــ وهو المبعوث الشخصى للرسول صلى الله عليه وسلم بعض الهدايا ٠ فكانت الرسالة أول رسالة اعلامية اسلامية تصل الى مصر وتحمل المفهوم العام لدين الاسلام ٠

ويذهب المؤلف الى أن هذه الرسالة تؤكد أن الرسول عليه السلام قد أرسى دعائم الاتصال الشخصى المباشر فى حقل الاعلام الاسلامى وهو أسلوب من أنجح أساليب الاعلام ، وأكثرها تأثيرا ٠

ويجيب المؤلف بذلك على السؤال الذى يردده المستشرقون ومن نحا نحوهم : « هل انتشر الاسلام بالسيف أم بالدعوة ؟ » ، ذلك أن الدعوة كانت هى القاسم المشترك بين المرسل والمستقبل ، بحيث نقول مع المؤلف أن الاسلام لو لم يسع الى مصر لسعت هى اليه ، وما تزال مصر بعلمائها ومجالها وأزهرها العريق منارة الاسلام ودرعه الواقى فكريا وحضاريا ٠

وأتوقف عند الخاتمة حيث أود أن أشير الى بعض التوصيات التى ختم بها المؤلف رسالته من واقع الدراسة الميدانية التى كشفت قوة تأثير الرسالة الاعلامية الدينية ، وفى مقدمة هذه التوصيات : تحقيق الجماهير بحقائق الدين الاسلامى لحماية المجتمع المسلم من اخطار الجهل بحقائق هذا الدين وتعديل سلوك الجماهير بما يتلاءم مع الجوهر العظيم للاسلام ٠ والقضاء على المعتقدات الخاطئة المنتشرة بين بعض الناس ، ولا يكون ذلك الا بالتفسير الصحيح لحقائق الاسلام ، وكذلك استخدام المفاهيم الدينية فى الاقناع بالأفكار المستحدثة ، والقضايا العصرية التى لا تتنافى مع جوهر الاسلام ٠

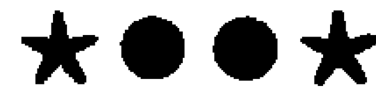
تحية لهذا الكتاب القيم عن الاعلام الاسلامى ، وتحية لمؤلفه الكريم ، وتحية لكم أعزائى القراء ٠

اقرأ وربك الأكرم(★)

بالرغم من سيطرة وسائل الاعلام على عقول بعض الناس من خلال قنواتها السمعية ، والبصرية ، والسينما ، والفيديو ، والكاسيت ، فان القراءة لا زالت نبضا حيا وهى فى حيويتها تبحث عن وجودها بين عقول الناس كما وكيفا ٠

فالكتاب ، وهو أداة التقدم الحضارى ، والرقى ، وهو الوعاء الثقافى الذى يصب نهره فى عقول البشرية من خلال مادته المعرفية ، والتجريبية يعتبر المادة الغذائية التى لا غنى عنها فى مواصلة رحلة الحياة فكريا وثقافيا ، وتاريخ البشرية المدون والمعروف لم يبدأ الا حين ظهرت الكتابة والقراءة وأصبحت هى المدخل الوحيد لباب المعرفة اذ أنه لا تاريخ ولا حضارة بدونها ٠

وللكتاب فى العالم الاسلامى والعربى ، بل فى العالم أجمع دور مهم لنشر الثقافة الفكرية والعلمية فهو الوسيلة الفعالة فى ايصال الكلمة الصادقة بل ان الكتاب هو وعاء رسالة الله تعالى الى الناس أجمعين ٠



فالقرآن المجيد هو كتاب الله العزيز ورسالته الخالدة الى الناس أجمعين افتتحه الوحى الكريم بالاشارة الى القراءة باعتبارها مفتاح الوعى السليم ، والقلم باعتباره أداة التدوين فى الكتاب العزيز ، وفى كل كتاب يسجل الخير للناس والفكر المؤثر فى نفس الانسان ، والذى سيظل من جيل الى جيل وكانت أول كلمة أوحى بها الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم كلمة « اقرأ ٠٠ » وهى الدعوة الصادقة ومفتاح

(★) مجلة اقرأ ـ العدد « ٧٧٣ » ـ ٢٠/١٢/١٤١٠ هـ ـ ٢٩ ٠

النور الى القراءة وطلب العلم ، ومهما يكن من تعدد أبواب المعرفة ووسائلها المختلفة ، فان الكتاب له دور فعال فى التثقيف الذاتى للفرد والمجتمع وبدون الكتاب تنعدم المعرفة فى أيسر وأفضل طرقها ، ولولا الكتاب لانحسر التفكير السليم ، والبناء الصالح ٠

ان الأمة التى لا تقرأ هى أمة منعزلة عن التقدم الحضارى وأشبه ما تكون منفصلة عن العالم المتقدم حضاريا ، وفكريا وعلميا وينطبق عليها المثل القائل : « أمة خاوية على عروشها » ٠

والقراءة هى ذلك النهر الذى يصب فى ينابيع الفكر ليمد بالمعرفة والوعى ، والادراك لكل متطلبات الحياة الفكرية ، والاجتماعية والسياسية ، والدينية وغيرها فاذا ظل هذا يتدفق من قنواته الصحية تصبح العقول أكثر نضجا ووعيا وتقدما فى كل مناحى الحياة ، فهو النهر الجارى الذى لا يجف ، ولا ينضب ٠

فالقراءة هى الوجود فى اللا وجود ٠٠ هى جواز السفر الى عالم الثقافة والمعرفة فى شئون الحياة ، والقارىء المثقف هو الانسان الحضارى الذى يلم بدائرة المعارف ، وهو الانسان الذى يعرف كيف يتفاعل مع مجتمعه الصغير والكبير ومع العوالم الأخرى ، وهو صاحب الكلمة القيمة والمفيدة ٠٠ وللأسف عندما أصبحت القراءة لدى شبابنا هامشية الحياة أصيبت بالتصدع فى عصرنا الحاضر ، وأصبحت عادة غير مستحبة ، ومنفورة لم يألفها جيلنا الحاضر الا من خلال تكليفه بها فى مدارسنا وجامعاتنا وأصبح المجتمع العربى كما وصفه أحد أعدائنا بأن العرب لا يقرءون فنحن لا نخشى على أنفسنا منهم ، وفجأة أصبح الكتاب فى عالمنا العربى يعانى من وحدة بل أصبح يتيما ، وبالرغم مما آلت اليه حالة الكتاب فسيظل الوسيلة الأولى والمثلى للثقافة ! ٠

وانطلاقا من مفهومنا هذا من خلال أولوية الكتاب بوسائله المعرفية ، والتثقيفية يجدر بنا أن نعير الكتاب الاهتمام الأكبر ونعضده ونقف بجانبه ولكن للأسف الشديد كانت النظرة له مقصورة وأحادية الاهتمام ، مع ان أدراكنا لهذه الأهمية لم تكن محدودة التفكير ، بل ان بواعثها الالتفات الى الوسائل الثقافية الأخرى ٠

ان القارىء الأوروبى والأمريكى أكثر اهتماما منا بقراءة الكتاب، حتى لا تكاد تخلو محطة سفر فى أوروبا وأمريكا من وجود حوانيت لبيع الكتب للمسافرين بالاضافة الى وجود مكتبات سيارة للاطلاع العام ، ولعل أهم ما يشغل ذلك الانسان هو حصوله على الكتاب الجديد والمفيد ، فهو منذ نعومة أظافره ألف القراءة وسار معها لانه تربى فى

أحضانها ونشأ عليها بل هو فى سفره وترحاله مهما كان ذلك السفر طويلا أو قصيراً يجعل الكتاب فى عرفه مادة ضرورية للحياة ولا تقل شأنا عن الغذاء والهواء والماء فان كثيراً من الكتب تصدر فى طبعات تزيد بعض نسخها على عشرات الملايين بلا مبالغة وتجد ذلك هو العكس فى عالمنا العربى أى لا يزيد عدد نسخ الكتاب المطبعة والموزعة من أنجح كتاب وفى أحسن الظروف على عدة ألوف لا تصل الى نصف مليـون على مدى العـالم العربى بكل ملايينه من السكـان وان هذا الرقـم هو على السبيل التقديرى وليس الاحصائى ٠

أما فى أمريكا وأوروبا بشرقها وغربها فان ثمة اهتمـاما كبيراً فى توفير مادة الكتاب من الورق كسلعة مهمة وضرورية شأنها شأن أية سلعة أساسية مصونة ، وينبغى أن تتوفر فى دور النشر وغيرها وتهتم تلك الدول المتحضرة باقامة المعارض الدولية التى يعرض فيها الكتاب ليصبح فى متناول القارىء سواء فى الداخل أو الخارج ليجد فيـه الرافد فى شتى الألوان الثقافية وميادينها الواسعة ٠

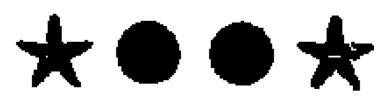
وكما يرى بعض المتخصصين فى المعارض الدولية لنتـاب ان وجود هذه المعارض تعتبر سوقا حقيقية لتوفير الكتاب وكأثر مشجع لاقتنائه ٠٠ ناهيك عن ما يحدثه من متنفس لدور النشر والتوزيع والمكتبات ومن اثارة لروح المنافسة الشريفة بين دور النشر والطباعة والعرض من جهة والمؤلفين والكتاب من علماء وأدباء ومثقفين من جهة أخرى ، وغالبا ما تتيح هذه المعارض أفضل الفرص للقارىء فى الحصول على ثمن أرخص للكتاب الذى يبحث عنه ، وليس ثمة شك بأن استخدام هذا الأسلوب فى طريقة العرض والسعر سيعكس أثرا حسنا ومفيدا لكـل الأطراف المنتفعة ، بغض النظر عن السلبيات وان كـانت المعـارض الخاصة فى الواقع تحتاج الى مساندة وترشيد فان لمثل هذه الأمور متخصصين قادرين على توجيهها الوجهة العلمية الصحيحة ٠٠ ونعود مرة أخرى الى متابعة الحديث عن الابتعاد عن القراءة والتى نـرى أهم فرصة للتفرغ لها أجازة الصيف حيث تعتبر أهم فرصة مواتيـة للاستزادة العلمية والثقافية من خلال قراءة جادة ومتأنية للاطلاع على كل ما يستجد من كتب علمية وغيرها ، وباعتبار أن أجازة الصيف أكثر فراغ زمنى يتجه به الشباب الى النشاطات الرياضية والاجتماعية وهواية السفر للخارج بحثا عن قتل الفراغ ٠

والفراغ فى حد ذاته شبه مدمر للخلايا الفكرية ، وآثاره تمتـد الى آفاق بعيدة « ٠٠٠٠ » فتنشأ عنه الانحرافات النفسية والجسدية والفكرية والروحية ولقد ثبت على المستويين النظرى والميدانى أهمية

الكتاب فى حياة الانسان اذ لا بد ان نتعود على عادة القراءة كما هو الحال بالنسبة للدول الأخرى المتحضرة التى تعود فيها الانسان الأوروبى والأمريكى بتخصيص مكتبة صغيرة فى منزله المتواضع كى يساعد نفسه على الترغيب فى القراءة وطلب المعرفة والاستطلاع ٠

وان كان الأولون ٠٠٠ يجدون من قراءة الكتـــاب متعة يفضلونهـــا احيانا على الطعام والشراب ويقتصون قيمة الكتاب من لقمة عيشهـــم حتى ولو ادى ذلك الى تضييق فجوة المعيشة الى أبعد الحدود ، ولعلهم لن يخسروا شيئا ، بل حققوا مكاسب كبيرة لتنمية عقولهم فكريا وثقافيا، واصبحوا اليوم فى عالمنا رواد فكر وأدب وعلم فاذا كانت للكتاب هذه الاهمية فى عرف روادنا وعباقرتنا ٠٠ فلماذا اذا نبتعد عنه ؟ بل لعلنا نعتبره أكثر أهمية بالنسبة لنا كمسلمين ونشدد بالضرورة والالحاح على قراءته ومتابعته بصفة مستمرة لأنه يساعدنا على قراءة عدونا من خـــلال فكره وثقافته وحضارته ، وهذا بالتالى يهيىء لنا فرصة مواجهة كـــل التحديات التى يواجهنا بها العرب بمشرقه ومغربه وبذلك نكون قد أمنا مكره وخداعه وما دام الكتاب هو صمام الأمان فى كل المواجهات فعلينا أن نقف منه موقف المتقرب وليس المبتعد بالاضافة الى حرصنا عـــلى متابعة القنوات الأخرى من وسائل الاعلام المختلفة التى نستفيد منها من ثورة المعلومات ٠

ان اهتمامنا بالكتاب الجيد المختار الذى يتفق مع فكرنا هـــو ذلك المطلب الأساسى الذى يتوافق مع عقيدتنا الفكرية والثقـــافية ، وفى احد الاستطلاعات التى أجرتها احدى الباحثات مع بعض الشباب من الجنسين فى بلادنا اتضح ان نسبة كبيرة منهم لا تقرأ الكتاب العلمى أو الأدبى وأن أغلبهم منصرف على قـــراءة المجـــلات والصحـــف فى مقصوراتها الفنية والرياضية وما أشبه ذلك من الأبواب الثانوية التى لا تقارن بجدوى فائدة الكتاب واكتشفت الباحثة ان ثقافة الشبـــاب الكروية تفوق كل النواحى الأخرى الفكرية ، والثقافية ، ومن وجهة نظر الباحثة ان الازمة الثقافية ليست ازمة كتاب بل هى ازمة فكر ٠



فقارىء اليوم لا يقرأ لاشـــباع غريزة حب قـــراءة المعرفة بل يقـــرأ لمجرد التسلية فقط ، وحل الألغاز للخلاص من وقت الفراغ ، ومهما كانت الأسباب والدوافع التى تحول بيننا وبين القراءة فان ذلك لا يمكن ان

يكون مبررا للانصراف الكلى عن القراءة حتى ولو سويعات قليلة فلا أعتقد أن انشغالنا وانصرافنا للأعمال سيستغرق الساعات التى لا نجد فيها فراغا للقراءة والاطلاع ، فان ثمة حلولا مقترحة قد يكون بعضها مفيداً وبعضها يعتبر ضربا من ضروب الاجتهاد فى الوصول الى حل وسط « Compromise » ربما يكون مقبولا ليصبح عرفا من أعرافنا ٠٠ فان ايجاد الحوافز المادية والأدبية التى تؤدى الى رفع الحركة الأدبية والفكرية الواعية ٠٠ والمرتبطة بعدم غياب القارىء فـ « الكتاب » بدون قارىء كالسلعة المهملة بدون مستهلك فالتشجيع الحقيقى يأتى أساسا من الوزارات والمصالح الحكومية بشراء الكتاب من دور النشر بقدر ما هو العمل بدعمها باعانات مالية تساعدها على خفض قيمة الكتاب الذى أصبح سلعة قابلة لقانون العرض والطلب ، على ذلك يحفز جمهور المتعلمين على الاقبال على شراء الكتب التى نرى فيها المنفعة الكاملة والتى ينبغى أن يراعى طبعها بالمادة العلمية أو الثقافية أو الفكرية الجيدة ، فوزارة الاعلام ورعاية الشباب قادرتان على اعانة روافد الثقافة وقنوات الفكر لتوفير هذه السلعة الثمينة فى الأسواق بأسعار تغرى على الشراء ، ولعل وجود المكتبات العامة فى المملكة العربية السعودية سيساعد الى حد كبير فى توفير الكتاب لعل القارىء يرغب بتثقيف ذاته ولكل باحث يحتاج الى مراجعه بكل سهولة ٠ يبقى شىء أخير وهو اذ لا بد أن نغرس عادة القراءة منذ الطفولة فى ناشئينا وهذا هو دور البيت والمدرسة ومؤسسات التعليم الأخرى بكافة قنواتها المختلفة فلا حضارة لشعب لا يقرأ أو يكتب أو يتعلم ، وينبغى أن نكون بحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان أول قارىء وأول مبشر للقراءة امتثالا لأمر ربه عز وجل وقوله الحق فى أول كلمات الوحى الكريم :
« اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » ٠

صدق الله العظيم

بين فلسفة النظريات والمذاهب الفكرية ..
ووحدانية الله (★)

تعيث بعض المنطلقات الفكرية والفلسفات والنظريات التى يروج لها أعداء الاسلام فى الأرض الاسلامية فسادا وتلاقى رفضا من العقلاء والمفكرين الذين يكشفون عن هؤلاء الفسدة دعاة الفكر المضلل .

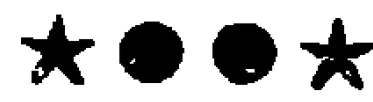
وأحسب ان من بين هؤلاء المضللين أحد المستشرقين ويدعى « جيمس هنرى برستد » مؤلف كتاب « انتصار الحضارة » تاريخ الشرق القديم ، ففى فصول هذا الكتاب العديد من المغالطات التاريخية عن بدء الانسان، وأقدم الأساليب المعيشية للانسانية ، حيث يشبه هنرى الانسان بالحيوانات فى تصرفاته وسلوكه وغرائزه ، ويذكر ان الانسان قبل آلاف السنين بدأ فى مواجهة الحيوانات الثديية ، والتى كانت تنافسه فى السيطرة على هذه الأرض حيث بدأ فى محاربتها عن طريق اختراع الأسلحة البدائية .

كما يشير أن علماء التاريخ الطبيعى يرون أن تقدم صناعة الأسلحة فى العصور القديمة الأولى اذن لنهاية عصر الثدييات ، وأن الانسان كما زعموا يسجل انتصاراً واضحا لمواجهة العناصر المنافسة له فى الحياة وخاصة قوى الطبيعة ، وأخذ الانسان يتطور على حد قولهم رويدا رويدا حيث تدرج فى صناعة الأسلحة ، وذلك عندما التقط « الحجر » ولكن هذا الحجر لم يكن ملائما ، وهكذا ربما خطر لأحد الرجال

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ٨٥١ بتاريخ ١٤١٢/٨/٣ هـ .
مجلة اقرأ ـ العدد ٨٥٢ بتاريخ ١٤١٢/٨/١٠ هـ .
مجلة اقرأ ـ العدد ٨٥٣ بتاريخ ١٤١٢/٨/١٧ هـ .
مجلة اقرأ ـ العدد ٨٥٤ بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٤ هـ .

البدائيين ، والذين لديهم موهبة التفكير أكثر من غيـــرهم ان يضربوا حجرا بآخر ، وهكذا تمكنوا من الوصول الى الشـــكل الذى يريده ، ويرضيه ٠

وبهذه الفلسفة الفكرية لهذا الكاتب يكون انسان العصور القديمة هو أول من عرف صناعة الأسلحة ، وبدأ يستخدم ذكاءه فى استخدامها لتلبية أغراضه الأولية من سد جوعه أى حاجة غذائه ، كما أنه استطاع ان يخترع الكثير من الأدوات التى تساعده على السيطرة على دنياه ، والحيوانات من حوله ٠



وينتقل بعد ذلك جيمس هنرى الى القول بأن انسان ذلك العصر كان عاجزاً بل مستحيلا عليه أن يقوم بصناعة العربات لأن العجلات لم تكن قد اخترعت فى ذلك الوقت ولم يستطع أحد أن يروض الجـــواد البرى بعد ، ولا توجد هناك سفن تجوب البحار أى سفر أو تجـــارة عن طريق ركوب البحر ، وكان من المستحيل أيضا على حد قول هذا المؤلف أن تقام مبان ومنازل ، لأن الانسان لم يعرف استعمال أدوات من المعدن لقطع الاحجار آنذاك حتى الكتابة لم تكن متيسرة ، وبالتالى لا يوجـــد عـــلم بالكتابة أو العـــلم ٠

وذهب جيمس هنرى الى أبعد من ذلك بقوله ان انسان ذلك العصر انسان همجى ، ولكنه استدرك بعد ذلك فقال : بأنه ــ أى الانسان ــ أرقى بشىء قليل من الحيوانات التى من حوله ، وذلك بما يملك من اليدين اللتين يشبع بهما رغباته المختلفة ، ويشير هذا المستشرف : « ان الانسان كان فى حاجة ماسة للقدرة الى التحدث » ، وأخذ جيمس يقول : « وبعد تمكن الانسان من اختراع بعض الأدوات البسيطة وبدأ يحقق انتصاره فى المواد المادية باستعمال حيل مختلفة وأدوات وأشياء آلية أخرى أخذ يرتقى الى حد ما عن الحيوانات ويتحرر من تشابهه لها » ٠

ويرجع هذا المستشرق الى أن وجود الانسان على سطح الكوكب الأرضى كان بداية فى أفريقيا ثم نشأ فى آسيا ، وانه لا يختلف عمـــا حوله من الحيوانات ، ولم يكتف بذلك بل زاد على ذلك بالقـــول انه يشابه الحيوانات فى عدم أى أثر يدل على وجوده ٠

ففى مثل هذا القول نجد ان هنرى يهدف من هذا السياق الفكرى الفلسفى الذى لا يستند على الشواهد التاريخية والعلمية ولم يأت فى

الشرائع السماوية وفى مختلف الأديان على مرور ملايين السنين ان يجعل من بدايات خلق الانسان وأساليب معيشته البدائية ٠ وجوده على أرض أفريقية وانتقاله الى آسيا وكأنمـــا يريـد أن يفهمنا أن فى مثل هذا الجـزء من جغرافية الكوكب الأرضى الواقع فى الظلام بهـا يلتقى الانسان بالحيوان فى خندق واحـد أى انهما يعيشـــان فى غابة واحدة وان فى هذه السكنى البيئية يتشابه الانسان بالحيوان فى كل الغرائز ، ولم ينفصل الانســان عن الحيــوان من الناحيـــة « البيولوجيـــة » و « الانثروبولجى » الا بعد ملايين السنين فى تحرك بطىء للانسان عن الحيوانات حين استطاع ان يخطو نحو التطور فى النطق والكلام حتى تقدمت به الاشارات الصوتية المعبرة عن الخوف ، والجوع والألم بمعنى أنه بدأت معرفته للتحدث والتفكير ، والتعبير عما يريد ويعنى ذلك أن الانسان قبل تلك الفترة كان جاهلا لا يعرف كيف يتكلم وكيف ينطق واذا سمع صوت قطيع ٠

كما يدعى « هنرى » فانه يصرخ لينبه الآخرين من بنى جلدته عن وجود الخطر شأنه شأن أى حيوان آخر ، وفى مورد آخر من أحد فصول كتاب هذا المستشرق الذى يبدو أنه يتلاقى فكريا مع داروين فى نظرية النشوء والارتقاء يورد أن الانسان كان يأكل لحم صيده دون طهى وانه أيضا كان لا يدرك باحساس وجود النار على وجه الأرض الا بعد أن تقدمت به السنون واكتشفها بالصدفة عندما أصاب البرق شجـــرة فالتهبت واشتعلت فيها النيران وكذلك بالنسبة للبراكين الثائرة ٠

وبشكل مضلل يحاول هنرى أن يقربنا بمفهوم فلسفى الى جـزء يسير من واقع التاريخ العلمى « الانثروبولجى » الذى يتنـــاول حياة الانسان وحياته المعيشية على هذا الكوكب الأرضى ليوظفه بجمـــل مضللة ومشككة بحيث يورد وجود البرق والبراكين كمسببات لوجـود اكتشاف النار فى بداية حياة الانسان وكأنه يريد ان يوهمنا أمام حقيقة تاريخية لا ننكرها علميا ولا دينيا ولكنه يريد أن يوظف هذه الحقيقة الى خدمة فكره المادى ثم بالتالى يطوعها الى اكتشاف تـاريخى عن حياة الانسان وقدمه بمنظور تاريخى يبتدعه من أصل غير موجود لا فى الكتب الدينية السماوية ولا فى الكتب التاريخية الدينية ٠٠ ولا نعرف كيف أتى بهذه المعلومات عن الانسان وحياته قبل ملايين السنين وكأنه عاصر التاريخ وشاهده وأخذ يرصـــد واقعه ، مع أن كل الشواهد التاريخية الانسانية وغير الانسانية لم تورد كل ما أشار اليه هذا الفيلسوف المضلل واذا رجعنا الى تاريخ العلوم الانسانية والى العلم الذى يختص بحياة الانسان وتقدمه وتطوره ورجعنا الى الكتب الســـماوية والى القرآن

الكريم الذى جعله الله دستور الأمة الاسلامية والى علوم الفقه والحديث، وكل العلوم الطبيعية والكونية ، وكل العلوم التطبيقية ، والنظرية لم نجد حرفا واحداً يتفق مع رأى وفكر هذا الفيلسوف الا فى جزئيات بسيطة أورد ذكرها هنرى فى بعض فصول كتابه سنكشف عنها فيما بعد ٠

وحتى هذه الحقائق العلمية والتاريخية بعضها لم يرحمها من التحريف نصا ومعنى ، وسنكشف عن المغالطات التاريخية والدينية التى وقع فيها هنرى عندما تحدث عن بداية اكتشاف الانسان للنار ٠

وحينما نتأمل الفلسفة الفكرية لجيمس هنرى عن اكتشاف النار لأول مرة عند الانسان القديم قبل ملايين السنين ومغالطاته التاريخية الأخرى نجد أن جيمس هنرى لم يختلف عن غيره من المفكرين الذين تبنوا فكرة العصور الحجرية وأصل الانسان الذى شبهوه بالحيوانات فى طريقة تفكيره وذكائه ، ومأكله ومشربه ووازوا بينه وبين الحيوانات التى كانت تعيش حوله ، وما أدى بعد ذلك من وجود صراع بينه وبينها من أجل الوجود ، والبقاء والبحث عن المأكل والمشرب بنفس الطريقة التى تبحث بها الحيوانات عن غذائها ومشربها فى الصحراء والغابة ٠

وأما هذا الفكر الفلسفى العبثى فيجعل الانسان من المخلوقات المجردة من الارادة الفكر ، والعقل ، والفطرة التى ولد عليها وكل الحواس الآدمية التى ميزها الله لهذا الانسان عن بقية المخلوقات ، والكائنات الحية منذ الخليقة الأولى لسيدنا آدم عليه السلام ٠

وفى رأى جيمس وغيره من المفكرين أصحاب الايديولوجيات الزائفة المدمرة أن وصول الانسان الى التفكير بوجود العقل ، واكتشاف البيئة التى يعيش فيها لم يكن وليد الفطرة التى فطرها الله منذ خلقه ، بل ان لوجوده على هذه الأرض بحكم الطبيعة بعد أن تفجرت الخلايا الفيزيائية - كما يزعمون - فتح عينيه على هذه الدنيا ليرى نفسه حيوانا أليفا مع بقية الحيوانات التى تعيش فى نفس كوكبه يتجول فى الغابة بحثا عن معيشته واكتشافه لها ، وبعد أن تطور الانسان بحكم النشأة استطاع أن يكتشف ذاته ، وفكره وعقله ، وهذا ما أدى بالتالى الى أن يتطور ببطء عن الحيوانات والكائنات الأخرى ، حتى وصل الى ما يكون به الآن وأصبح مميزاً عن بقية الحيوانات الأخرى بالفكر والعقل دون غيره ٠

وانى أعجب - كما يعجب غيرى - لمثل هذه الأفكار السقيمة ،

والآراء العديمة ٠٠ والعبثية المطلقة فى طريقة التفكير ، والحكم على وجود الأشياء وطريقة تفسيرها وتحليلها منذ ملايين السنين بدون شواهد علمية أو دينية والوصول بها الى النتائج التى لا يتقبلها الفكر المنير لا العقل المستنير ، ونحن المسلمين ومن يؤمنون بـ « الأديان السماوية المنزلة » وغير المحرفة ندرك تمام الادراك ان الله سبحانه وتعالى منذ خلق الانسان كرمه ووضع له الصفات البشرية ، والمميزات الآدمية من العقلانية والوجدانية ، والروحية والمادية و «الميتافيزيقية» ٠

وان الانسان ، وهذا الكون منذ آدم عليه السلام وحتى قبل ذلك كثير وجد ليكون مسلما منقاداً طائعا لله عز وجل ٠٠ وعندما خلق الله آدم طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وخرج عن طوع ربه فأصبح من المشركين ٠

وجيمس هنرى كغيره من المفكرين الملحدين ينكر أبوة آدم عليه السلام لبنى البشر وان أصل البشرية يرجع اليه ، وانه عليه السلام هو أب البشر الأول ٠

ان هذه المغالطات التاريخية التى يروج لها أعداء الاسلام ويبشر بها أصحابها لتكون معتقدا فكريا ودينيا تمثل فى حد ذاتها لونا من ألوان الفكر العقائدى الذى له آثار خطيرة على أفكار وعقول أولئك الذين تزعزعهم مثل هذه الايديولوجيات ومغالطاتهم التى تعكس حقيقة الخلق، والمخلوقات وتشوه واقع الانسان ، وظروف حياته المعيشية والبيئية ٠

ونحن حينما نتحدث عن هؤلاء المفكرين الذين يعيثون فى الأرض فسادا بطريقة أفكارهم فى تفسير الخلق والمخلوقات وفق تصوراتهم المادية التى تخلو من التأمل التدبر العقلانى و « الميتافيزيقية » فى وجود الله ، وفى ملكوته ، وفى خلق الوجود الانسانى ، والطبيعة وقوانينها فى نواميس الحياة والمجريات ، والكواكب ، والسموات والأرض ومن عليها ، نجد الرد فى تفسير الموجودات بالموجود عند الفارابى فى فلسفته الاسلامية الذى يفسر فيها الموجود الذى لا شريك له هو الله ٠٠ فيقول ان الموجودات اما أن تكون ممكنة الوجود واما أن تكن واجبة ولا ثالث لهذين الرأيين ٠٠ ولما كان ممكن الوجود ـ والقول للفارابى ـ يتحتم أن تسبقه علة تدفعه الى الوجود وبما أن العلل لا يمكن أن تتسلسل الى ما لا نهاية له فلابد من الوصول الى موجود واجب الوجود ولا علة لوجوده (١) وهو العلة الأولى لجميع الموجودات ومعنى الموجود الواجب الوجود يحمل فى ذاته البرهان على أنه يجب أن يكون واحداً لا شريك له٠

اذن فالموجود الذى له غاية الكمال يجب أن يكون واحداً (٢) وهذا الموجود الذى لا شريك له هو الله ، ففى القرآن الكريم آيات بينات توضح لنا ان كل من فى هذا الكون ، والوجود والموجودات الأخرى تسبح لله الواحد القهار ٠

وفى قوله تعالى (سبح لله ما فى السموات ، وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) (٣) وفى آية أخرى قال تعالى « ألم تر أن الله يسبح له ما فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » (٤) وقال تعالى : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » (٥) وقال تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » (٦) كما قال تعالى « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم الى ربهم يحشرون » (٧) ٠٠ وفى سورة أخرى قال تعالى : « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين ٠٠ » (٨) وقال تعالى : « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة ، والملائكة وهم لا يستكبرون » (٩) ٠

وهذه الأدلة من القرآن الكريم تثبت أن هذا الكون خلق مسلماً منقاداً طائعا لله رب العالمين وان هذا الوجود لم يكن محض صدفة أو بأحكام الطبيعة أو بتفجير الخلايا ، ونحوها وتطورها كما يزعم أولئك الفجرة وأولئك الكفرة الذين يشبهون الانسان بالقرد والحيوانات ٠

ويأتى دليل وبرهان آخر على أن هذا الكون أو هذا الوجود من خلق الله سبحانه مسخراً بأمره وبارادته وبطوعه ، والكل يسبح لـه الواحد القهار ، ففى السنة الشريفة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بفرقة النمل فأحرقت فأوحى الله اليه ، انما قرصت نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح » ، وفى رواية أخرى « أحرقت أمة تسبح الله » (١٠) وفى قول آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « احد يحبنا ونحبه » (١١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لأعرفه الآن»(١٢)٠ وهكذا من أقوال رسول الله فى السنة الشريفة أحاديث كلها تدور حول هذه الأدلة ٠

ومن خلال هذه البراهين السماوية والأحاديث الشريفة وغيرهـا يبدأ تاريخ البشرية بآدم عليه السلام وزوجه وأبنائهما المفطورين على التوحيد لله ، وان الله أخذ عليهم العهد بذلك حسب ما جاء فى الآيـة الصريحة : « وأذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم

على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (١٣) ٠

ولان الشيطان مسلط على بنى البشر فقد أبعد بعض البشر عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، ولأن رحمة الله وسعت كل شىء وقد تعهد الله بنى آدم بارسال الرسل والأنبياء بدءاً بنوح عليه السلام وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (١٤) ٠

ويكفينا من هذه الاثباتات والبراهين التى تدحض مزاعم أولئك المفكرين من غير المسلمين الذين يضللون بسمومهم الفكرية الحقائق حول خلق الانسان ووجود الكون ووحدانية الله ٠

وما يهمنا اليوم أن نحذر من مغبة هذه الأفكار المسمومة والمحمومة ونتوه عنها ، ونطلب من شبابنا وأجيالنا أن يتجنبوا الوقوع فى مثالبها ، وفى دهاليزها المادية البحتة وان يكونوا في منأى عن تاثيراتها الفلسفية وايديولوجياتها المنحرفة عن جادة الطريق التى توصلنا الى الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه وآياته ومخلوقاته ٠٠ وأولئك الذين يعتنقون أفكار أولئك المضللين يؤمنون بها ويروجون لها أن يرجعوا الى صواب التفكير وحسن التدبر بالرجوع الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وغيرها من الشرائع السماوية التى تهديهم الى معرفة وجود الله ، والكل يسبح بأمره وهو الواحد القهار واليه ترجع الأمور ٠

ونسأل الله الهداية للجميع ٠٠ ولا ننسى أننا خير أمة أخرجت للناس ٠

المراجــــع :

١ ــ رسالة عيون المسائل ضمن مجموعة الرسائل الفارابية ص ٥٧ ط ليدن ٠

٢ ــ المدينة الفاضلة ص «٧» ٠

٣ ــ الصف آية «١» ٠

٤ ــ النور آية «٤١» ٠

٥ ــ الرعـــد آية «١٣» ٠

٦ ــ الرحمن آية «٦» ٠

٧ ــ الأنعــــام آية «٣٨» ٠

٨ ـ فصلت آية «١١ ، ١٢» .

٩ ـ النحل آية «٤٩» .

١٠ ـ المعجم المفهرس مجلد «٢» ص «٣٩١» .

١١ ـ نفس المرجع ص «٣١٨» .

١٢ ـ المرجع نفسه ص «٣١٨» .

١٣ ـ الأعراف آية «١٧٢» .

١٤ ـ الشورى آية «١٣» .

الماسونية والبهائية وجهان لعملة واحدة (★)

الماسونية والبهائية توءمان خرجا من رحم الصهيونية ، فهى الأم الشرعية التى احتضنت طفليها فكبرا وتنموا فى ظل رعايتها حتى غدوا يحملان « ايديولوجياتها » ومعتقداتها واخذا ينشرانها دعوة وفكرا بالسر والعلانية ، فلقد احتوت الصهيونية عن طريق هذه الاقنية بعض المفكرين والمثقفين السياسيين الغربيين والعرب الذن يدينون بالأديان المختلفة الوضعية والسماوية ، فلم يعد للفكر المسيحى والاسلامى وغيرهما وجود فى ظل اعتناق المذهب (الماسونى) أو (البهائى) اللذين كما ذكرنا آنفا بشرت بهما الدعوة الصهيونية ٠

١ ـ البهائيون دعوة وفكر :

لا يساورنى الشك ونحن نقرأ (قراءة وثائق البهائية) : (١) « ان البهائية أسستها الصهيونية العالمية لتواجه بها الأديان الأخرى ، وبالذات الدين الاسلامى وأمته ٠٠ فان أخطر ما فيها أنها لا تبسر فينا بنحلتها صراحة فتأخذ الأمة حذرها منها بحدس الدفاع عن الذات ، بل قصدت الى أن تصوغ الفكر الاسلامى المعاصر صياغة بهائية يهودية لا عهد للتاريخ متها دهاء تمويه وخبث ذرائع ، فنشبت مقولاتها فينا باخره فى طوفان رهيب من علمانيات محدثة خلابة ، تعاطاها المسلمون خاصة وعامة فيما يشبه الادمان دون أن يستريبوا فى دعاتها ومروجيها ، كهان هذا الزمان ممن افرزتهم هذه المرحلة العصيبة التى تواجه أمتنا تكاليف صراع البقاء وتحديات الوجود والمصير » ٠

٢ ـ البهائية ٠٠٠٠ وكتبها :

ففى الكتب البهائية التوضيحية ، والتى تفسر الكتب المقدسة عندهم مثل (٢) الدليل والارشاد فى لقاء رب العباد ، والتبيان والبرهان ،

(★) البلاد (العدد) ١٦٠٨٩ ، ٢٦ ربيع الاخر ١٤١٤ هـ ٠

والرائد ، والدليل ، والحجج البهية ، والدرر البهية ، وغيرها ٠٠ تحاول كلها تفسير آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وبعض مقتطفات من الانجيل والتوراة بما يؤكد ألوهية البهاء ، كما تحاول أن تثبت الاعتقاد بأن موعود الأمم المبشر به فى الانجيل والتوراة هو البهاء ، وإن الآيات التى تتحدث عن مجيء الله أو لقاء الله أو يوم الله كلها مقصود بها البهاء وهذه الكتب تتضمن أيضا اشارات ودلائل تدعى بها أن البهاء قد وردت عنه آيات فى القرآن الكريم وهم يجمعون هذه الحروف بطريقة معينة ويطرحون بعضها من بعض بطريقة معينة أيضا لكى يصلوا الى التواريخ التى تتناسب ومعتقداتهم وتنطبق على ما يدعون ٠٠ وكما هو ظاهر من كتبهم انها ترمى الى بث عقائد فاسدة تناقض أصول الدين الاسلامى وعقيدته وترمى الى تشكيك المسلمين فى كتابهم وفى نبيهم عليه الصلاة والسلام ٠٠ بل انها تخالف كل الشرائع السماوية وتحض على افسادها ، وعلى هدمها ودمارها لتبقى اليهودية فى ظل الصهيونية هى النبراس القوى وهى السلطة الحاكمة المسيطرة على بنى البشر تحت شعار (العلمانية اللادينية) التى يحتضنها العم سام الأب الشرعى لـ (الماسونية) ٠٠

البهائية تنخر فى جسد الأمة :

تذكر لنا الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى مرجع سابق ان (البهائية) تمارس نشاطها خفية ، ولقد لبثت محافلها قائمة فى مصر عشرات السنين قبل تعطيلها وفى التحقيق مع الرسام (بيكار) نائب الرئيس للمحفل الروحانى المركزى بمصر والسودان وأفريقيا وزعيم خلية القاهرة سنة ١٩٨٥ قال فيما قال : « ان البهائية وهى ديانة عالمية طبقت فى مصر منذ مائة سنة ، حيث كان يوجد مجتمع بهائى مسجل فى المحاكم المختلطة ، ومقره بحظيرة القدس بالعباسية ، الى أن صدر قانون سنة ١٩٦٠ بحظر المحافل البهائية ، ومصادرة أملاكها ووقف نشاطها ٠٠ فكان لا بد لأعضاء المحفل أن يعقدوا اجتماعاتهم فحولوها الى زيارات بينهم كأصحاب عقيدة واحدة وكان طبيعيا أن نتزوج من بعضنا وكنا نقرأ المناجاة الخاصة بالبهائيين وهى الادعية التى نزلها حضرة بهاء الدين والكتاب الأقدس ، وفيه تمخضت الأحكام البهائية وهى منزلة على حضرته من الله تعالى ٠٠ !! » ٠

آراء العلماء المسلمين فى البهائية :

ان مذهب البهائية لشتمل على عقائد تخالف الاسلام والأديان الأخرى ٠٠ لانها تدعى بنسخ جميع الأديان ، وادعاء النبوة لبعض زعماء

المذهب ، ومن ثم فهو مذهب باطل يرفضه الاسلام وليس من مذاهب المسلمين المعتبرة ، ولا من فرق اليهود ، ولا النصارى ، ويعلن الأزهر أن من اتبع المذهب البهائى من المسلمين يكون مرتداً عن الاسلام وتنطبق عليه أحكام المرتدين ٠٠ لانهم ضالون مضلون ٠٠ بل مفسدون فى الأرض وهذه الجماعة فى الأغلب جماعة سياسية تخضع للصهيونية وتعمل على تنفيذ برامجها فى الأوطان العربية والاسلامية ٠٠ وآية ذلك انهم اتخذوا قبلتهم حيفا ، فهم أدوات الصهيونية العالمية فاحذروهم ونحوهم عن مراكزهم وأعمالهم المؤثرة ، انهم جراثيم أوبئة فتحصنوا ضدهم بالاسلام واستسلموا بأصلية القرآن ، وسنة الرسول محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه صلاة والسلام ٠٠

وباختصار ، فاننا ننبه المسلمين من حركة البهائية وانتشار دعوتها وحضور محافلها فى السر كما نطالب بعض الدول الاسلامية والعربية التى تفتح ذراعيها للمحافل الماسونية كـ (الروتارى) و (الانتركات) و (الاترويل) وغيرها ٠٠ وتسمح لأبنائها بحضور هذه المحافل تحت مسمى هيئات أو مؤسسات خيرية أو تعارفية ، أن تحظر هذا التجمع ، وهذا النشاط الذى يخدم حركة الصهيونية فى احتواء شابنا ومثقفينا والنخبة منهم ٠٠ فليكن شعارنا نحن العرب والمسلمين محاربة هذا النشاط الصهيونى الذى ينبثق عنه ما يسمى بالمذهب (الماسونى) و (البهائى) التوءمان اللذان خرجا من رحم سام فهو سام ٠

المراجع :

(١) قراءة وثائق البهائية ٠ بنت الشاطىء — الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر ٠

(٢) أضواء على البهائية الفكر والعقيدة ٠

حوار بين مسلم وبهائى ، محمد عبد المنعم خفاجى ، وعبد العزيز شرف — دار مصر للطباعة ٠

القرشي بين الدعوة الى الاسلام وهيئة الاغاثة (★)

★ دعاني الزميل فايز القرشي مع بعض زمـــلاء الدراسة في مرحلة « البكالوريوس » في حفلة عشاء اقامها في منزله في شهـــر شعبان المنصرم وشاءت الظروف أن أجتمع في هذا اللقاء مـــع الاخ الصديق الدكتور سريد قرشي المشرف العام على هيئة الاغاثة الذى كان يدرس في الولايات المتحدة الأمريكية حينما كنت ادرس هناك ، وكان يجمعنا لقاء فكرى من خلال اشرافي على رئاسة تحرير مجلة طلابية كانت تصدر عن النادى السعودى بمدينة سانديياجو بولاية كاليفورنيا ، واسم هذه المجلة « العقل العربي » ، وكانت تصدر باللغة الانجليزية ، وهي دورية فصلية ، ويدعمها حينذاك الملحق الثقافي بالولايات المتحدة الأمريكية سابقا الأستاذ صبحي الحارثي ٠٠ والذى جعلني اذكر هذه المناسبة عن الدكتور فريد قرشي انه كان يتعاون معنا بمقالات يكتبها للمجلة باللغة الانجليزية ، وكان يتناول فيها قضايا فكرية اسلامية تنم عن عمق في الفكر الاسلامي ٠٠ طرحا وتحليلا ٠٠ واستنتاجا ، وكأنك أمام عالم مفـــكر يبحث في شئون القضـــايا الاســـلامية ، التي تهم المسلمين ، والتي تدعو الى دخول الاسلام من خلال طرح فكرى متنور متميز بـ « العقلانية والوجدانية » و « الميتافيزيقية » ما وراء الماديات وكان يخاطب فيها تلك العقول التي لا تؤمن الا بالمحسوسات والماديات ناهيك عن تمثيلها بـ « مجتمع علماني » يقيم الحياة على غير دين ٠

والقارىء غير المسلم الذى لا يعرف شيئا عن الدين الاسلامي ـ ويعتنق الأديان الأخرى حينما كان يقرأ المقالات الدينية العلمية عـن الاسلام التي كان يكتبها الدكتور فريد كان يشتاق الى مزيد من المعرفة

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ ٨٥٨ ـ ١٤١٢/٩/١٦ هـ ٠

عن الاسلام ، وعن التشريعات الاسلامية ، والفقهية ، ونحن نقيم الأدلة على ذلك من خلال ما يصلنا من القراء الذين يطلبون المزيد من المعرفة عن الاسلام والتى كنا ننشرها فى باب القراء · ويجيب عليها الدكتور فريد ، وفى واقع الأمر لم يكن نشاطه مقتصراً على ما كان ينشره من اسلاميات فى مجلة العقل العربى – آنفة الذكر – بل تجاوز هذا النشاط خارج حدودها الى محاضرات كان يعدها عن الاسلام ، ويلقيها على غير المسلمين فى داخل قاعات المحاضرات فى الجامعات الأمريكية ، بالاضافة الى « المناظرات « Dabets » ·· التى كان يشترك فيها مع غير المسلمين ، والتى كان يشتد حماها وسخونتها فى المناقشات ، والمجادلات الى ارتفاع فى درجة حـــرارة الجدلية التى كانت تثار فى هذه المناظرات ، وبالرغم من ذلك ما كنا نشعر قط بأن الدكتور فريد كان يبدو عليه ملامح الغضب أو التشنج أو الانفعال ضد مناظريه بل كان يناقشهم بكل هدوء وسكينة ويجادلهم بالتى هى أحسن ·· وهذا ما كان يضفي على جو هذه المناظرات والمناقشات التى كانت تأتى من الحضور طابع الموضوعية فى شكل الحوار البناء المفتوح الذى كان يخلو من الانفعالية المثيرة ·· أو التشنجية الغاضبة » ·

والذين درسوا فى الولايات المتحدة الأمريكية يعرفون تمـــام المعرفة ان جو هذه المحاضرات وتلك المناظرات يشوبه حرية الفكـــر وصراحـــة الرأى ، والنقاش الحـــاد أو الساخن العقـــلانى لأن ذلـــك المجتمع ، وأقصد به المجتمع الأمريكى عقلانى ، وعلمانى ، وجـــدلى الى درجة « الديالكتيكية » وهنا تكمن الصعوبة فى عرض الموضوعات التى يريد المحاضر أو المناظـــر عرضها على الجمهور ، فاذا لم يكـــن المحاضر متمكنا فى أطروحته علما وتحليلا واستنتاجـــا وبشكـــل موضوعى ، عقلانى ووجدانى فانه أمام هؤلاء الماديين والعلمانيين والعقلانيين يضعف وربما يخرج ويكون موضـــوع سخـــريتهم ، لأن الطرف الآخر يحاول بقدر الامكان أن يمسك بأين ثغرة بسيطة ينفذ منها الى صلب الموضوع ·· ويحولها الى تعجيز والى احراج وخصوصا فيما يتعلق الأمور « الميتافيزيقية » ما وراء الماديات أو « الغيبيـــات » أو ما وراء الطبيعية ·

وفى الدين الاسلامى نحس بالغيبيات ونؤمن بها عن طـــريق العقل والفكر ، والقلب ، والوجدان ولكن بعض الأديان الأخرى تكفر بهذه الغيبيات ، ولا تؤمن الا بالمحسوس المادى العقـــلانى لوحده ، وهذا ما ينبغى أن نحسب له ألف حساب ونأخذه فى اعتبـــارنا وفى محاضراتنا عن الاسلام ، وفى مناظراتنا عن الاسلام كما يفعل المفكر

الاسلامى الكبير « ديدات » وهذا ما كان يميز أيضا الدكتور فريد قرشى فهو يملك القدرة والموهبة على أسلوب الاقناع وفنـــونه ·· ويتجاوزه الى حد أكبر عندما كان يتكلم عن الاسلام ويدعو الى الدخول فيه ، وكان لى الشرف العظيم أن أستمع الى محاضراته والى مناظراته التى كان يشترك فيها مع غير المسلمين ، وبحكم انه ضليع ومتمكن من اللغة الانجليزية ساعدته الى حد كبير فى الاجابة عن أسئلة الحضور من غير المسلمين والتى تدين بأديان أخرى بعضهـا « أيديولوجى » فكرى وبعضها من الأديان الأخرى كـ « المسيحية » واليهودية ، وكنت وأنا أنظر الى الحضور فى ذلك الوقت الذى أحضر محاضرات الدكتور فريد ، ومناظراته أشاهد من بين الحضور رجـــال دين مسيحيين ، ورجال دين من الحاخامات اليهودية ، وكلهم دارسون للدين الاسلامى ويحفظون بعض الآيات من القرآن الكريم التى تتكلم عن الغيبيات أو عن تعدد الزوجات ـ وكانت مجمل المناقشات التى يثيرونها حــول الاسلام ، وتعدد الزوجات ويقيمون عليها جدليات بيزنطية وغوغائية، ولكن القرشى كان يقف لهم بالمرصاد مقيما لهم الردود الموضوعيـــة التى كان يحاججهم بها بسعة اطلاعه على التشريعـــات الاســلامية والفقهية ، والتفسيرية من أحاديث السنة ، والاجمـــاع والقياس ، والاجتهاد ، وهلم جـرا ·· وامتد نشاط القرشى فى رســالة الدعوة الى الاسلام والتكثيف من نشاطها فى داخل الولايات المتحدة فكان له حضور ووجود بين الأخوة الذين شاركوه هذه الرسالة العظيمة مـن الدعوة لاحتواء عدد كبير من الأمريكان الذين آمنوا بالاسلام واتخذوه دينا لهم بعد أن هداهم الله وأرشدهم الى طريق الحق والصواب ·· ليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، ولم تلان رسالة الدعوة الى الاسلام فى بلد علمانى ومادى بالسهولة بمكان لكن الدكتور فريد الذى استفاد من دراسته العلمية فى الولايات المتحـــدة استطاع أن يكتشف أبــواب الدخول الى عقول هؤلاء العلمانيين ويتسلل الى أفكارهم ويخاطبهم بلغتهم العصرية وبفراغهم الروحى الذى عطل كل حواسهم الايمانيــة لتشع فيها روح الضياع والتشرد والعجز فى مواجهة الحياة ماديا ، ومعنويا وكما وجدوا من يهديهم الى الخلاص من الضـــغط النفسى والروحى ويضىء لهم طريق النور والهدايا ويخـلصهم من الفـــراغ الروحى والمادى استجابوا للدعوة الاسلامية ودخلوا فيها بقناعة بعــد أن درسوها ، واستفادوا منها أدبا وخلقا وروحانية ··

فى الختام ما وددت أن أقوله عن الدكتور فريد الذى يشرف على هيئة الاغاثة ووهبها جل اهتمامه وسعة نشاطه مع زمـــلائه لم يكن مستغربا منه منذ أن كان طالبا فى الولايات المتحدة ، فقد نذر نفسه فى

خدمة الاسلام وقضاياه ومصالح المسلمين ، وباشرافـــه على هيئة الاغاثة ويدعم خير رجال البلاد ٠

وأحب أن أشير الى ما كتبه معالي الدكتور محمد عبده يماني (١) عن رجال الهيئة الذين أوكل اليهم موضوع الاستثمار لمشروعات الهيئة ضمن مقال معاليه المنشور فى مجـلة « اقرأ » والذين وصفهم بخبرة رجال البلاد لأنهم وظفوا خبرتهم وركزوا جهودهم لوجه الله تعالى ٠ وانني فى نهاية الأمر أضم صوتى مع صوت الدكتور اليمـــانى بأن الهيئة شرفت بهم وشرفوا بها وأســـأل الله أن يكثر من أمثال هؤلاء الرجال ويوفقهم لعمل الخير بما فيه مصلحة الانسان والانسانيـــة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هـــو خيراً وأعظم أجراً » وقـــال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سـنابل فى كل سنبلة مـائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واســـع عليم » (٢) ٠

نسأل الله التوفيق للجميع ٠ ،،

المراجـــع :

١ ـ محمد عبده يمـانى ، للعقـلاء فقط ، مجـــلة اقـــرأ : ٨٥٢ فى ١٤١٢/٨/٣ هـ ص ١٥ ٠

٢ ـ سورة البقرة : ٢٦١ ٠

الأستاذ أمين عبد الله القرقوری
بين
الفكر الاسلامی ودعوة الحق (★)

ربما يكون من باب القصور بالشیء على احدنا أن ينسى علما من اعلام الفكر المعاصر الذى اثرى حركة الفكر ، والثقافـــة ، والأدب فی بلادنا . فالمفكر الاسلامی الأستاذ أمين عبد الله قرقوری احد الذين ساهموا الى حد كبير فی تقديم الأبحاث والدراسات التى تناولت الفكر الاسلامی فی عصوره المختلفة ، وأهم ما كان يميز تلك الدراسات التی لا تجمعها الكتب أو المؤلفات فی فترات تاريخية مختلفة انها اتخذت خطا أو منهجا علميا جعلها أن تكون فی تقدير وكبار العلماء والمفكرين وغيرهم من صفوة المثقفين ومن بين تلك الدراسات الفكرية والعلمية التى اتخذت المنهج المقارن فی تحليلها العلمی ، ذلك الطــرح الذى كــان يقدمه مفكرنا الاسلامی لبرنامجه المشهور « دعوة الحق » الذى كــان يذاع من اذاعة جده قبل زهاء اثنی عشر عاما ، وكان مقدمه الاذاعی المعروف اللامع الأستاذ بدر كريم ، فكانت تلك الأبحاث أو تلك الدراسات التی كانت تخرج من ذلك البرنامج تحسب أو تصنف على انها رسائــل علمية أو ما نسميه بالمصطلح العلمی الاكاديمی « أطروحــات علمية » وكما ذكرت سلفا انها كانت تستخدم فی تحليلات النصوص العلمية اداوت البحث العلمی الذى خرج من بطن أو رحـــم المنهج المقـــارن بين فكرين وهما الفكر الاسلامی بنصوصه القرآنية وبمراجعة وابحاثه

(★) جريدة الندوة ـ العدد ١٠٤٠١ ـ الخميس ١٤١٣/٩/١١ هـ .

العلمية ، وكل العلوم الشرعية التى تدخـــل فى حكم الشريعة الاسلامية وهكذا ..

وأما الأفكار المذهبية فبحكم اطلاعه الواسع على مراجعـها ، وأبحاثها استطاع أن يفند تباشيرها من خلال أولئك الفـــلاسفة أو المفكرين الذين خرجوا من بيئة ويطون التاريخ الأوروبى المعاصر الذى أوجدته الحركة المادية لتاريخ البشرية فى تلك الحقبة الزمنية التى أرخ لها الباحثون فى أوروبا فى تاريخ النهضة الأوروبية من القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وأوائل القرن السابع ، وامتدادا لما بعد تلك القرون فكانت أوروبا حينذاك تعيش فى عصور تخلفها الحضارى ، وانحطاط الفكر فيها فكانت الكنيسة هى التى وقفت فى وجه الحضارة الأوروبية ، وخلفتها فى العصور الاسلامية التى كانت مهداً للحضارة والفكر المستنير ، ونوراً للمعرفة والاشعاع العـــلمى . وكما خبرتنـــا تلك الدراسات المقارنة بين هذين الفكرين وخبرتنا بهــا كتب التــاريخ الاسلامى والحضارى : ان الشريعة الاســلامية هى نور المعـــرفة ، والاشعاع العلمى بكل مفاهيمه الحضارية التى استفاد منهـــا علمـاء المسلمين والمفكرين حتى من علماء الغرب ومن أساطينها وبالرغم من تحرر الأوروبيين من سيطرة الكنيسة ، واتخاذهم المنهج العـــلمانى سلوكا لبناء تقدمهم الحضارى والفكرى فلا زالت المجتمعات الأوروبية ترزح تحت كابوس فلسفة العلمانية التى بشر بها فيلسوف العلمــانية هوارد بيكر (Howard Baker) وكما يذكر المؤرخون لهذا المصطلح انه يقابل مصطلح المقدس ، فالدولة « Secuar « Sacred » العلمانية اذن هى المقابل والنقيض للمجتمع « المقدس » والمقدس هنا ليس المقابل لـ « الدنس » وانما هو المقابل لـ « المتطور ـ والمتجدد » ، لانه فى عرف بيكر ينحصر فيما هو دينى أو روحانى أو الهى أو كنسى « فالعلمانية » فى عرف أو ذمة التاريخ الأوروبى المعاصر هى الفكـر والدولة ، والمجتمع والنقيض للكهانة وادعاء النيابة عن الســـماء ، والحكم بحق الآلهة ، وفرض الجمود والثبات الدينى على ما هو متغير ومتطور بالطبع من شئون الدنيا والدولة والمجتمع ذلــك هو مضـــمون « العلمانية » كما تحدد فى مواطن نشأتها ولدى الذين صكوا مصطلحها « Secularism » فى فكر الحضارة العربية (١) ومن هنا كــان فصــل الدين عن الدولــة أخص خصائصها . بينما نجــد أن حضارتنا العربية الاسلامية لم تعرف الفكر « الثيوقراطى » ولا تطبيقـاته ولا مؤسساته ذات الرأى الواحد والمزعوم انه رأى السماء ولم تعـرف كذلك النشأة الطبيعية للفكر العلمانى ونلاحظ أيضا أن المجتمعــات

الأوروبية أخذت تؤمن بالمعتقدات المادية التى بشر بها وليم جيمس ، وجون ديوى « البراجماتية » التى تجعل من الفائدة العملية أساسا لصحة أو خطأ أية فكرة وهى بذلك تقدم « صيغة فلسفية » للعلاقات القائمة فى المجتمع الأمريكى وأصبحت هذه الفلسفة « البراجماتية » هى المحور الأساسى الذى يحرك المجتمعات الأوروبية سلوكا وفكرا وعقيدة ومنهجا عاما متكاملا للحياة فى نسج اجتماعى متعارف عليه فى وسط هذه المجتمعات ٠٠ فاذا رجعنا الى الدراسات التى كان يقوم بها مفكرنا الاسلامى الأستاذ أمين عبد الله نجد أنها كانت تركز وبشكل دقيق على البحث المقارن فى الوقوف بين فكرين متناقضين الفكر الاسلامى وهو المنهج الالهى الذى خص به الله كل مخلوقاته البشرية وبين ذلك الفكر الماركسى المادى الذى جعل الماديات فوق الخالق ، وفوق الانسان واعتبر الأديان أفيون الشعوب وتأخرها ، وتخلفها ، وان كانت هذه الفلسفة وغيرها من الفلسفات المادية الأخرى قد سقطت فى مهدها بل فى عقر دارها ، فهذا كان متوقعا لها ــ كما أشار بذلك فى دراساته الأستاذ أمين عبد الله ــ وبشر بها فى هذا الوقت الذى نرى فيه سقوط الجدار الحديدى وسقوط الماركسية وفلسفاتها ، ونظامها ، ولم تعد فى عصرنا هذا تشكل أية خطورة على الفكر العربى وعلى الفكر الاسلامى بعد أن شاهدنا الاسطورة التى انهارت والتى أضحت فى خبر كان وأخواتها ، وخلاصة القول ان أستاذنا أمين عبد الله الذى كرمته مؤسسة البلاد قبل زهاء شهرين يحتاج الى تكريم آخر كثر أهمية بأن يقوم أحد الأندية الأدبية بطبع كل انتاجه الفكرى الاسلامى الذى كان قد أنتجه لاذاعة جده والذى كان قد لاقى منه هجوما عنيفا من اذاعة موسكو التى اعتبرت ذلك البرنامج « دعوة الحق » خطورة على ايديولوجياتها الماركسية التى كانت تهدف من ورائها اشاعة هذا الفكر فى عالمنا العربى والاسلامى ، وكان لهذا الهجوم أثر ورد فعل عكسى لدى مجتمعنا الاسلامى الذى استطاع بفضل الله ثم بفضل تلك الدراسات أن يقف على حقيقة زيف هذه الفلسفة الماركسية المدمرة للفكر وللروح ، وللعقل ٠٠ وكما يظهر لنا أن طباعة ذلك الانتاج الفكرى سيكون مردوده ثراء فكريا للعقلية الاسلامية وللمكتبة الاسلامية التى تستفيد منه كثيرا فتحية لك يا أستاذ أمين ٠

المراجـــع :

١ ــ راجع هذا المصطلح ومشتقاته ومضامينه « معجم العلوم الاجتماعية » طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥ م وقاموس « علم الاجتماع » طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠ م ٠

قضايا ثقافيّة

نحن ·· والثقافة العامة والتثقيف الذاتى (★)

تربطني بـ « الشيخ نذير يحيى محروس » أكثر من وشيجة بحكم القرابة وصلة الأخوة التى تجمعنى بأبنائه ، وبحكم انه والدى الثانى بـ « الرضاعة » فاعجابى به لم يكن مرتبطا بهـذه القـرابة ـ وان كنت أعتز وأفتخر بها ـ ولكنى أرى فيه الأديب المبدع ورجل التاريخ الفذ الذى طاف أكثر بقاع المعمورة بل ساح فيها من خلال قراءاته المكثفة لـ « التاريخ » قبل الاسلام وبعد الاسلام فـ « القراءة » عنده شيء أساسى وضرورى وبدون القراءة ـ على حد قوله ـ لا يستطعم لذة الحيـاة ونعومتها ·· فهو لم يتوقف عند قراءة معينة ولا يكتفى بمرجع واحد فى أى حقل من حقول المعرفة بل يستزيد بالعديد من المؤلفات والمراجع التى تتوافق مع نزعته فكرية كـ « اطروحات التاريخ الاسلامى والأدبى» وكل ما يتعلق بـ « الثقافة الاسلامية » فقها وتفسيراً وحديثا ، وبالرغم من موسوعاته الثقافية التى يحدثك بها وبحذاقة تفكيره ، وسعة اطلاعه فهو يرفض أن يخرج عن دائرة مجالسة العامة فى بيته بـ « المدينة المنورة » مسقط رأسه كما انه يهرب من الأضواء الاعلامية التى تريد أن تتسلط عليه ، غير أن ابن أخيه الأستاذ أنور محروس الذى كان يعمل فى وكالة الأنباء السعودية استطاع من خلال حديث ثقافى أجراه معه أن يهرب هذا الحديث الى جريدة المدينة المنورة الذى نشر بعددها (٧١٢٧) والصادر بتاريخ ٢٤ صفر ١٤٠٧ هـ وعلى ما أذكر أن هذا الحديث تبلور الى ما يشبه بـ « الحديث الصحافى » وتركز على موضوع واحد عنى بـ « علم الفرائض » ـ المواريث ـ وهو أحد التخصصـات التى يتميز بعلومها ومعرفتها هذا الشيخ الجليل ، لأنه متبحر فى هـذا التخصص ، واستفدت كما استفاد غيرى من المعلومات التى جاءت فى ذلك الحديث الصحافى ·

(★) مجلة اقرأ ـ العدد «٧٨٢» ـ ١٤١١/٢/٢٤ هـ ·

وكما نما الى علمي أن الشيخ نذير لم يكن يعلم بهذا النشر الا بعد مواجهته به وأصبح في مواجهته أمرا واقعيا ومهما يكن أمر المواجهة رضي بها هذا الشيخ أو رفضها فانني استبيحه عذرا هذا اليوم لأسلط الضوء عليه من زاوية أخرى غير التي جاء بها ذلك الحديث لأنني سأجد أن القارىء لا يلاحظ من خلال هذا الاستعراض الجانب الشخصي من حياة هذا الرجل بل يكتشف الجانب الفكري والثقافي الذي يكون عند هذا الرجل بعد أن وهب حياته للقراءة وسعة الاطلاع في العلوم والمعرفة وقدم بها من خلال مهنة المحاماة التي يزاولها أو من خلال تفقهه في علم الفرائض الذي يستنسخ منه المناسخات في علم قسمة المواريث ، فقد درس وتعلم هذا العلم على أستاذه المرحوم محمد الرشيدي ، وأصبح أحد المتميزين في هذا التخصص بالمدينة المنورة ·· وان كانوا قلة أو ندرة لأنه يعتبر من العلوم الصعبة والسهلة الممتنعة وكم حاول هذا الرجل أن يدرس هذا العلم لأبنائه أو لن يرغب من غيرهم واستدعي العديد من أبناء المدينة لدراسة هذا العلم لينتفعوا به فلم يجد أية استجابة لهذه الدعوة العلمية غير القلة من طلبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في حلقة خاصة ظل الاهتمام بها على الجانب العملي كتطبيق على الدراسات النظرية التي عنيت بـ « علم الفرائض » ! وكم كان سعيداً أن يرى هؤلاء الطلبة قد استفادوا من التطبيق العملي لهذا التخصص كما انه قدر لهذه الجامعة الاسلامية حسن تقديرها له واهتمامها لطلبتها للاستفادة من التطبيق العملي للدراسات النظرية الأكاديمية للآخذ في الاعتار الرؤية العلمية لتقدير العلماء خارج أسوار اطار التدريس الاكاديمي وهذا يدل على الوعي العلمي نافذ البصيرة والمستدرك للجوانب المهمة في القواسم المشتركة التي تجمع العلوم بين النظرية والتطبيق بحيث يخرج طالب العلم ملما بهذه الجوانب وممارسا لها بـ « النظرية التطبيقية » المنتجة ، ولم يتوقف العلم على الدراسات الاكاديمية داخل الدرس بل تجاوزها الى الممارسة الفعلية من خلال دراسة هذا التخصص عن طريق التعلم الذاتي لهذه العلوم فتمت لديهم القدرة على مواصلة الاطلاع والسعة فيه الى أن وصلت الى درجة أن أصبحوا متخصصين فيه ان لم يكونوا متميزين فيه بحكم الممارسة الفعلية بتطبيق قواعده لانه أصبح مهنة يرتزقون بها من خلال ما يعرفونه من « مناسخات » معترف بها في المحاكم الشرعية بصفتها تهتم بـ « المواريث » ·

أما من الجانب الآخر الذي تميز به هذا الرجل الذي عنيته في طروحاتي هذه لأجعله نموذجا يحتذى به كل من يمارس مهنة المحاماة الشرعية أو من يقوم على عمل « المناسخات في قسمة المواريث » لأنه

فى واقع الأمر يرى من خلال فلسفته ونظرته لكل من يحاول أن يعمل فى مجال الشريعة الاسلامية « محاميا » أو رجلا يشتغل فى «المواريث » ان يضع فى اعتباراته مخافة الله والتقوى والصلاح فى كل عمل يقوم به بمعنى أن يأخذ الصفة الانسانية التى ينطلق منها لتمثيله الشرعى ف « المحامى » أكثر تحملا للمسئوليات الشرعية التى يحاسبه الله فيها بحكم انه يمثل طرفى المعادلة الصعبة فى كونه تقع عليه مسئوليات القضية التى يدافع عنها وهو يعلم علم اليقين اذا كانت هذه القضية على حق أو باطل ، وفى الوقت نفسه يلم بكل الثغرات القانونية التى يجد فيها العديد من التخريجات التى تساعده على بلورة القضية فى اطارها الحقيقى أو فى بعدها عن الحقيقة كما أنه فى الوقت نفسه يملك القدرة على مواجهة القضاء بالحقائق وبغيرها ، فالأحكام التى تصدر فى هذه القضية تعود فى الأساس على المعلومات التى يقدمها للقضاء وكما ذكرت فان ذمة المحامى هى التى تلعب الأدوار لحقيقة الموقف من حيث انه يمثل صفة المدعى أو المدعى عليه فالمحامى الذى يضع فى اعتباره « مخافة الله » يرفض أن يتقاضى فى أمور شرعية يكتشف انه يتلاعب فى حقوق الآخرين وكم هناك من المظاليم الذين راحوا ضحية محام خداع وكاذب يملك القدرة بحكم دراسته لقوانين المحاماة شرعية أو غير شرعية بـ « التلاعب » بهذه القوانين ويراوغ فى مرافعاته لها وهو فى الوقت نفسه يقوم زورا بقلب الحقائق الى باطل والعكس كذلك حيث يستطيع أن يقنع القاضى بشهود الزور أو بالأيمان الكاذبة أمام أمور تعتبر فيها الشهادة أو التحليف القسمى هى ثبات حكم القضية ففى واقع الأمر لا أريد هنا أن اغوص فى هذه الأمور الشرعية لأتفلسف فيها ثم تقودنى الى أن أدخل فى الأخطاء دون أن يكون لى قصد فيها لأن الشيخ نذير لم يتوسع معى فى هذا الموضوع وانما كل ما فى الأمر وضع شعار المحاماة بالتقوى والصلاح و « مخافة الله » وانها رسالة انسانية قبل أن تكون تجارة مضاربة لـ « الربح » فى سوق الأسهم ، أما فيما يتعلق بعلم الفرائض وما أشيع مؤخراً بأن بعض الباحثين يرغبون فى « برمجة » مناسخات علم ، قسمة المواريث فى الحاسب الآلى :

ف « الشيخ نذير » يرى استحالة نجاح هذه البرمجة لأسباب مهمة حصرها فى النقاط التالية :

١ ـ تدخل العلوم الرياضية الحسابية الدقيقة فى كسورها الاعتيادية لتصل الى « أرباع » و « اثمان » والى أصغر من ذلك وهكذا

دواليك .. فان وضعها فى قوالب تطبيقية تتمثل فى هذه الكســور الجاهزة تصبح من باب المستحيل بل ان تجذيرها بين وقت وآخر فى عد تنازلى حسب عملية المواريث وتعقيدها فى كثير من الأحيان يقف فى وجــه تخزينها .

٢ ــ ترتبط هذه الكسور بالرجوع الى المراجع الخاصة بهــذا العلم بشكل « ديناميكى » وفعال وتطبيقى بحيث تنفرد هذه الكسور على أحقية كل وارث على حدة خصوصا اذا كان « الأرث » فى أمور تتعلق بـ « الأوقاف » أو أراضى الحكر أو غيرها .

٣ ــ الملاحظة الدقيقة فى المناسخات تتطلب مراجعات حسابية دقيقة بين العملية الحسابية وبين المراجعات فيها لأن التعقيد كما ذكر يفرض الجهد الذى يبذله « الناسخ » فى توضيح كثير من النقــاط الخاصة بشرعية الوارث و « الموروث » .

وأمور كثيرة أوضحها « أبو كمال » تقف فى مواجهة التخــزين لهذه القوالب الجاهزة فى « الحاسب الآلى » فهو ينصح بعدم الاستمرارية فى مواصلة البحث لهذا التخزين لأنها ستعرض العملية الحسابيــة وغيرها للاخطاء التى يدفع ثمنها « الورثة » .

كما أن المراجع التى تناولت هذا العلم قليلة ونادرة وفى الوقت ذاته ينقصها كثير من المصادر الشرعية والقانونية الشرعية فلا يمكن بأية حال من الأحوال أن يعتمد عليها كليا فى وضع المناسخات ، وقد تكون ناجحة من حيث التنظير والارشاد ولكن من حيث التطبيق فان له ملاحظات على ذلك رفض ان يبديها ولكن أبدى استعداده لمن يراجعه ان يزوده بكثير من المعلومات حول هذا « العلم » الذى تابعه عــلى فترة طويلة من حياته العلمية وكرس جهده لمتابعة كل جديد مكتشف فى هذا العلم ، وقد يضطر أحيانا الى الرجــوع كثير من المصــادر والمراجع فى حالة مواجهته فى مسألة شرعية ارثية معقدة ، ليهتدى الى حل تلك المسألة وفق ما أشارت اليه تلك المراجع واتفقت على حلولها .

فاننى والحق يقال كلما جالست هذا الرجل فى مجلسه بالمدينة المنورة أو فى جلساته الخاصة عندما يزور جده فى وقت أجازة أبنائه ــ لأنه حاليا متقاعد عن الوظيفة ــ اشعر باننى استفدت منه علميا وفى الوقت ذاته يهدينى أو يرشدنى الى العديد من المراجع والمؤلفات التى لم أقرأها ، وأكتشف فى طى جلسة معه أنه يحيلنى الى مرجع فى الأدب

والتاريخ والعلوم الشرعية وغيرها فهو يعتز بكتب التراث الاسلامى والأدبى وفى الوقت نفسه يتابع كل الكتب المعاصرة التى يرى فيهـــا الفكر الواسع والثقافة العالية والتى ترتبط بالاصالة ويدعـــو الى التزاوج بين الأصالة والمعاصرة ويعتبرهما قواسم مشتركة بين العلوم والمعرفة ولا يرى بأسا فى التواصل بين العلوم لأن ذلك سنة من سنن الحياة التى نسعى بها الى اكتشاف كل شىء جديد يتناسب مع فكرنا وثقافتنا وبيئتنا بصفة عامة ٠

وكما ذكرت سلفا فان القراءة هواية محببة بل واجب مقدس ، فعلى رأى هذا الرجل العظيم فالكتاب عنده أهم من الغذاء وشرب الماء فهو يفضل القراءة عن كل شىء ما عدا الواجبات الدينية ٠

ولما حاولت متطفلا أن يعدد لى مجموعة الكتب والمؤلفات التى قرأها فى علوم المعرفة ابتسم وقال : يا ابنى يصعب على المرء ان يضع رقما لقائمة الكتب والمراجع التى قرأها لأن الكم ليس هـــو الأساس وانما المهم الاستيعاب الفكرى أو الثقافى الذى يخـرج منـه القـارىء ليكون المحصلة النهائية المفيدة التى ترسخ فكره ، ولما طلبت منه ان ينصحنى لمراجع علمية أجد فيها العمق التراثى فى مجـالات العــلوم الشرعية وغيرها ، احالنى الى عدد من كتب الفقه على المذاهب الأربعة والى مراجع تاريخية اسلامية وأدبية والى مؤلفـــات تعنى بعـــلم « المواريث » والتفاسير وركز على قراءة « الاغـــانى » و « تـــاريخ الطبرى » و « ابن خلدون » و « البداية والنهاية » لابن كثير ، و « الكامل » لابن الاثير و « جواهر الأدب » ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجـواد على ٠٠ وعدد كبير من مؤلفات التراث القديم فى كافة التخصصات الدينية والعلمية والأدبية والثقافية ، وخرجت من مجلس هذا الرجل وأنا مقتنع بأن الثقافة الذاتية لم تحرم الفـكر من سعـة الاطـــلاع ، الثقافى والاطلاع فى كل جديد من المعرفة وانها توازى ان لم تزد على التحصيل العلمى الاكاديمى الذى يتوقف على سنين الدراسة والـذى يؤدى بالتالى الى استثنائية الفكر وعدم تحركه الى المزيد من الاطلاع فى العلوم الأخرى « ثقافة عامة » ٠

وخلاصة القول : فاننى أطلب من وسائل الاعلام المختلـفة أن تسلط أضواءها على أمثال الشيخ نذير والذين يهربون من الكاميرا أو الذياع أو الصحف لتستفيد من تجربتهم الثقافية الذاتية والتى ارتقت بهم الى أعلى درجات الفكر والثقافة ، وان كانوا وراء الكواليس ، كما تستفيد دور النشر ببعض مؤلفاتهم التى يرفضون نشرهـــا كما ان

للمؤسسات الثقافية ك « الأندية الأدبية » وغيرها ان تسعى جاهدة الى الوصول اليهم والاستفادة منهم فى القاء المحاضرات الثقـــافية والأدبية وفى الوقت ذاته تهتم بمؤلفاتهم وتقوم بنشرها على حسابها ٠

هذا ما أردت أن أعكس به تجربة هذا « الجندى المجهـــول » المسلح بسلاح العلم والمعرفة ، وأسأل الله أن يوفقه وأن يوفقنا جميعا الى ما يحبه ويرضاه ٠

أحمد جمال بين أرجوحة الفكر وصلابة الموقف (★)

الأستاذ أحمد جمال أحد رموز الأدب والفكر الاسلامي في بلادنا ، اشترك في العديد من المؤتمرات ، والندوات الاسلامية على المستويين المحلي والدولي ٠٠ ساهم في تقديم البحوث العلمية التي تهم أمور المسلمين ، واشترك أيضا في وضع المقترحات والتوصيات التي تتعلق بمستقبل الوضع الاسلامي سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا وثقافيا وفكريا ، والخروج به من الأزمات الدولية والهجمات الشرسة المسلطة على رقاب المسلمين ، وكشف عن كثير من المؤامرات التي تحاك ضد الاسلام والمسلمين ٠

ويعتبر أحد البارزين في عضوية المنظمات الاسلامية الدولية ، وأحد أعضاء مجلس الشورى ، والمجلس البلدي وأستاذ الثقافة الاسلامية ، وتفسير القرآن الكريم في جامعة الملك عبد العزيز سابقا ، اذ كنت أحد تلامذته في هذه الجامعة وشرفت بذلك ٠٠ بالاضافة الى انه أحد أساتذة الثقافة الاسلامية في جامعة أم القرى حاليا ، وتبوأ العديد من المراكز العلمية والاسلامية ، ويقوم بالأدوار المهمة في نشاطها بكفاءة وجدارة منقطعة النظير ٠٠ ومن الذين يعتد بآرائهم وافكارهم النيرة لخدمة القضايا الاسلامية والأدبية ٠٠ والى جانب ذلك له الكثير من المؤلفات الاسلامية والأدبية التي راعت المنهج العلمي المدعم بالوثائق والمراجع العلمية ٠

والذي يستقرىء هذه المؤلفات يلاحظ أن الباحث بذل من الجهد العلمي الشيء الكثير ، واختار لدراسته خطا اسلاميا واضحا

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ «٨٣٧» ـ ١٤١٢/٤/١٧ هـ

لا تشوبه الشبهات أو تعصف به رياح التغيير المادى ، مما ساعد الى حد كبير فى الوصول الى النتائج والتوصيات العلمية التى أفادت القارىء الاسلامى والمكتبات الاسلامية ، واثرت حركة الفكر الاسلامى ٠٠ وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ذلك المؤلف الذى يشار به فى البيان العلمى « على مائدة القرآن » والذى يعتبر سفرا علميا واضافة مادة وموضوعا ودراسة وبحثا علميا ، جديدا لمعالم الفكر الاسلامى ٠

ومما زاد اعجابنا وتقديرنا لأستاذنا الجليل أحمد جمال دوره البناء فى اثراء الحركة الفكرية والاسلامية فى بلادنا والتى خاض بها العديد من المعارك الأدبية والاسلامية والذى رفض أن يدخل بها الى المهاترات والتوافه من الأمور ، ووقف صامدا وصلبا فى مواجهتها ٠٠ ولكن بموضوعية بحجج علمية دامغة ـ لا يخر منها السقف ـ وربأ نفسه أن يواجه خصومه بالشتم والسباب والسفه بالمثل ، وكان بعضها يأتى تهما ليثير مشاعر المرأة ضده بدون وجه حق ليصوره يعدو المرأة وأنه ـ أى الأستاذ أحمد جمال ـ يسعى لالغاء دورها فى المجتمع وعزلها عنه وانه ضد فكرة تعليمها وانفتاحها على المجتمع حضاريا ، حتى ان بعضهم وصل به الزعم الى درجة أن الأستاذ أحمد جمال ينظر الى المرأة على انها خادمة المنزل ولا تصلح الى اكثر من ذلك ٠ وهذا فى حد ذاته محض افتراء وافك لا يرد عليه فقط الأستاذ أحمد جمال بل نرد عليه نحن تلاميذه ٠

وغيرنا من رجال الفكر والأدب الاسلامى ، وغيرنا يعرف كما نعرف نحن أن هذا المفكر الاسلامى كتب عن المرأة ودافع عن حقوقها الاسلامية وأشاد فى بطولاتها الاسلامية ، ووقوفها فى أزمات الحروب فى صدر الاسلام الى جانب الرجل لتضمد جراحه وتداوى مرضه ، وهو الكاتب أيضا عن الخنساء وأشاد ببطولاتها ، ولم يترك أى موقف أو شجاعة للمرأة الا وكتب عنها تاريخا وفكرا ولم تكن دراسته التاريخية أو الفكرية مقصورة على الرجل فى تاريخ عصرنا الحديث بل ضمنها عددا من الفصول عن المرأة وابداعاتها التى استطاعت أن تكون لها دوراً فعالا فى مجتمعنا الحضارى ٠

واعجب بعد ذلك كله ان توجه لأستاذنا الجليل هذه التهم التى لا تستند على الحقائق ٠٠ فاذا رجعنا الى مقالات الأستاذ أحمد جمال التى نشرها فى الصحف المحلية وفى دراساته التى ضمنها كتبه نلاحظ انها تدور حول مطالب محدودة تطالب المرأة ان تلتزم بالتعاليم الاسلامية التى تصون كرامتها والتى تحفظ سموها وعفتها ٠٠ كما أراد لها

الاسلام لا كما يريد لها « العلمانيون » الماديون الذين بهرهم بريـــق الحضارة المادية الزائفة ·

ولا أريد هنا فى الحقيقة أن أستطرد عن فلسفة الحياة المادية التى نادى بها دعاتها الماديون « البراجماتيون » أمثال « وليم جيمس » و « جون ديوى » والتى تدعو حركتها أو فلسفتهما ·· أن الفـــائدة العملية أساساً لصح أو خطأ أية فكرة ·· وهذا يعنى أن القيم الأخلاقية وغيرها لا تشكل أى حدث ينكر خارج هذا الاطار « المنفعى » وحتى ولو كان الأمر يستدعى الخروج عن القيم الدينية وغيرها ·

وتأتى دعوة أستاذنا الجليل الى تحرير المرأة من ربقة الدعـوة المادية « المنفعية » التى تريد أن تجرفها الى تيار التفســـخ والتبرج والسفور وما الى ذلك من أمور تخالف الشريعة الاسلامية ·

نحن فى واقع الأمر لسنا ضد حرية المرأة الملتزمـــة بالتربيـة الاسلامية أو ضد تعليمها أو ضد تقدمها العلمى أو تواجدها فى العمل، ولكن ضمن الاطار أو المحدودية التى أشارت اليها الشريعة الاسلامية ، والتى وضعت لها المكانة التى تتبوأ بها ، والتى انصفتها ، وساوت بينها وبين الرجل فى أمور عامة وخاصة ومعروفة عند علماء المسلمين والمثقفين والمفكرين ·

وقصارى القول ·· ان الأستاذ احمد جمال الذى قدم الفكـــر الناضج وساهم فى حركة النهضة الأدبية والفكرية الاسلامية ، وافنى العمر فى سبيل نصرة الاسلام والمسلمين يستحق من المؤسسات العلمية والاسلامية أن ترشحه لجوائزها لأنه جدير بذلك وكفؤ لهذا الترشيح ·

ورحم الله أخاه الأستاذ صالح جمـــال الذى كـــان أحد رواد صحافتنا ، والذى ساهم الى حد كبير فى نهضتها وتقدمها الصحفي ، وله منا الدعوات الصالحة ·

وأخيرا أتمنى للأستاذ أحمد جمال المفكر الاسلامى دوام التوفيق والنجاح فى خدمة القضايا الاسلامية والفكر الاسلامى ·

وأسأل الله تعالى التوفيق للجميع · ،،

ملامح النقد الأدبى فى شعر النقائض (*)

النقائض لغة ، جمع نقيض ، وهى من النقض ، أى الهـــدم ، فالنقائض فى الأدب هى شعر يقوله الشاعر وينقض به ما جاء به شاعر آخر ، هاجيا أو مفتخرا ، رادا عليه بهذا الشعر ملتزما البحر والقافية والروى الذى اختاره الشاعر الأول الذى يريد الرد عليه ونقض شعره ·· فهناك وحدة موضوع ووحدة بحر ووحدة روى ·

وقـد ظهرت النقائض فى الجـاهلية حيث ان طبيعة الحياة القبلية كانت تتبع التشبع للقبيلة والفخر والحماسة وهجاء الأعـداء · فكـان الشعر حربا أدبية تتجاوب أصداؤها فى أرجاء الجزيرة فكان لابـــد من مقابلة ما يقال تحديا ، ونقضه بشعر يماثله · فالهجـــاء لابس النقائض قديما كما لابسه الفخر ، ولكنها فى العصر الجاهلى لم تكن تامة كما يستفاد من ديوانى امرىء القيس ، وعبيد بن الأبرص الأسدى، ومن أمثلة نقائضهما الكاملة :

قال الأول :

ألا يالهف هنـــد اثـر قـــوم
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقـاهم جـدهم ببنى أبيهـــم
وبالاشقين ما كـان العقـــاب

ورد عليه الثانى :

أتوعد أسرتى وتركت حجـــرا
يريغ ســواد عينيه الغـــراب

وحروب الجاهلية مليئة بالنقائض التى تفيض هجاء وفخرا ولا سيما حروب الأوس والخزرج ٠

فيقول حسان بن ثابت :

ويثرب تعلم أنا بها
اذا التبس الأمر ميزانها

فيناقضه قيس بن الحطيم قائلا :

ونحن الفوارس يوم الربيع
وقد علموا كيف خرسانها

فالنقائض أيام الجاهلية اذن كانت فنا يحبو ، يتسم بالبداءة والسذاجة ، غذتها حروب الجاهلية أو أيامها كما كانت تسمى ولكنها لم تصل الى الدرجة التى وصلت اليها أيام الأمويين ٠

والنقائض أيام الجاهلية عموما كانت ضيقة الأفق متأثرة لغايتها القبلية المحدودة فقط ٠ وكان الهجاء من خلالها يقف عند حدود ما يشين صفات العربى الأصيل من كرم وشجاعة ٠

ولما جاء الاسلام ، تطورت النقائض اذ غابت الصورة القبلية القديمة وصار الشعراء يتسابقون الى هجاء أعداء الاسلام والفخر بالدعوة الاسلامية ، وكان من أبرز الشعراء المسلمين فى هذا المجال ، حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ٠ فكانا يرويان على الشعراء من أعداء الاسلام وخاصة اليهود منهم ٠

قال ضرار بن الخطاب بن مروان فى سعد بن عبادة :

تداركت سعدا عنوة فأخذته
وكان شفاه لو تداركت منذرا

فرد عليه حسان قائلا :

است الى سعد ولا المرء منذرا
اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

وقال عبد الله بن الزبعرى يبكى قتلى بدر :

ماذا على بدر وماذا حوله
من فتية بيض الوجوه كرام

فرد عليه حسان قائلا :

أبك بكت عيناك لم تبادرت
بدم مقل غروبها سجام

وقد أدركت الغزوات الاسلامية هذه النقائض وقوتها ، وكان الهجاء عفيفا · فلم يتسلل الى النقائض فى أول العصر الاسلامى اسفاف ولا مجون ولا تبجح ، ثم جاء العصر الأموى فتشعبت الاتجاهات السياسية وتشيع كل شاعر لفريق يدافع عنه ويذود عن حماه ·

فالمناقضة تأثرت بالسياسة · فهذا الاخطل ، شاعر عبد الملك ابن مروان وجرير يقف فى جانب قيس عيلان الزبيرية ، والفرزدق يخاصمهم قيس عيلان فى سبيل تميم ويعين الأخطل عليها ، وكلاهما يناقض جريرا الذى يفخر بقيس عيلان ·

والحياة الاجتماعية نفسها فى العصر الأموى أثرت على هذه النقائض تأثيرا كبيرا اذ كانت الدولة الأموية فى صفتها العامة دولة حديثة عهد البداوة ، ولم تنس جاهها الجاهلى القديم ومكانة الأمويين فى قريش · فالنظام القبلى واضح فى تقسم الكوفة والبصرة واقامة « المربد » شبيها لعكاظ حيث كان شعراء القبائل يجتمعون ويتفاخرون ويتهاجون ·

فالعصبيات القبلية كانت من أقوى أسباب النقائض فى العصر الأموى بالرغم من أن الاسلام نهى عنها ·

وفنون النقائض فى العصر الأموى استغلت فنون الشعر العربى اذ ذاك من نسيب وحماسة وفخر وهجاء وذكاء ووصف وغيرها · الا ان الفخر والهجاء كانا عنصرين أساسيين · وقد بلغ الهجاء على أيدى جرير والفرزدق والأخطل حد السباب والفحش الى درجة لم يعهدها الشعر العربى من قبل ·

قال غسان :

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها
جرير لقد أخزى كليبا جريرها

فأجابه جرير :

الا بكرت سلمى فجد بكورها
وشق العصا بعد اجتماع أسيرها

وأجابه أبو الورقاء :

ان الذى يسعى يحر بلادنا
كمبتحث نار يكف مثيرها

وكانت الجزالة هى الطابع الغالب على النقائض الأموية ، وقد بلغت فحولة الشعراء ذروتها فى عصر الأمويين ، وامتاز الغزل فى النقائض بالرقة ، والشعر السياسى بالوضوح والقوة ، فالمناقضة كانت صنعة فنية ٠

الفرق بين شعر جرير والفرزدق والأخطل

ولعل من بين العوامل التى أثرت فى نقائض جرير ، فقر قومه بالنسبة الى قوم الفرزدق ٠ فعمد الى أخذ معانيه ، من مثالب خصومه لا من مآثر قومه ٠ فكان هجاء مفحشا ، وكان شعره أقل فخامة من شعر الفرزدق ، وأكثر رقة ٠

وأما من حيث الصياغة فكان جرير أكثر محافظة على نسق القصيد الجاهلى من صاحبيه الفرزدق والاخطل ، وكان فى نسيبه وغزله رقيقا عفيفا في الوقت الذى كان فيه فاحش الهجاء ٠ وكان جرير أشعر عند العامة من صاحبه الفرزدق وقد اختاروا له هذا البيت على أنه أفضل الأبيات مدحا :

الستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح

أما الفرزدق فقد نشأ فى أسرة غنية ذات حسب وجاه ، فاتخذ من ذلك مادة لفخره وعرف به ، فكان المدافع عن قومه :

أرونى من يقوم لكم مقامى
اذا ما الأمر جل عن العتاب

يضاف الى ذلك جفاء طبعه وعنجهيته ، وفظاظة ألفاظه التى تتجاوز قوانين النحو المشهورة ، وقد تتلمذ عليه المتنبى فى ذلك ولم يكن ملتزما بالنسيب فى أول القصيدة كما كان متبعا فى الشعر الجاهلى ٠ وعلى العموم كان جامد العاطفة وبلغ به كبره أن هدد الخليفة معاوية فأغلظ فى هجائه :

أبوك عمى يا معاوية أورثا
تراثا فيجتاز التراث أقاربه

أما الاخطل فكان يهذب القصيدة ويحسن تقسيمه ويدقق فى تصويراته وعباراته حتى يبدو محكما متلاحم العناصر جزلا ٠ لذلك لم يكن شعره فى سهولة شعر جرير ولا ضخامة شعر الفرزدق ٠

أما من ناحية أثر النقائض الأموية فى الشعر العربى ، فمما لا شك فيها انها اثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فهى امتداد ناضج للشعر الجاهلى وابتدعت نوعا من الشعر ، هو الشعر السياسى · وكان الشعراء يلتقون فى « المربد » يتبارون فى قصائدهم ، مما أثر على الحياة الأدبية واثرها ، وصار الرواة يتناقلونه فاتصل الشعر بالحياة العامة وأصبح تاريخا لما حدث فى ذلك العهد ·

وقد ادت شروح هذه النقائض الى تكوين مصدر خصب لدراسات لغوية وأدبية واجتماعية وسياسية ، جمعة ، ندرس من خلالها أحداث ذلك الزمان ونستعيد وقائعه فنكون صورة حية عن جانب من جوانبه الثقافية الغنية ·

دور سوق عكاظ منذ خمسة عشر قرنا (★)

كان العرب فى العصر الجاهلى يقيمون أسواقا عامة للتجـــارة تستمر طول العام ينتقلون من بعضها الى بعض ، ومن أشهر هـــذه الأسواق هى : سوق عكاظ ، وسوق مجنة ، وسوق ذى المجـــاز ٠٠ ويهمنا من هذه الثلاث « سوق عكاظ » ٠

فعكاظ : هى قرية بين نخلة والطائف (١) ، كانت تقام بها سوق تجارية عامة ـ وهى أعظم أسواقهم ـ وكانت تعقد فى أول ذى القعدة الى العشرين منه ، وقد اتخذت سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة وظلت قائمة فى الاسلام حتى نهبها الخوارج عام ١٢٩ هـ (٢) ٠

وكانت سوق عكاظ تلفت نظر كل مسلم وكل عربى اذ كان العـــرب يتوافدون على هذه السوق فى موسمها المعين حاملين معهم بضـــائع مختلفة من العطور والأقمشة والتحف وغيرهـــا لأغراض التجـــارة أو لفداء الأسرى ، وتبادل الرأى ٠ وكانوا يتعمدون الالتقاء والتعارف بمن يسمعون بهم ولم يجتمعوا بهم ٠ وللأسواق عمل لغوى بارز ، اذ كانت سببا فى التقريب بين لغات العرب ولهجاتهم ٠ وقد كانت سوق عكاظ محطا لشتى القبائل العربية على اختلافها ويأتيها التجـــار من مصر والشام والعراق ، فكان هذا الاجتماع الكبير وسيلة من وسائل التفـــاهم اللغوى ، والتقارب بين اللغـــات واللهجات العربية ٠

وكان الملوك والأمراء يبعثون برسلهم كسفراء لايجاد صلات بين بلادهم والبلاد الأخرى التى تنتظمها الجزيرة العربية ، وكانوا أيضـــا يعرضون الشعر لنقده ولصقل اللغة وتبادل المعانى والأفكار الجديدة ٠

(١ ، ٢) راجع كتاب « الحياة الادبية فى العصر الجـــاهلى » لمحمد عبد المنعم خفاجى ٠

فكانت هذه السوق اشبه بمؤتمر عام يحضره مخبرون يرجعون فيما بعد الى بلادهم بمكاسب اجتماعية واعلامية وادبية وفكرية هذا بالاضافة الى المكاسب التجارية ·

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس يشرف على الموسم ويقضى بين المتخاصمين ومن بين أولئك الرؤساء عامر بن الظرب العدوانى · كما كان محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لها ،وكان أبوه يقضى فيها فى الجاهلية · وكانت سوق عكاظ سببا فى أربع حروب نشبت بين العرب وسميت حروب الفجار · وقد قصدها الرسول الأعظم يبث فيها دعوته وبقيت حتى خربت عام ١٢٩ هـ ·

وعكاظ سميت عكاظا لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار·وكان أشراف العرب اذا اجتمعوا فى عكاظ، يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم ، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ، ثم يتفرقون · وذكر أن النابغة الذبيانى ، كان أحد رواد السوق ، فتضرب له قبة حمراء من أدم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها · وكان ممن تحاكم اليه ، الأعشى أبو بصير ، فأنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته ، فقال لها النابغة : والله لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفا لقلت انك أشعر الجن والانس · فقال حسان : والله لانا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك · فقبض النابغة على يده ، ثم قال : يا ابن أخى انك لا تحسن أن تقول مثل قولى :

فانك كالليل الذى هو مدركى

وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ولم نسمع أن أحداً من الشعراء حكم فى الشعر فى سوق عكاظ قبل النابغة ولا بعده ·

وقد كان لكل مطلب من المطالب التى تعالجها السوق مجتمع صغير داخل نطاق المجتمع الكبير ، وكانت هذه المجتمعات الصغيرة تمثل ما يسمى الآن باللجان المنبثقة عن المؤتمرات ·

وكان للمرأة دورها البارز فى هذه السوق ، حيث كانت النساء يتزعمن كثيرا من هذه اللجان ويقدمن آراءهن الخاصة فى السياسة وفى الأدب وفى العلاقات الاجتماعية فيؤخذ بها وتحظى بالاحترام والتقدير كما يؤخذ بآراء الرجال · ومن هؤلاء النساء من تفوقن على الرجال فى كل هذه الميادين · وقصة الشاعرين حسان بن ثابت والخنساء

أمام النابغة النبيانى الذى كان يتزعم لجنة الشعر ، معروفـــة حيث انتقدت الخنساء قصيدة حسان بن ثابت التى يقول فيها : « لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى » نقدا موضوعيا اعترف لها به النابغة الذبيانى الذى كان يحكم لجنة الشعر ٠

وناحية اخرى يسجل لها فضلها فى هذه الســـوق هى الناحيــة الانسانية التى يبذل فيها الفرد من العون ما يستطيع بذله لأخيه الانسان أو للأسرة ابتغــاء لنشر الفضيلة والخلق الرفيع وخدمة لحــاجة تقضى على يديه قــد يعجــز أصحابها عن قضائها ، ونضرب مثــلا على هذه الناحية الانسانية بقصة (المحلق) وبناته مع الشاعر الأعشى ٠

وكان « المحلق » رجلا يعول سبع بنات بلغن سن الزواج ولم يتقدم اليهن أحد لفقره فتداول الرأى هو وزوجته أم البنات فأشارت عليه ـ وهذا مما يسجل للمرأة فى أصالة وحسن المشورة وصواب تدبير ـ بأن يستقبل الشاعر « الأعشى » ويدعوه الى بيته للعشاء اذا حضر الى السوق ثم يعرض عليه مشكلة بناته ليذكرهــا الشــاعر فى قصـــائده السيارة حتى تنتشر ويتسامع الناس فيقبلوا على خطبة البنات ٠

وبالفعل فعل « المحلق » ما أشارت عليه به زوجته ، ودعا الشاعر الأعشى فى يوم حضوره الى السوق وشرح له الموضوع فاستجاب الشاعر ووعده بخير ٠ وفى أحد أيام السوق وقف الشاعر خطيبا أمام الجماهير والقى قصيدته الرائعة التى يثنى فيها على « المحلق » ويذكر حالة بناته غير المتزوجات ويدعو الى مصاهرته ٠ فما انقضت أيام السوق حتى توافد الخطاب على « المحلق » وطلبوا الزواج من بناته فانحلت مشكلة الرجل بهذا الحدث ٠

وهناك قصص أخرى مما انطوت عليهــا حوادث سوق عكاظ شبيهة بهذه القصة الانسانية السالفة الذكر ، حققت الشىء الكثير من التعارف الذى أدى بدوره الى فك أسرى أو اعانة محتاجين أو تعديل وثيقـــة سياسية بين دولتين على الوجه المناسب والأصلح أو تقويم أخـــلاق فاسدة أو معوجة وكانت تمارس فى الجاهلية ، فاختفت بفضل هــذه السوق وما حدث فيها من وسائل الاعلام من اشاعة الأخبار التى تتعلق بقضايا اجتماعية وغير ذلك يدخل فى معنى التلاحم الانسانى والتعاون وتقارب الأفكار من الأمور التى تعالجها وســائل الاعـــلام فى العصر الحاضر ٠

واذا كان العرب الذين يفدون فى الجاهلية الى عكاظ لحج البيت لا يدينون لصنم واحد ، بل تدين هذه القبيلة للات ، وتلك للعزى ، وثالثة

مناة ، وأخرى لصنم آخر ، فقد كان خلافهم يجر فى كثير من الأحايين الى التنابز بالألقاب والتفاخر بالأصنام · فاذا هدأت الخصومة وآن للحكماء أن يحسموها حاول بعضهم أن يقنع المتخاصمين بأنهم جميعا على حق فى عبادة أصنامهم وانها تنفعهم ليتخذوها الى الله زلفى ، وحاول آخرون أن يهدئوا من أمر هذا الخلاف على الأصنام ولو أدى ذلك الى التهوين من أمر الاصنام دون طعن بها ، ودون اثارة لحفائظ النفوس بهذا الطعن · وهذا هو ما دعا « قس بن ساعدة الأيادى » راهب نجران النصرانى الى القاء خطبته المشهورة فى سوق عكاظ والتى قال فيها : « أيها الناس اسمعوا وعوا ! من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت · ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون لا يرجعون ! أرضوا بالمقام فأقاموا ، أو تركوا فناموا ، واله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه » · فليس يحمل قسا على أن يلقى هذا الخطاب فى سوق يتجز فيها الناس الا خلاف شجر بينهم وبلغ التفاخر بأصنامهم ·· فلما هدءوا وآن لذوى الرأى أن يحسموه بالحكمة تحدث قس هذا الحديث متأثرا فيه لا ريب بعقيدته ، ولكن من غير حرص على الدعوة اليها دعوة قل ان تؤتى فى مثل هذا الجمع ثمرتها ·

كان أهل يشهدون عكاظا وكان أبناؤهم يخرجون معهم اليها كما يخرجون معهم الى عرفات ومنى ، وكان محمد يشهدها مع أهله ويشهد ما يجرى فيها ، وكان يشهدها بعد ذلك فى سنين كثيرة : شهدها العام الذى خطب فيه قس هذه الخطبة ، وسمعه يلقيها وأعجب به غاية الاعجاب · فلما بعثه الله نبيا وأكمل للمسلمين دينهم وآن لوفود العرب أن تجيء الى النبى تعلن اليه اسلامها ، قدم عليه وفد اياد يوما ، فقال لهم : « ما فعل قس بن ساعدة ؟ » ·

قالوا : « مات يا رسول الله » · قال : « كأنى أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدنى أحفظه » · قال رجل من القوم : « أنا أحفظه يا رسول الله » وتلا عليه الخطبة · فقال رسول الله : « يرحم الله قسا انى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحدة » ·

ومن قبل ذلك حضر محمد عكاظا وشهد فيها حرب الفجار · وذلك حين عرض البراض بن قيس الكنانى نفسه على النعمان بن المنذر ليقود

قافلة النعمان بن المنذر من الحيرة الى الشام فى حماية قبيلته كنانة فآثر النعمان عليه عروة الرجال الهوازنى ليتخطى الى الحجاز عن طريق نجد ، فأحفظ ذلك البراض فتبع عروة واغتاله وأخذ قافلته ، ثم لقى بشرا بن أبى خازم وقال له : « هذه القلاص لك على أن تأتى حربا ابن أمية وعبد الله بن جدعان وهشاما والوليد بن المغيرة فتخبرهم أن البراض قتل عروة ، فانى أخاف أن يسبق الخبر الى قيس فيكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما » · وأجابه بشر : « وما يؤمنك أن تكون انت ذلك القتيل ؟ » · قال البراض : « ان هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلا خليعا طريداً من بنى « شمرة » · وكانت العرب اذا قدمت عكاظا دفعت أسلحتها الى ابن جدعان : « احتبس قبلك سلاح هوازن » وأجاب عبد الله : « أبالغدر عليهم اذا ظعنوا » فلما ابلغ بشر رسالته قال حرب بن أمية لابن جدعان : « احتبس قبلك سلاح هوازن » وأجاب عبد الله : « أبالغدر تأمرنى يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف الا ضربت به ، ولا رمح الا طعنت به ، وما أبقيت منها شيئا · ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف فى مالى تستعينون بها » · ثم نادى فى الناس : « من كان له قبلى سلاح ، فليأت وليأخذه » · وأخذ الناس أسلحتهم وسار حرب وهشام وأمية وابن جدعان راجعين الى مكة اتقاء القتال مع هوازن · فلما بلغ أبا براء قتل البراض عروة ، قال : خدعنى حرب وابن جدعان ، وركب فيمن حضر عكاظا من هوازن فى أثر القوم فأدركوهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجن عليهم الليل فكفوا ، ونادى منادى هوازن : يا معشر قريش ! ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ·

وقدم البراض بالقالة الى مكة · فلما استدار العام ذهبت قريش وأشياعها هوازن وأشياعها الى عكاظ فالتقوا بشمطة · وكان محمد مع قريش ، وقد استحل القتل فيهم · فلما رأى ذلك بنوا الحارث بن كنانة قاموا الى قريش وتركوا مكانهم فانتصرت قريش · واستدار العام مرة أخرى فكان اليوم الثالث من أيام الفجار بعكاظ وفيه التقى القوم على قرن الحول بالعبلاء واقتتلوا أما اليوم الرابع فكان بعكاظ ، وفيه اقتتل القوم قتالا شديدا انهزمت قيس كلها على أثره · وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، الفجار بعد رسالته فقال : « لقد حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت » ·

ولقد قيل فى حروب الفجار هذه الشعر الكثير على أثر كل يوم من أيامها ، وكان يذاع فى الناس وينشد فى عكاظ ، ولا يبتغى قائلوه

الاحتكام به الى نقاد الشعر بل يقولونه تفاخراً ودعاية لروح المعنويـة فى قومهم • ولا تزال كتب الأدب القديمة وكتب السيرة تحفظ لنا من هذا الشعر الشىء الكثير •

ولم ينقطع النبى عليه الصلاة والسلام ، عن الذهاب الى عكاظ بعد بعثه • ولعله لم يكن يذهب اليها فى كل عام • لكن الثابت فى كتب السيرة جميعا انه ذهب اليها بعد أن ضاقت قريش به فحصرتـه وأصحابه فى الشعب من جبال مكة • فلما نقضت صحيفـة المقاطعـة والحصار وعاد المسلمون يتصلون بالناس ، فجع محمد بعـد أشهر من ذلك فى عمه أبى طالب وفى زوجه خديجة ، فازدادت قريش له ايذاء ، حتى كان من أيسر ذلك أن اعترضه سفيه منها فرمى على رأسه ترابا • وهناك خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف • فلما ردتـه بشر ازدادت قريش له أذى • ولم يصرفه ذلك عن الدعوة الى دين الله ، بل جعل يعرض نفسه فى المواسم ، وعكاظ أهمها ، على قبائل العـــرب يدعوهم الى الحق وينبئهم انه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه • وكان عمه أبو لهب – عبد العزى بن عبد المطلب – يتبعه أينما ذهب ويحرض الناس ألا يسمعوا له • فهو لم يكن يقف فى هذه السوق خطيبا يدعـو الجموع ببلاغته ليتبعوه ، بل كان يتصل بهذه القبيلة وتلك ، يحـدثهم ويحاول اقناعهم بالحجة والمنطق ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، رجـاء أن يهديهم الى الحق وأن يجنبهم الضلال •

موضع كان للرسول الكريم به هذه المواقف : حضر فيه حـــرب الفجار صبيا واشترك فيها ، وسمع فيه الى قس بن ساعدة قبيل بعثة ، وعرض نفسه فيه على قبائل العرب يدعوهم الى الحق ، جدير بأن يكون مأثوراً وأن يظل سوقا للحج على مر العصور • لكن ما قام بمكـــة وما حولها بعد وفاة النبى وصاحبيه أبى بكر وعمر من الثورات التى انتهت بأن أصـبحت الخـــلافة ملكا عضوداً ، وأن انتقلت العـاصمة الاسلامية من المدينة الى دمشق فبغداد فالقاهرة ، حتى قد اندثر كثير من هذه الآثار وهذه العادات التى اقرها الاسلام بعد الجاهلية •

والواقع أن هذه الأسواق ولا سيما سوق « عكاظ » كانت اكبر من مؤتمر واكبر من معرض دولى مشترك واكبر من سفارات متنقلة واكبر من مجتمع يحتوى كل وسائل الاعلام التى تربط بين القبائل والبلدان وتعرف بعضها الى بعض ، وتذيع أخبار بعضها عند بعض وتسجل كل هذا فى محفوظاتها وفى أوراق مكتوبة ترجع اليها فيما بعد •

وفى الحقيقة فان هذه الظاهرة الاعلامية والاجتماعية التى أبدعها العرب بانشاء هذه السوق كانت ظاهرة فريدة سبقوا بها دول العصر الحديث فى موضوع الاعلام المشترك · وان دراسة هذه السوق وما كان يقع فيها وما كان ينشأ عنها من الوشائج والعلاقات لا ريب انها فى نظرى دراسة ستعطينا ثروة اجتماعية وفكرية واعلامية كبيرة نحتــاج الى تطبيقها فى هذا العصر الحديث ·

ونستطيع أن نقول باختصار بأن سوق عكاظ كانت أقوى وأجمل وسيلة اعلامية اتخذها العرب فى جاهليتهم وامتد أثرها العظيم الى مدة طويلة فى أوائل العصر الاسلامى بحيث ضاهى تأثيرها تأثير المؤتمرات الاعلامية الحديثة المدروسة التى يمكننا أن نفخر بأن تفكير العرب فى ذلك العصر كان فعالا وعمليا ومنتجا · وما أحوجنا الى أن نتتبع تلــك الخطوات الاعلامية التى جعلت من الأمة العربيـــة أمة قائدة ورائدة متفوقة فى أعظم مجالات الحياة الاجتماعية ! ·

من وراء حرق مكتبة الاسكندرية ومن المتهم فيها (★)

ادعى جمهور من المؤرخين أن المسلمين لهم اليد الطولى فى حرق مكتبة الاسكندرية ، ومما يؤسف له أن أول من روى هذه القصة هو مؤرخ مسلم معاصر لصلاح الدين الأيوبى اسمه عبد اللطيف البغدادى وطاف بادعائه هذا عدداً من الأقطار الاسلامية وأخذ يروى بشكل عرضى قصة احراق المسلمين مكتبة الاسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب ثم أتى من بعده من يؤكد هذا الادعاء المفترى ليلصق بالمسلمين تهمة احراق تلك المكتبة التى كانت تزخر بفنون المعرفة والعلوم على اختلاف تخصصاتها ، ومن بين هؤلاء المؤرخين أمثال القفطى فى كتابه (تاريخ الحكماء) وأبى الفرج بن العبرى فى كتابه مختصر تأريخ الدول وأبى الفداء فى كتابه (المختصر فى تاريخ البشر) وكلهـا مـع الاسف تصدق بل تؤكد أن المسلمين هم الذين أحرقوا المكتبة وتقـول الرواية باختصار كما يذكرها القفطى (جمال الدين ، تاريخ الحكماء ص ٣٣٥ ـ انه عندما تم فتح المسلمين للاسكندرية سنة ٦٤٢ م أتى يوحنا النحوى أحد العلماء ، والمناطقة للاسكندرانيين الى عمرو بن العاص وكان أثيرا لديه خط ليس منه الاخراج عن بعض حواصل الاسكندرية التى أمر عمرو بالختم عليها فسأله عمرو ما الذى تحتاجه منها فقـال كتب الحكمة فى الخزائن الملوكة فنحن محتاجون اليها فسأله عمرو عن صفة هذه الكتب وعن محتوياتها فأخبره أمرها وان الذى جمعها بطليموس فيلادلفوس على مدى السنين وبلغ جمعهـا (١٢ ٤٥٠) كتابـا وهـذه الكتب لم تزل محفوظة حتى زمان عمرو بن العاص فقال عمر لا أستطيع أن اقطع برأى ما لم استأذن أمير المؤمنين وقد أرسل له كتابا بهذا الشأن فأتاه الجواب يقول « واما الكتب التى ذكرتها فان كان فيها ما يوافق

(★) جريدة البلاد ـ العدد ١٠٥٣٥ ـ الثلاثاء ٢٠ ذو القعدة ١٤١٣ هـ .

كتاب الله ففى كتاب الله عنها غنى وان كان فيها ما يخـــالف كتاب الله فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن العــاص بذلك فأمــر بتفرقتها على حمامات الاسكندرية واحراقها فى مواقدها وكان عـــدد الاسكندرية آنذاك أربعة آلاف حمام · ويختم ابن القفطى روايته للحادثة بقوله ان احراقها استنفد مدة ستة أشهر ومن الملاحظ أن أبا الفداء نقل رواية ابن العبرى على حينها فى حين أن العبرى لم يذكر المصادر التى استقى منها معلوماته بينما نجد أن المقريزى يذكر بأشارة عـابرة الى مكتبة الاسكندرية واحراقها في خططــه وذلـك أثناء كــلامه عــن عمود السوارى ويذكر أن هذا العمود ضمن جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطوطاليس الذى كان يدرس به الحكمة ، وانه كان دار علم به خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص باشارة عمر بن الخطاب (المقريزى ، تقى الدين ، الخطط المقريزية) وأخذ المؤرخون الغربيون هذه التهمة وبدءوا يدرسونها ويدعمونها ويؤيدونها ويحشدون لها الشواهد والأدلة كــل ذلك كى يثبتوا عداء الاسلام والمسلمين للــكتب والمكتبـات والعـــلوم وخاصة للمدنية والحضارة بشكل عــام ·

ولقد اطلع الغرب على هذه القصة أو هذه الرواية الملفقة المكذوبة فى سنة ١٦١٣ م عندما نقل الى اللاتينيين « بوكسكوك » كتاب (مختصر تاريخ الدول) لابن العبرى مع الأصل العربى ، وقد درس منذ ذلـــك الحين هذه القصة كثير من الباحثين وأغلبهم كما ذكرت آنفا يميلون لتصديقها ، والايمان بها لا لشىء الا لأنها تتماشى مــع روح الاســلام العدائية للحضارة بزعمهم من جهة ولأن راويها مسلم ، ولكن لا يعنى هذا انعدام وجود الباحثين من علمـــاء الغرب الذين ينظــرون الى التاريخ الاسلامى بكل تجرد ، وبكل موضوعية ، فلقد انبرى عدد منهم لدراسة هذه القضية واعنى بها تهمة المسلمين باحراق المكتبة دراســة موضوعية بالرغم انها مروية عن مؤرخ مسلم فلقد أسفرت دراساتهم عن حقائق تاريخيـــة تدحض تلك المزاعم لتصــدها عن ســبيلها فهاكم المؤرخ الشهير ادوارد جيبون الذى ينفى كليا هذه التهمة واخذ يعلن افتراءها ولعل أشهر من درسها بتجرد « ألفروج بيكر » فى كتابه فتح العرب لمصر واستند بيكر فى رعته للقصص كما يستند بيكر فى كتابــه فتح العرب لمصر تعريب محمد فريد ص ٢٩٤ الى العناصر التالية :

أولا — ان يحيى النحوى والذى اسمه اليونانى (حنا فيليونوس) توفى قبل فتح العرب لمصر لأكثر من عقدين من السنين ·

ثانيا ــ ان مكتبة الاسكندريه بفرعيها كانت قد احترقت قبل قدوم المسلمين الى مصر بقرون طويلة ·

ثالثا ــ ان أغلب الكتب كانت مكتوبة على رقوق والرقوق كما هو معروف لا يصلح للوقود ·

وبعد أن يحلل المؤلف القصة ويدرسها من جميع جوانبها ، ومن جميع وجهات النظر يختتم دراسته بقوله (ولعلنا لا تكون مخطئين اذا نحن أجملنا فيها أدلة حجتنا فان قصدنا أن نبين حقيقة مكتبة الاسكندرية ومقدار نصيب قصة احراق العرب لها من صحة ، والكذب وقد بينا فيما سلف الأمور التالية :

١ ــ ان قصة احراق العرب لها لم تظهر الا بعد نيف ٥٠٠ عـــام من وقت الحادثة التى تذكرها ·

٢ ــ أننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء بها فألفيناه سخـــافات مستبعدة ينكرها العقل ·

٣ ــ أن الرجل الذى ذكر القصـــة كن أكسير عامـــلا فيها مـــات قبل غزو العرب مصر بزمن طويل ·

٤ ــ ان القصة قد تشير الى واحدة من مكتبتين : الأولى مكتبة المتحف وهذه ضاعت فى الحريق الكبير الذى أحـــدثه قيصر وان لم تتلف لمدد ذلك كان فى عهد فيما بعد وقت لا يقل ٥٤٠٠ م قبل فتح العرب·

وأما الثانية وهى مكتبة السيرابيوم فاما أن تكون نقلت من المعبـــد قبل عام ٣٩١ ، واما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت فتكون على أية حال قد اختفت قبل الفتح بقرنين ونصف القرن ·

٥ ــ أن كتاب القرنين الخامس والســـــادس لا يذكرون شـــيئا عن وجودها وكذلك كتاب أوائل القرن السابع ·

٦ ــ ان هذه المكتبة لو كانت باقية عندما عقد فيرس (المقوقس) صلحه مع العرب على تسليم الاسكندرية لكان من المؤكد ان تنقـــــل كتبها ، وقد أبيح ذلك فى شروط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع ، والأموال فى مدة الهدنة التى بين عقـــد الصلح ودخول العـــرب فى المدينـــة وقـــدر ذلك (١١) شـــــهرا ·

٧ ــ ولو صح أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان العرب قد أتلفوها مقبعة لما غفل ذكر ذلك كتاب من كتب أهل العلم كان قريب العهد من

الفتح مثل حنا (النيقوسى) ولما مر على ذلك بغير أن يكتب عنه (المرجع السابق ص ٣١١) ٠

وفى اضـــافة لما ذكره هذا المؤرخ الغربى الشهير ان احراق الكتب واتلاف مخلفات الحضارة ليس من تطلعات الاسلام ولا المسلمين ونحن الذين بنينا حضارة الأمم وتقدمها ورقيهـا ونحن الذين هدمنا الأصـنام وآمنا بوحدانية الله وبكتبه وبرسوله وساهمنا فى صـنع الحضـــارة الانسانية علوما ومعرفة وفنونا وابداعا ونحن الذين استفاد منــــا الغرب فى علومه وفى تقدمه وفى حضارته عندما درس هـذه العـلوم واستفاد منها فى بناء حضارته العلمية والتكنولوجية ولكن ، ماذا نصنع ونحن الذين فرطنا فى كنوز اسلافنا من المعرفة والحضارة المتقدمة التى عاشت قرونا طويلة ولكن لا زال الفكر الاسلامى بصحة وعافية ما دام هذا القرآن له حافظا ومنيرا وشمعة وضاءة مهما حاول المغرضـــون والموتورون والحاقدون على الاسلام الذين يريدون أن يطفئوا نور الله وهو الحافظ له (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)٠ وختاما نقف على ما أراد أن يذكرنا به المؤرخ محمد ماهر حمادة (المكتبات فى الاسلام ص ٢٠) أن قسما كبيرا من مؤرخى الغرب الذين صدقوا هذه القصة وحاولوا اثباتها انما فعلوا ذلك لتغطية قضية احراق الصليبيين لمكتبة طرابلس الشام الزاهرة الذى تم سنــة ١٠٠٩ ابان الحملة الصليبية الأولى وذلك اضافة الى دوافع كثيرة لا مجــال لذكرها هنا حتى لا نثير قضايا طائفية نحن فى غنى عنها والله ولى التـــوفيق ٠ ،،

بين نظرية الأدب والتفسير الاعلامى لها (★)

العلاقات الدولية فى وجود اتفاقيات مبرمة ذات مصالح مشتركة بين المجتمع الذى نعيش فيه ، وبين المجتمعات الدولية الأخرى التى فرضها وجودنا الدولى ، وثقلنا السياسى ·

★★★

والطفل الذى يعتبر اللبنة الأولى لهذا المجتمع الذى تبنى عليه أمال الأمة ، ومن أجله توضع الخطط والأهداف الاجتماعية التى تسير نحو الاتجاه البعدى فى تحقيق مصالح الأمة ، وأهدافها ، وتطورها الايجابى الذى يبنى على القدرة الواسعة فى تحقيق هذه الأهداف ، وبعبارة أوضح وأدق فان بناء الانسان الذى ينطلق من هذه الأساسيات لا بد أن يأخذ فى الاعتبار ، وفى الاهتمام الواسع معنى أننا نحاول أن نشيد قواعده على أسس متينة ومرتكزات قوية وانماء وطنى يقوم على الناحية الترويبة السليمة ، والثقافة التى تسعى الى ترسيخ مفهوم الوطن ، وقيمته الحقيقية والاخلاص له ·

وهذا ما سعى اليه اليابانيون الذين بنوا حضارتهم على ترسيخ هذه المفاهيم ، وغرسها فى كل أفراد المجتمع ، وأصبح لليابان قدرة ذاتية حققت وجوده الحضارى وتقدمه العلمى والتقنى على المستوى الدولى ·

واليابانى اليوم يرفض التهاون والتكاسل والاتكالية فى بناء وطنه ،

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ٨٢٥ ـ ٣/٤/١٤١٢ هـ ·

والعلو به الى أعلى مراتب المجد والتقدم العلمي والوجود العالمي

ولا أريد هنا أن استطرد في هذا النموذج المشرف للمواطن ، والمواطنة ، ولكنني أردت به قياسا ، ومعيارا للتقدم العلمي والحضاري بروح المواطنة المخلصة ، والتي لا تؤثر عليها المتغيرات المادية ، وغير المادية التي تمس أمنها الوطني الاقتصادي الثقافي ، العلمي ، السياسي .

وأعود مرة أخرى الى لب الطرح ، وهو فيما يتعلق بـ « أدب الطفل الى أين » فالآراء التي أجمع عليها المفكرون لا تخرج عن دائرة محورية في أن ثمة أزمة فكرية تغيب وجدان الطفل العربي الذي أصبح يعاني غربة في مجتمعه وهذا بالتالي ، فرض عليه مجموعة من التساؤلات التي لا يجد لها الاجابة الموضوعية التي تخرجه من هذا التشويش الفكري الذي أخذ يسيطر عليه في ظل وجود الازدواجية الفكرية التي تمثل طرفي المعادلة الصعبة التي يصعب حلها .. ففي الوقت الذي نجد أن الذين يكتبون للطفل بعيدون كل البعد عن المسائل الحضارية التي يعاني منها الطفل ماديا ، ومعنويا ، وثقافيا والتي أصبحت جزءاً أكبر من مشاكله اليومية .

فـ « الاطروحات الأدبية » التي يكتبها هؤلاء ، والذين يدعون أنهم أدباء مفكرون ، من روايات وقصص للأطفال ودراما ، وشعر ، وألغاز ، وفوازير ومسابقات ثقافية وهكذا دواليك .. لا تنم على قدرة في مخاطبة الأنا ، والذات والضمير ، والوجدان والعاطفة للطفل الذي شكلته الحضارة الغربية في اتجاهاته الفكرية والثقافية ، وأصبح نموذجا نمطيا لها بالتبعية من خلال ما يتلقاه من وسائل الاعلام العربية التي أخذت الى درجة كبيرة تعتمد على المسلسلات الدرامية الأجنبية ومسلسلات الكارتون المتحركة التي تتناول أفكاراً وقضايا لمجتمع غربي بعيد كل البعد عن قضايانا العربية وبيئتنا الاجتماعية الثقافية ، والفكرية والدينية ، بل والأدهى من ذلك بكثير ما نلاحظه من وجود بعض السقطات الفكرية في مضمون ، ومحتوى تلك المسلسلات والتي يتأثر منها الطفل في اتجاهاته الفكرية ، والتي تشكل له سلوكا مشينا دون ارادة منه وذلك من كثرة اذاعتها وعرضها وهذا بالتالي ما يمثل درجة الخطورة في عدم الفهم والوعي الناضج لها ، ناهيك عن وجود المؤثرات الأخرى من بعض الافلام المهربة التي تعرض على الطفل من جهاز الفيديو، الذي صرا يشكل هو الآخر خطورة على تشكيل اتجاهات فكر الطفل ونزوعاته الميولية ليصبح مقلدا ، ومطبقا لتلك الأفكار الهدامة وداعيا لها ، وخير دليل على ذلك ما يحدث من جرائم يرتكبها الأحداث ، والتي يحكم عليها علماء الجريمة بانها تشكل منهجا وأسلوبا متطورا في

عالم الجريمة ٠٠ أى إنها أحيانا تحير بعض رجال الأمن المتمرسين فى علم الجريمة والمكتشفين لها والمحققين فى دوافعها وأسبابها ويعانون من اكتشافها صعوبة بالغة ٠

وفى هذا العصر الذى كثر فيه الانحراف الخلقى والجـــرائم ، وتعاطى المخدرات يحتاج منا أن نعيد النظر فى أسلوب التربية لأطفالنا بحسابات عصرية متطورة نستعين بها من بعض الباحثين والمتخصصين فى علم النفس ، وعلم الجريمة والسلوك أمثال علماء « الانثروبولوجيا» والعلوم الأخرى التى تشارك فى هذا المجال ، والتى تتطلب منا أن ندعمها ماديا ومعنويا واجتماعيا فى مجال البحث العلمى وان تنشأ لها مراكز علمية قومية ٠

وأحسب أن العديد من المؤسسات الثقافية والأدبية التى نراها فى بلادنا قاصرة على أن تقدم للطفل خدمات فى هذا المجال وكأن نشاطها يتوقف على المفكرين والأدباء لترويج سلعهم الأدبية والفكرية التى تخلو من النصوص الابداعية التى تهتم بأدب الطفل رواية وقصـــة ، ودراسات نقدية تعالج قضاياه ومشاكله الاجتماعية والفكرية ، وأجزم ولا أزعـــم أن موضوعا خاصا بالطفل لم يخرج من أسوار هـــذه المؤسسات آنفـــة الذكر حتى الآن ٠٠ ومن يقل غير ذلك يجانب الحقيقة ، وكأن الطفـــل فى نظر أولئك لا يشكل طرفى المعادلة فى تركيبة المجتمع وحتى موضوعات المرأة النادرة التى خرجت من هذه المؤسسات لم تتناول الطفل كأحـــد العوامل المؤثرة فى حياتها وحياتنا جميعا ٠٠ اذ أن المرأة هى التى حملت وانجبت وأصبحت أما لأطفالنا وعليها يقع جزء المسئوليـــة فى تربية جيل النشء مشاركة مع المؤسسات الأخرى التربوية ، اضافة الى وجود الأب العنصر المهم فى التربية ٠

وأقول ٠٠ ان الطفل العربى لم يتهيأ له المناخ الصحى الاجتماعى الثقافى ، الفكرى والترفيهى ، وحتى وسائل التسلية البريئة حرم منها ، وأصبحت مفقودة فى حياته العامة ، وأصبح يعيش فى برج عاجى ، وفى عزلة تامة عن المجتمع الذى يعيش فيه ٠٠ والسؤال الذى نطرحه اليوم والذى يفرض نفسه ٠٠ الى متى سيظل الطفل مهملا من أسرته ومـــن مجتمعه ومتروكا لتنميط ثقافات غربية تفرضها عليه أفلام فيديـــو تغيب عنها الرقابة تحمل اتجاهات فكرية مستوردة ذات اتجاهـــات منحرفة وهابطة ، وساقطة خارجة عن مبادئه والتزاماته الخلقية الاسلاميـــة ولا يجد بدا غير أن يشاهدها ، وهى التى أمامه وليس غيرها بديلا ليقضى وقت فراغه فى متابعتها ، ويتأثر بها ، ويعمل بتعاليمها التى تنحدر به

سلوكيا فيما يقوم به من أعمال لا يقبلها الوجه الشرعى الاســـلامى ولا الأعراف الاجتماعية التى تحذرنا من مغبة هذه الأقـــلام الساقطة والهابطة ٠

ونعود مرة أخرى لنحمل مؤسساتنا العربية الاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية والاعلامية مسئولية ضياع الطفل ، ونطلب منهـا أن تحتضنه وتهتم به كثيراً وما أكثرها فى بلادنا كما فعلت اليابان ٠

ومن جانبنا فالحكومة ـ رعاها الله ـ لم تقصر من واجبها فى دعم هذه المؤسسات ماديا ومعنويا ٠٠ وعليها أن تراعى الطفل ماديا وثقافيا وفكميا واجتمعيا وترفيهيا بوسائل التسلية البريئة وان تتعــاون هـــذه المؤسسات مع كل المنظمات الدولية الخاصة بالطفل لتتعرف عـلى كل الوسائل التى ترتفع بقيمته الحضارية ٠٠ وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه خدمة ديننا وأمتنا ، ووطننا وقادتنـا ٠٠ والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ٠ ،،

الاتقان الادارى ٠٠ بين الأمس واليوم (*)

يتوقف البناء الحضارى للأمم ، على بناء الانسان الحضارى المسلح بالعلم ، والمعرفة ، والفكر المتنور ٠٠ والاخلاص فى العمل بالجد ، والمثابرة والانضباط العام سلوكا وعملا ٠٠ وهكذا نتمثل بتوجيه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » الآية ٠

وأخرج من هذه المقدمة ، وأنا أتذكر ، وأتطلع الى ذلك العهد الذى مضى عليه أكثر من ثلاثين عاما الذى اجترته ذاكرتى الى شريط استعرضه أمامى من سجل الذكريات ٠٠ لقد كانت فى ذلك الوقت البداية الأولى لمعالم الحضارة التى نتطلع اليها فى بناء كياننا التعليمى ، والاقتصادى ، والاجتماعى وهكذا دواليك ٠٠ وأذكر أن التعليم فى بلادنا كان آنذاك فى مراحله الأولى ، وان وجود المتعلم الجامعى فى ذلك الوقت عملة نادرة ، ويكاد أن يكون التخصص فى كافة المجالات مفقوداً، وأن وجود المتخصصين على رأس العمل كان حلما لا يراود الا خيال قلة نادرة جداً من شديدى الطموح ، والتطلع الى مستقبل أفضل آنذاك ولكن ٠٠ الذين يديرون دفة العمل أصحاب الخبرة والمتمرسين فيه ٠٠ ولا أبالغ اذا قلت ان العمل رغم ذلك كان يسير فى اتجاهاته الصحيحة ، والسليمة بل ، وأكثر جدية ، وحيوية من هذا الزمن الذى توفرت فيه التقنية الحديثة ، والتكنولوجيا المتطورة والتخصص العام ، والخاص ، والدقيق ، ويمكن أن تكون هذه المقارنة نابعة من أن الانسان هو الذى يؤدى هذا الدور فى تحقيق مثل هذا النجاح الذى جعله متفوقا على انسان هذا الجيل ، الذى توفرت له كل مقومات النجاح من علم وثقافة ،

(*) مجلة اقرأ ـ العدد ـ «٨٢٣» ـ ١٤١٢/١/٧ هـ ـ ١٩٩١/٧/٨٨ م ٠

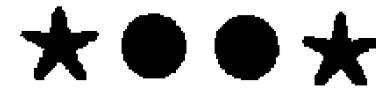
وفكر و « تكنولوجيا » واذا جاز لنا ان نحدد معالم هذا النجاح فى الانسان القديم فاننا نلمسه فى شدة حرارة اخلاصه للعمل الذى يناط به ثم يؤديه بضمير حى لا يهدأ الا مع آخر رمق من الاخلاص ، وتجرد فى الخلـق العظيم ، وبسلوك فاضل وحميد ، وبمخافة من الله الذى يحاسبه على هذا العمل ، وبخاصة فى نور قول الحق تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون · كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » ·

ويكفى أن أضرب مثلا على نوعية أولئك الأفراد الذين كانوا يؤدون عملهم بمنتهى الحب ، والجد ، والاخلاص ، والمثابرة على العمـل ، والنشاط الحيوى الدائم الذى لا يهدأ ، ولا يكل فى بذل الجهد والعطاء المستمر من أجل خدمة المجتمع فى كافة فئاته الذى كانوا يعيشـونه . ويحرصون على أمنه ، وسلامته والذى كان يتجسد فى موقع المسئولية المناطة بكل موظف فى دائرة حكومية ، أو فى قطاعات عامة أو خاصـة وأذكر من تلك النماذج التى يحتذى بها بعض موظفى امـارة المدينـة المنورة قبل ثلاثين عاما أو اكثر بقليل حينما كنتأبلغ من العمر ستة عشر عاما آنذاك ·· وفى ذلك الوقت كان يتكفل بتربيتى ونشأتى خالى الأستاذ حسن دبور ـ اطال الله فى عمره ـ وبحـكم اننى كنت اقيم بجواره ، وفى منزله ظللت ألازمه بين وقت وآخـر ، وأسهر معـه حينما كان يمضى الوقت فى مراجعة المعاملات التى كان يحضرها من الامارة والتى لا يسع وقت الدوام لانجازها ، وكنت ألاحظه وأتابعه بنظرات عينى أثناء قيامه بدراستها حينما كان يتخذ الاجراءات نحوها ـ ويعلم الله ـ اننى لم أعلم محتواها ·· وبصفته أحد المحررين فى امارة المدينة تناط به تلك المسئوليات التى أخذت منه الوقت الطويل حتى منتصف الليـل وكنت أشفق عليه من الارهاق الذى ألاحظهعلى ملامح وجهـه أثناء تحريره لتلك الاكوام من المعاملات التى كان يحضرهـا الى المنزل ·· وبالرغم من صغر سنى ، ومحدودية تفكيرى ، وتعليمى آنذاك ·· كنت ـ كما أنا الآن ـ أتميز بخاصية الفضولية للمعرفة الى درجة التطفل ـ وهى قد لا تكون صفة حميدة فى تفكير بعض الناس ـ الا اننى مصـاب بها ·· هذه الفضولية دفعتنى فى أحد الأيام بأن أتوجه بمجموعة من الاسئلة الى خالى ، وكلها تتعلق بطبيعة العمل الذى كان يمارسـه شكلا ، ومضمونا ، ويبدو أن هذه الاسئلة ضايقته الى أبعد الحدود ·· لأنه اعتبرها تدخلا فى شئون العمل ، وأسراره فكانت لا تـلاقى منه استجابة ·· غير أن الاجابة الوحيدة التى حصلت عليها واعتبرتهـا « مربط الفرس » ، والنجاح الأكبر الذى استفدت منه كانت تتلخص فى كلمات قلائل ذوات معان عظيمة وحكمة مفيدة ·

يقول – خالي : « ان مسئولية العمل أمانة وسرية في عنق الانسان ، وعليه أن يتحمل أعباء هذه الأمانة ، بصيانتها ، والمحافظة عليها ، وعلى أسرارها ، وان يخلص لها بكل ما يملك من القيم ، والأخلاقيات ، والسلوكيات الحميدة ، والنشاط الدءوب في تنفيذ كل ما يطلب اليه تحقيقه بايمان خالص على هدى مخافة الله ، والمحافظة على حقوق الدولة ، وأصحاب المصلحة ، وأهم من ذلك بكثير ألا يدباطأ الموظف في تأخير معاملات الناس التي ترتبط بها اجراءات أخرى لها علاقة بمصالح الجماهير ، والتي معظمها تحتاج الى اجراءات سريعة ، ولا تحتمل التأجيل ، فلذلك لم أكتف بالعمل في وقت الدوام الرسمي حفاظا على تلك المصالح وعلى هذا الأساس أحضرت معي الى البيت المعاملات المستعجلة غير القابلة للتأخير ، ويتوقف على تكدس المعاملات في المكاتب تعطيل مصالح الناس – حتى وان كان الموظف غير مسئول عنها خارج وقت الدوام – وهذا بالتالي يدفعنا الى أن نبذل الجهد ، والعطاء بغير حدود وان نخلص في عملنا ، وان نجهد أنفسنا في سبيل راحة الآخرين ، ومن هذه الرؤية تحقق الازدواجية في الأجر والثواب – باذن الله – من ناحية ، والأخرى أن معيشتنا ترتبط ماديا بهذا العمل ·· وأنا شخصيا – الكلام لخالي – أحب عملي لدرجة العشق، وهذا مما يجعلنا ننسى كل جهد مضن نقوم به ونسهر فيه الليالي الطويلة ·· وأحب أن أنورك بشيء أكثر من ذلك ·· انني لم أخالف قط تعليمات وأنظمة الدولة لا بالغياب المستمر ولا بالتسيب في العمل ، ولا بتأخير معاملة أصحاب المصالح ·· فاذا رجع أحدهم الى ملف خدمتي فسيلاحظ ن هذا الملف مشرف ، فلذلك – ولله الحمد – حصلت على شهادة الموظف المثالي بعد خروجي من الخدمة ، واحالتي الى التقاعد ، وفي هذه الدائرة التي كنت أعمل فيها العديد من الموظفين أمثالي بالاضافة الى وجود العديد في الدوائر الأخرى التي لها ارتباط بـ « الامارة » وغيرها من الدوائر الحساسة في مسئولياتها ·

وهذه الرؤية الشمولية عن سيرة خالي الذاتية وعن مجال عمله التي ذكرتها ·· أما ملاحظاتي التي خرجت بها ، والتي حللتها في ذهني وانطبعت في ذاكرتي من خلال المشاهدة والوقوف على طبيعة العمل في الدوائر الحكومية في ذلك الوقت والتي بلغ عمرها كثر من ثلاثين سنة بقليل : أن النظم الادارية السائدة في ذلك الوقت كانت تفتقر الى كثير من العلمية ·· ومن وجود التقنية الحديثة ومن توفر الكوادر البشرية المؤهلة ، والمدربة القائمة على العمل ·· وبالرغم من وجود هذا الافتقار الذي لم يتوفر بالتأهل العلمي ، و « التكنولوجيا الحديثة » فان أصحاب الخبرة كانوا يؤدون واجبهم نحو عملهم على خير ما يرام ، وينجزون

المعاملات بأسرع وقت ممكن ، وفق اللوائح والأنظمة المتاحة التى كانوا يحفظونها عن ظهر قلب ، فاذا وقفت على أحدهم ، وطلبت اليه أن يحدثك عن الاجراءات التى ينبغى أن تطبق فى الحالات الجنائية ، والمدنيـــة والعسكرية ، فانه كان يدركها ، ويحفظها وفق مقنناتها النظـامية دونما الرجوع الى ملفات القوانين ، واللوائح ، وذلك بحكم الممارسة ، والخبرة ولا يمكن ، ونحن نستعرض النظم الادراية وأساليبها البدائية التى كانت مطبقة فى ذلك الوقت نأ نصمها بالتخلف ، والعجز لأن مثل هذا الحكم غير منصف أو عادل ، خصوصا ، واذا حكمنا عليها بروح هذا العصر ومقاييسه الذى تقدمت فيه العلوم والتخصصات ، وتطورت فيه المفاهيم الادارية ، ونظمها ·



وخلاصة القول : ان وجه المقارنة بين وجود الانظمة الاداريـــة وأساليبها التى كانت تطبق فى الدوائر الحكومية قبـل أكثر من ثلاثين عاما ، والتى كانت محصورة على الخبرة ، والممارســـة ، وتفتقر الى العلمية فى أساليبها ، وفى كوادرها البشريـــة ·· وبين الأســـاليب الادارية المتطورة حديثا فى مؤهلاتها العلمية ، وطاقاتها البشرية المسلحة بالعلم ، والتخصص و بـ « التكنولوجيا الحديثة » اذ لا بد ، وأن ينظر اليها ، بالفروق العلمية ومناهجها ، وتطوير أنظمتها وأساليبها وفـــق التطور النسبى فى العلوم المتخصصة وفي التقنية التى أدت بالتـالى الى وجود الطاقات البشرية المؤهلة والمدربة لها ·· وفى رأيى أن مثل هذا التطور فى الآليات الحديثة ، وفى التطورات الفكرية ، والمادية ، وفى الحشد لها قد سارع فى هذا التحول الحضارى الملحوظ ، الذى أفرز الدور الذى ينبغى أن نقوم به فى تحقيق معطيات عصرنا الحديث ·· وبالرغم من هذا الانجاز الحضارى فى مقومات حياتنا بوجه عام ، وبوجه خاص فى تطوير أنظمتنا الادارية المعاصرة التى تتوافق مع تقدمنـــــا العلمى ، والفكرى ، والثقافى ، والاجتماعى ، وربط ذلك بالمجتمعـــات الأخرى المتقدمة فى هذا المجال ، التى تربطنا بها علاقات دولية ومصالح مشتركة مادية وفكرية وعلمية ، وسياسية يظـل العنصر البشرى فى ذلك الوقت قبل أكثر من ثلاثين عاما هو الأهم ، وأكثر تفوقا فى حرارة الاخلاص فى العمل ، والتفانى له ، وأكثر استيعابا للنظم الاداريـــة ، والقوانين ، وتطبيقها ، واعتمادها على الذاكرة البشرية ، وهذا فى حد ذاته يعتبر أيضا أكثر حفظا من وجود ذاكرة « الكمبيوتر » فى هذا العصر ، والاعتماد فى الحالات الكثيرة ، وبالرغم من وجود الحـاسب

الآلى فى وقتنا هذا يظل الموظف عاجزا عن الاسترجاع للمعلومات عن طريق ذاكرته فى حالة وجود عطل فى الذاكرة الآلية ٠

وختاما أرجو من موظفى يومنا هذا الاستفادة من الخبرات الواسعة التى يتمتع بها الموظفون القدامى ومحاولة الاكتساب منهم للسلوك الادارى العام الذى دعاهم الى حرارة الاخلاص فى العمل ، والجدية له وذلك بالمزاوجة بين الخبرات العامة والخبرات العلمية ، والتقنية التى توفرت للموظف الحالى ٠٠ وفى النهاية تخرج المعادلة العظمى فى تحقيق الأهداف التى ترمى الى التحمس بالمزج بين العملية والخبرة من ناحية ، والتوفيق بينهما من ناحية أخرى وذلك بالتطبيق العملى ، والاخلاص له ٠٠ فهل نحن فاعلون ؟! أسأل الله أن يوفقنا الى ذلك ٠ ،،

★★★

أدب الحوار (★)

قيل للفيلسوف الألماني « كانط » : كيف تكون الحضارة ممكنة ·· ؟ قال : اذا كان الفكر ممكنا ·· قيل له ·· وكيف يكون الفكر ممكنا ؟ قال : اذا كان العقل ممكنا ·· قيل له ·· وكيف يكون العقل ممكنا ؟ قال : اذا كانت الحرية ممكنة ·· ولعل ما يهمنا فى رأى « كانط » أن يكون للفكر حرية يعبر عنها بالرأى الآخر ·· وعلى ذكر الرأى الآخر نرى أن الذين يعادونه قلة من المثقفين ، والمتعلمين وبقية أخرى من شرائح المجتمع ·· ففى هذا السياق نرى بعض الفئات المتعلمة يضايقها الحــوار المنطقى والرأى السديد الذى يغلطها اذا خرجت عن الموضوعية ففى الوقت الذى يرى الزميل الدكتور عبد الرزاق العظمانى فى موضوع نشرة بجريدة المدينة بعنوان « عداوة للرأى الآخر » ان ثمة تراجعا يذكر من الأفراد العاديين فى المجتمع فى اصلاح الخطأ عن طريق اكتشافه بسرعة يكون العكس فى الطبقة المتعلمة التى تصر على الخطأ ولا تراجعه ، وتتمادى الى أكثر من ذلك بحيث انها تلاحق معارضيها فى كل مكان ، وفى كل زمان بتعميدهم لتصفى معهم الحسابات القديمة التى ربما مر عليها سنوات طوال ، ونسيها التاريخ ــ كما نسى الكثير من جهابذة الفكــر الذين اخطأتهم الشهرة وتظل الأمور قائمة على ما يسمى بتسجيـــل المواقف « على حسب رأى الزميل عبد الرزاق العظمانى » بين دائن ومدين وهم الذين نتحدث عنهم والذين لا يقيمون الأدلة بالشواهد فى حواراتهم الفكرية والثقافية بل يراوغون فى أسلوب الحوار المبنى على المغالطــة الفكرية · وعلى الاستنتاج الذى يقوم على احادية الرأى لا يقبل القسمة على اثنين ·· وكأن هذا الرأى أصبح دستوراً أو قانوناً مسلما بــه ·· ولا يمكن تجاوزه وهكذا تصبح الثقــافة أو الفكر حــكراً على أولئك الذين

(★) البلاد (العدد) ١٠٦٢٦ ــ ١٤١٣/٧/٢٦ هـ ·

ينصبون أنفسهم قضاة للفكر وللأدب وللقلم ، وان كل ما يخالفهم أو يغلطهم فى آرائهم وفى أفكارهم يصبح عرضة للجزاء الصـارم الذى تصدره محكمتهم العليا ، ليس لذنب ارتكبه فى حق المجتمـع أو الفكرة أو العلم ، وانما لكونه لم يوافق تلك الفئات التى أشرنا اليها آنفا فى قبول كل أفكارهم الأيديولوجية أو السيكولوجية وهكذا دواليك ·· فكل منهم فى بداية الأمر يخدعك ويجرك الى الحديث معهم وتظل تحاورهم بكـل موضوعية ، وبكل صراحة تبذل من الجهد الفكرى المناقشة الموضوعية معهم الى أبعد الحدود ، فلا نرى منهم سوى الرد السلبى الذى لا يقنعك والذى لا يقوم على أساس علمى أو فكرى مدروس اللهم الا فرد العضلات الفكرية الهشة التى لا تعبر عن صاحبها سوى انه مهرج كبير أو انه أستاذ كلام ·· وأحسب ان « لنكولن » كان صارما حينما قال : « والكلام يخدع ولكن الى حين لأنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت » ، وقد تبدى رأيا وتطلب منهم رأيا فلا تجد سبيلا من الكلام يدل على أنه رأى بل انه حكم مسبق ، ورأى مفروض ، وتتجادل معهم فى أطراف الحديث ، وفى موضوع محدد فيخرجون بك الى مواضيع مختلفـة ومتشابكة ، ولا تحس فيها أى رأى علمى ، أو ثقافى ، وكلها خروج على النص كما يفعله بعض الممثلين فى المسرح عندما يخرجـون عن النص الحقيقى بألفاظ يكرهها المشاهد ، وعـلى رأى الفيلسـوف الفرنسى « فولتير » قد أخالفك فى الرأى ولكننى استميت من أجل أن تقول رأيك ، فأنت لم تسمع كما ذكرت آنفا رأيا فى موضوع تناقشه مع الفئات التى تعادى الرأى الآخر ، بل تسمع كلاما هلاميا يصم أذنيك ، ويجعلك تنفر منه وتقول كما قال المرحوم أبو حنيفة : « لقد آن الآوان أن تمد رجليك » وهكذا أصبحت هذه الفئات تكره بشدة مواجهة الرأى الآخـر الا فى مناسبة مكره بحضورها ·

وباختصار ، فان الخروج من هذه المشكلة التى أصبحت تشكـل قاسما مشتركا بين بعض شرائح المجتمع المصابة بعداوة الرأى الآخر ، والتى لا تحتكم الى المنطق ولا الى العقل فى الحوار الموضـوعى فى مناقشة أية قصة متعلقة بالفكر ، وبالأدب وبالثقافة العامة ، تحتاج على حسب ما أعتقد الى تدريب العقل والفكر على كيفية ابداء الرأى بأمانة ونزاهة وموضوعية ، وفى الوقت نفسه كيفية التقبل لآراء الآخرين ، ونسأل الله التوفيق للجميع · ،،

★★★

الجفرى بين التكريم والدراسة (★)

فى ملتقى « الاثنينية » الأدبى ، والثقافى والفكرى وفى الأسبوع قبل الماضى كرمنا الأستاذ عبد المقصود خوجه بتكريم الأديب المبـــدع الأستاذ عبد الله الجفرى وكان من المفترض أن أكون ضمن المتحدثين فى هذا المنتدى لما تربطنى بالمحتفى به من وشائج المحبة ، والـــود ، والاخاء ، والزمالة ، ومشوار الكلمة وصدق المشاعر ، والاحســـاس بالمحبة التى تجمعنا فى قلب واحد وفى جسد روحى واحد ، غير اننى لم أجد من كثرة التسابق بين المتحدثين نثراً أو شعراً خانة أو فراغا أنفذ منه الى القاء « كلمتى » ٠٠ لقد كان لآيات التعبير فى كل حرف ، أو كلمة قالها المتحدثون عن الجفرى بمناسبة تكريمه تحمل صدق المشاعر والاحساس المتوهج بلهيب المحبة التى كانت تجمع – ولا زالت – بين المتحدثين شعراً أو نثراً ، وبين الحضور وبين ذلك العريس صاحب الشموع البيضاء المتوج فى ليلة زفاف تكريمه ، وما أكثـر الناس الذين يحبون الجفرى ، والذين يعجبون بأدبه « الرومـــانسى » والواقعى ، والذين يرون فيه المرآة المعبرة الصادقة فى كل حرف أو كلمة يكتبهـــا فى مقالاته أو فى قصصه نحو الحياة أو المجتمع أو مخاطبة الطبيعـــة بشكلها الواقعى أو محاكاة جمالها أو بـ « الميتافيزيقية » التى يشكلها من داخل وجدانه فى شفافية مطلقة يغوص فيها فى أعمـــــاق النفس البشرية بالتفاعل الوجدانى ، والفكرى ، ويغترف منها تلك الصـــور الخيالية المجنحة التى يحولها الى رموز لغوية وفكرية معبرة عن « ذاته » وعن ذوات الآخرين ٠٠ وكم كان الجفرى شقيا فى ذلك حتى أصبب قلبــه بالألم ٠٠ وألم الآخرين !! ٠

(★) مجلة اقرأ – العدد – « ٨٦٣ » – ١٤١٢/١١/٥ هـ ٠

★ لكن الجفرى لم يترك لهذه الرموز الفكرية أو اللغوية أن تتفاعل بتجريد مطلق كما يفعله غيره ، بل يمزجها بخياله الابداعى ، وفى لغته الشاعرية ، وبقاموسه الخاص الذى يميزه عن غيره من الأدباء ٠٠ وفى شفافيته التى يرى فيها بعد الأشياء فى تحقيق الاحلام التى تسكن فى وجدانه ووجدان كل الناس ٠

★ وما يراه الجفرى فى تلك الشفافية ذلك « الحدس العاطفى » الذى نعبر عنه بلغة علماء النفس بجهاز « الردار » الذى يرى الأشياء البعيدة ، وهى تظهر فى أحلام ورموز ، وربما تتحقق بعد فترة من الزمن وهذه الشفافية فى الرؤى هبة من الله يمنحها لبعض خلقه ، وتاريخنا الاسلامى والعربى يتحدث عن بعض هؤلاء الذين نالوا حظ هذه الهبة الالهية ٠

★ ولا أخال أن أكون أحد الذين شرفوا بمعرفة الجفرى ، وبالذين أحسوا بقيمته الفكرية ، والأدبية ٠٠ ولقد كنت أحد الدارسين لأدب الجفرى مضمونا وشكلا بمنظور الأدب بنظرية الاعلام ــ وكان هذا هو المنهج العلمى الذى يحكم المزاوجة بين الأدب والصحافة وتأثير كل منهما على الآخر ٠

ففى دراستى عن أدب الجفرى القصصى توقفت عند المقال الذى كتبه الدكتور يوسف نوفل عن مظاهر الأداء الفنى فى أقاصيص عبد الله جفرى من خلال مجموعة « الظمأ » فيقول (١) فى المجموعة القصصية (الظمأ) نرى الكاتب يستعير من فن المسرحية ، ومن فن المقال ، ومن فن التمثيلية ، ومن الشعر ، وجماليات الأسلوب والتطور هنا ــ والكلام للدكتور يوسف ــ يتمثل فى اقتراب الفن القصصى من دائرة الفن المسرحى فى خصيصة فيه وهو (الحوار) ٠

★ وتطالعنا فى مجموعة (الظمأ) لعبد الله الجفرى تجربة من هذا اللون فى أقصوصة (الانسان والدلو) التى تعتمد الحوار أساسا فى العرض والتعقيد والحل ، وهى أقصوصة تصور حيرة الانسان فى العصر الحديث ٠

★ وفى رأيى العلمى أن الجفرى يعتبر من أبرز كتاب القصة الذين تطور الفن القصصى على أيديهم تطوراً ملموساً ٠

ففى قصة (الظمأ) حيث يقول ٠٠ تحت الأرض تجف ٠٠ تتشقق عطشا ونداء ٠٠ ما الذى يفارقنا وما الذى يفارقه اذا اضطربت الرؤيا ؟! ان البقعة الداكنة فى صدرى هى قلبى الذى أحبله ٠

★ فنحن هنا بازاء لغة شاعرية ، وقد اختيرت ألفاظها بعناية ، فأصبح هذا الأسلوب الشعرى يدل على التأثير المتبادل بين الفنون جميعا كما أشار بذلك آنفا الدكتور يوسف ٠

★ فقد أصبح القاص يستفيد من الشعر والرسوم والفنون التشكيلية ، ويوظف ذلك كله فى قصته توظيفا حسنا ، وفى مقابل ذلك أصبح الشاعر يستثمر امكانات القصة وغيرها من الفنون فى قصائده ٠٠ فالجمل كما نرى فى قصة (الظمأ) قصيرة تتعاقب اثر بعضها فى ترابط محكم ، وهى تذكرنا بأسلوب البرقيات ناهيك عن وجود الاختزال فى الجمل القصيرة ، والفواصل ، والنقط ، وعلامات الاستفهام ٠

كل هذه الأدوات فى أشكالها الفنية أصبحت بالنسبة للجفرى لغة خاصة وقاموس فى المفردات التى يستخدمها فى الجمل ويكاد الجفرى أن يكون متعصبا لها الى أبعد الحدود ، وهذا ما عبر عنه صراحة فى حديثه ليلة تكريمه وهو يشير بذلك الى بعض الأخطاء المطبعية التى تحدث فى مقالاته (أثناء الجمع) وفى حذف بعض الفواصل والنقط وعلامات الاستفهام والتعجب فهو على حد رأيه لا يهمه أن يسقط حرف ٠٠ فالقارىء يدرك هذا الخطأ من (الجمع) أو من التصحيح ولكن يهمه بحرارة ألا تسقط نقطة أو فاصلة أو احدى أدوات الاستفهام والتعجب٠

★ لقد حمل « العكاظيون » الجزء الأكر من مسئولية ما يحدث له فى مقالاته اليومية التى ينشرها فى عكاظ (أثناء الجمع) من حذف لتلك الأدوات المشار اليها آنفا وهذا ما اعترف به صراحة الدكتور هاشم عبده هاشم رئيس تحرير عكاظ الذى شكا من ظاهرة عامة موجودة بين صفوف المصححين فى كل الصحف ٠

★ وكما أشار الأديب عبد الله الجفرى أن الفواصل وغيرها من الأدوات الأخرى كالنقط وهكذا دواليك يعتبرها ــ على حد رأيه ــ لغة قائمة بذاتها ، ولها من المعانى فى قاموسه الأدبى ولا يفرق بينها وبين اللغة ومفرداتها ٠٠ وفى رأيه انها تعبر عن فكر وعن مضمون ، وعن متنفس لقارىء الفكر والأدب ، واللغة ، وهذا الرأى يوافق عليه علماء اللغة وغيرهم من المهتمين فى لغة الضاد ويشددون عليه ، ويعتبرونه شيئا أساسيا فى شكل من الأشكال الابداعية التى ينبغى على الأديب أن يوظفها ، ويطوعها لخدمة نصه الابداعى ٠

★ وقد يكون لعلماء اللغة والمتخصصين رؤى علمية أخرى توضح هذا الجانب المهم الذى يجعل الأديب الجفرى يتعصب الى هذه الأدوات،

التى اضحت فى عرفه منهجا يسير عليه فى الاتجاه الأدبى فكراً وشكلا بل لقد بلغ به الأمر وهذا من حقه ــ ان يعتبرها ملازمـــة للحـــروف والكلمات ، وقاسما مشتركا بينه وبين لغته الأدبية ٠

★ وعلى كل حال فان الأديب عبد الله الجفرى استطاع أن يترك بصماته الفنية ــ كما أشرنا آنفا ــ على تطوير فن القصة ، وانه يعتبر من أحد المجددين لها ، كما أنه ساهم الى حد كبير فى تطوير فن المقال الأدبى والمقال الصحفى ، وهذا شىء لا يختلف عليه اثنان من الدارسين، والباحثين فى الأدب السعودى ٠

لقد توقفت طويلا ، وأنا استمع الى حديث الدكتور هاشم عبده هاشم بمناسبة تكريم الأديب الجفرى فى « الاثنينية » والذى قال فيه : انه يقرأ الجفرى ثلاث مرات يوميا ومن خلال تحليله لهذه القراءة على ثلاثة أوجه نخرج أن الجفرى يحتل الأهمية الكبرى من اعجاب المثقفين ، والمفكرين والأدباء ولم يكن هذا الاعجاب مقصوراً على هذه الطبقـــة المثقفة ثقافة عالية ، بل ان شرائح أخرى من الشعراء متوسطى الثقافة تقرأ وتعجب به وتحرص على متابعة مقالاته اليومية ٠

★ ولقد أجرت صحيفة عكاظ على ما أذكر استطلاعا علميا لمعرفة آراء القراء الكرام وملاحظاتهم على كتاب الجريدة فكانت نتائج هـذا الاستطلاع أن يحتل الجفرى الدرجة الأولى من اعجاب القراء ولم تكن هذه النتيجة مستبعدة ، لأن الجفرى له مكانة خاصة فى قلوب القـراء المحبين له والمعجبين بمقالاته وقصصه ٠

★ والحديث عن الجفرى لا يمكن أن يكفيه مقال ، واحد أو تكريم واحد ، بل يستحق هذا الأديب المبدع أن يكرم مدى الحياة ٠

★ وكم كانت سعادته من الموقف الكبير الذى وقفه خادم الحرمين الشريفين فى أزمة مرضه ، فأمر بعلاجه على نفقته الخاصة فى الخارج كما انه لا ينسى موقف الأمير ماجد بن عبد العزيز فى معاناته المرضية حيث خفف عنه وطأة المرض ، وزاره أكثر من مرة فى المستشفى الـذى كان يرقد فيه بجدة ، كما انه لم ينس موقف الأمير سلطان بن عبد العزيز الذى أمر بدخوله المستشفى العسكرى وزيارة الأميـــر سلمـــان بن عبد العزيز وغيره من الأمراء ٠

★ كما أن وقفات القراء الذين سألوا عنه فى المستشفى كان لها بالغ الأثر فى تخفيف آلام المرض عنه ٠

★ ولم يكن الجفرى ملكا للقارىء السعودى فقط بل له قاعـدة عريضة من القراء فى العالم العربى ، وله من الشهـرة والامتـــداد ما يتعدى جغرافية العالم العربى الى دول المهجر الغربى ·· وله أيضاً مكانة فى قلوب المفكرين ، والأدباء العرب ، والفلاسفة منهم ، واذكر من بينهم الدكتور زكى نجيب محمود الذى فاتحنى بأكثر من مرة باعجابه أدب (الجفرى) وانه يقرؤه ، وغيره كثيرون ·

★ هذا هو الجفرى الذى كان سفيراً للأدب السعودى ·

هل نجح الشلليون أن ينصبوا أنفسهم قضاة للفكر والأدب ! (★)

ان المفهوم اللغوى لكلمة « شللية » يعنى الرفقاء ، الجماعة ، الصحبة وهكذا دواليك ..

وغى هذا المعنى يصبح المفهوم لكمة « شللية » صحيحا لا غبار عليه كاطار لغوى ، أو اجتماعى ..

★ ولكن المصطلح « الأيديولوجى » لكلمة شللية يعنى الحزبة ، أو النحزب أو « التكتل » الذى يجمع بين فريق من الناس تجمعهم أهداف وخطط براجماتية أى نفعية يتقاسمون فيها المصالح ، والمراكز الاجتماعية والثقافية وغيرها .. ولا يتوانون فى اقتناص الفرص على حقوق الغير .. فالغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كلف الثمن ، ومهما تعددت الأسباب ففى فلسفتهم المذهبية ، وفى خططهم الانتهازية أن يصبح كل شىء فى هذا الوقت ، وفى هذا الزمان مقياسه الحقيقى الفكر .. البراجماتى أى النظرة المادية الصرفة ف « الماديات
هى التى تحكم الأشياء وهى التى تخدم المصالح والقضايا والرغبات ، والشهوات التى يسعون اليها بغض النظر عن القيم ، والمبادىء العامة فلا تخلو تجمعات الشللية من القيادات المركزية ، وغير المركزية ففى كل سلم من سلالمهم درجات لا يصعد عليها الا ذو حظ سعيد ، ومطيع أعمى ومنفذ لمصالحهم وأهدافهم ، وسياساتهم .. شيطان أخرس يوافق على كل شىء دون أن يقول شيئا .. أى انه تبعى ، ومنفذ للأوامر

(★) جريدة المدينة ـ ملحق الاربعاء الاسبوعى ٢١ صفر ١٤١٣ هـ .

العليا التي تصدر اليه من رموز « الشللية » ومن قممها ويتصدر مجالس « الشللية » بعض رجال الفكر والأدب ، والعلم ، والثقافة ، ويكثرون في بعض المؤسسات الثقافية ، والأدبيـــة والاكاديميـــة ، وفي بعض الصالونات الثقافية التي ترتبط اسمياً بأيام الأسبوع ، وللشلليين ذيول وأتباع وكمبارس ينتشرون في بعض المؤسسات الاعلامية كالصحف مثلا وفي غيرها ٠٠ وهؤلاء تربطهم مصالح كبرى بـ « كبار الشلليين » وهـم الذين يدافعون عنهم في كل المناسبات الفكرية أو الاعلامية أو في غيرها بحق أو بدون حق فاذا اختلفت مع كبارهم في قضايا فكرية أو في غيرها يخرجون عليك الصغار في أعمدة الصحف يكيلون لك الشتائم والسباب، والسفه أحيانا والخروج عن الموضوعية من صـــلب الموضـــوع الذي تناقشه مع كبارهم وهذا ما يجعلك مضطراً أن تدير ظهرك عن هؤلاء ، وان لا تخاطبهم بلغتهم ولا بأساليبهم الجارحة ، ولا بفكرهم الهش والفج « ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه » ٠ وتجاوز عن الهفوات ، والهنات ، وعن سفاسف الأمور وعن الجدل البيزنطي وعن الضجة الغوغائيـــة ورحم الله أيضا الامام أبا حنيفة « الذي آن له الأوان أن يخـــرج من تربعه ويمد رجليه » ٠

وباختصار ، فان أمر الشللية ايديولوجيا فرض لي كثير من الأجهزة الثقافية والفكرية والاعلامية ، والاكاديمية تأثيراً بالغا الى درجة أن يحركوا هذه المؤسسات وفق رغباتهم ومصالحهم الذاتية فلا يمكن أن يمر على هذه المؤسسات مثقـــف أو مفكـــر أو أديب لا ترضى عنه « الشللية » مهما ارتقى مستواه الفكري والثقافي والاجتمـــاعي ٠٠ ولا يهم هذه الشرائح من الشللية الارتفاع بقيمة الانتاج الفكري أو الأدبي أو العلمي على حساب مصالحهم الخاصة فالدلائل كما هي على أرض الواقع شواهد على ذلك عندما تطل على بعض المؤسسات الثقافية التي يوجدون فيها ٠٠ولا أتجنى ان قلت ان كثيراً من الكفـاءات العـــلمية والأدبية والثقافية دفنت تحت انقاض « الشللية » واختفى نشـــاطها ، ولا تملك من الأمر أن تنقذ نفسها من تحت هذه الانقاض ومن السواد الاعظم منها ، فأولئك المثقفون الذين تحاربهم « الشللية » يشكلون في الواقع ثروة فكرية وعلمية ويستفاد منهم على نطاق واسع في عالمنـــا المعاصر ، وفي مجتمعنا الحديث ٠٠ فاصبح اليوم التطلع الى مستقبل الثقافة والفكر والحضارة بوجه عام في ظـــل نظـــام الشـــللية وفي ايديولوجياتها تقاس بمعيار المصلحة الانتفاعية التي تحققها « الشللية » من سيطرتها على بعض المؤسسات الفكرية ، فهم وراء كل مشروع أو عمل ثقافي أو اجتماعي أو فكري أو سلم وظيفي ٠٠ فخرجت العديـــد

من المشاريع الثقافية من بحور هذه الانظمة ومن فلسفاتها الايديولوجية زمن بطونهـا يتنظر واقعنـا الثقـافي ومسـتقبلنا الحضـارى وفـق مفاهيمهم لهـا ٠

ولم يتوقف الأمر على « الشللية » بانتشارها في بعض المؤسسات المشار اليها انفا بل تجاوزت حدود هذا الانتشار الى مواقع أخرى فى بعض الصالونات الثقافية وما أكثرها فى بلادنا ، وما أكثر منظريهـا الذين ينصبون انفسهم قضاة للفكر والأدب والثقافة فراحوا يصنفون كتاب الصحف ويصنفون أيضا المواضيع التى ينبغى أن يتطرق اليها كل كاتب متعاون مع الصحف كما انهم يحرمون على الكتاب أن يكتبوا فى المواضيع التى تهم قضايا المواطنين ومشاكلهم ومعاناتهم ٠٠ !!

فالطرح عندهم للقضايا يأخذ شكل التصنيف على أن يكون مقتصراً على المواضيع الفكرية والتخصصية ، والموضوعية البحتة والجدية وهذا هو الجوهر الأساسى للطرح وما عداه فلا يشكل سوى الهامش الذى ينبغى أن يرتفع عنه الكاتب الجاد انطلاقا من فكرة الفكر الارستقراطى والذى أصبح آخر صيحة فى عالم الكتابة ، وفى عالم الكتب بأشكالها وأنواعها الخاصة والعامة ٠٠ أما ما يهم الأمة من مشاكل وقضايـــا محلية فهذا يعتبر ضرباً من ضروب « النزف الفكرى » أو « التسليـــة المكانية أو الهوامش الشكلية أو السطحية » وهذا المنظور فى العــرف الشللى يحقق ذاتية الرغبة عندهم فى تقويم الأمور وفى تحريك القضايا التى يريدون طرحها ٠٠

أما مصلحة المواطن وقضاياه ومشاكله فهى لا تشكل اهميــــة بالنسبة لهم ، كما انها لا تقلق هواجسهم فهم يطالبــون الكتــاب ان يبتعدوا عنها ٠٠ وعلى حد رأيهم فان الدخول فيها يعتبر وقتا ضائعا وثقافة مهدرة ٠٠ وطاقة مبددة ٠ وكم كان محقا أحد المفكرين فى مصر الذى وصف « الشللية » بأنها معوق ومدمر للانتــاج الفكرى والثقافى والاجتماعى ، والاقتصادى وان تأخر أمتنا فى العالم العـــربى وراءه « الشللية » فى مفهومها الايديولوجى وانها « وباء شللى »
على مستقبل الأمم فى تقدمها الحضارى والانسانى والاجتماعى وهــلم جرا ٠٠

نسأل الله الهداية للجميع ، ولأمتنا كل تقــدم وسؤدد وازدهار ٠

فى ندوة « سندباد » كانت لنا أيام !! (★)

كلما قابلت الزميل مصطفى كتوعه تجترنى الذاكرة لأكثر من ربع قرن حينما كان يستضيفنا فى داره فى المدينة المنورة فى ندوة ثقافيـة كانت معروفة بين شبان المدينة آنذاك باسم « سندباد » وأذكر انها كانت تضم فى ذلك الوقت الدكتور مصطفى بليلة ، وعبد الله رفـه وحامـــد أبو خضير ، ونزار زللى ، ونزار غوث ، وعبد الرزاق القين ، وعبد الرحمن الانصارى ، ومن الاخوة الشباب العرب الذين كانوا يقيمون فى المدينة المنورة يومذاك اذكر منهم المرحوم عبد الله الجابرى الذى كان مولعــــا بالأدب ، والفكر ، وكان يوفر من قوته لشراء الكتب الأدبية ، والفكرية المترجمة ، وخصوصا الرواية الأجنبية ، والقصة القصيرة ، وكان فى ذلك الوقت يعمل بأجر متواضع فى احدى حوانيت الأقمشة التى كــان يملكها المرحوم بكر رضوان ، وبالرغم من الأجر الزهيد الذى كــــان يتقاضاه ، فـلم يتوان أن يصرف أكثره فى شراء الـكتب العربيـة ، والأجنبية المترجمة وحب القـراءة والاطلاع ، حتى انه أصبح من كبـار المفكرين والمثقفين عندما شب عن الطوق ·

وكنا ، ونحن صغار ــ لم نبلغ من العمر عتيـــا ــ نحب القراءة والاطلاع وندخر من مصروفاتنا اليومية بعض النقود لشراء الـــكتب الأدبية وغيرها من الكتب المفيدة التى تدخل فى باب الثقـافة ، والتى كانت فى ذلك الوقت نادرة ، وقليلة ، وتستوردها المكتبات من القاهرة ، ولبنان ، وكانت أسعارها مرتفعة الى حد كبير فى ذلك الوقت ، وأذكر من كبرى تلك المكتبات مكتبة كانت متواجدة فى المدينة المنورة ــ واعتقـد لازالت ــ « النمنكانى » و « المنصورى » و « ضياء » التى تحتوى على

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٨٨٠ » ــ ١٤١٣/٥/١٨ هـ ·

الكتب العلمية ، والأدبية المفيدة وعلى القرطاسية ، و « الورقية » وكتب الفقه والتفاسير الدينية ، وكل العلوم الشرعية ، وترجمات أمهـات الكتب الأجنبية والعربية ، فكانت هذه الكتب هى احدى المصادر التى نهتم بمناقشاتها فى ندوة « سندباد » التى كنا قيمها بشكل دورى فى منازلنا ، وإن كان نشاطها مركزاً فى منزل أخى مصطفى كتوعه الذى كان يحب أن تقام فى داره فى أكثر الأوقات وكان لا يهمه ان يقيم مأدبة العشاء المتواضعة التى كانت تكلفه النزر الكبير من راتبه يوم أن كـان يعمل فى مؤسسة عين الزرقاء ، وهى ما تسمى اليوم بمصلحة الميـاه والصرف الصحى ، وكان الكتوعة حينذاك يعمل مراسلا لأكثر من صحيفة فى مرحلة صحافة الأفراد ، وأذكر من هـذه الصحف « البـلاد » « الأضواء » و « الرائد » فيما بعد ، وأحيانا كان يراسـل النـدوة و « حراء » و « عرفات » فلهذا كان يريد من عقد ندوة « سندباد » فى منزله أن يصطاد عصفورين بحجـر يحقق فيهـا مـادة صحفية أدبيـة يراسل بها صحفه التى كان يمثلها كمخبر صحفى ، وكان أيضـا ليستفيد من الحوادث ، والمناقشات الأدبية التى كانت تدار بين الشـباب المثقفين فى ذلك الوقت ، وكانت هذه الحوارات الأدبية منصبة على مناقشـة الكتب الأجنبية المترجمة ، والعربية التى كنا نأروها فى وقت فراغنا ، وأهم ما يميز تلك الفترة التى كنا نعيشها فى المدينة المنورة مسقط رأسنا، ونحن صبية أن كرة القدم كانت غير معروفة ، ومنتشرة مثل هذا الوقت ، ولم يخرج منها آنذاك أى نجم يذكر ، كما انها لم تكن محتلة المسـاحة الكبيرة من أفكار شبابنا بل كانت موجودة « تهميشيا » فلهذا لم تصرف عقولنا ، وأفكارنا حينذاك عن القراءة والاطلاع ·

وباختصار استفدنا الى حد كبير من عامل الزمن والوقت واستطعنا أن نوفق تنظيميا بين القـراءة والاطـلاع ، والهـوايات الخاصـة ، والدراسة ، والعمل الذى كنا نشغله فى وقت الفراغ لنتعلم منه حرفة أو مهنة صناعية نزيد بها « دخولنا المادية » ونؤمن به حياتنا ·

وأخيراً أرجو أن لا أكون قد قسوت على شباب هذا اليوم بالمقارنة التى اقمتها بين جيلهم وجيلنا الذى كان مولعا بالقراءة ، وبالاطـلاع ، وبالاستفادة من عامل الوقت والزمن فى شىء كان ينفعه وينفع أسرته ، وأجياله ، فلعلى أهدف من هذه المقارنة اننى اتمنى لجيل الشباب هذا اليوم أن ينظم حياته بين القراءة والدراسة وممارسة الهوايات الأخرى، وبين الاستفادة من الأنشطة الكرية التى تخرج من المؤسسـات الثقافية والعلمية ، والصالونات الأدبية بالحرص على حضـور أمسـياتها ، وندواتها ومحاضراتها ففى هذه الصروح الشامخة يحاضر العديد من

العلماء والمفكرين والمثقفين الذين يتحدثون عن العلم وعن الفكر وعــن الأدب وعن الثقافة بوجه عام ، فلا شك أن مثل هذه الاطروحات تثير أفكارهم وتنمى مواهبهم للمعرفية ، وتحــرك كوامن طاقاتهم الابداعية فكراً وعلما وثقافة ٠

وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا الى ما فيه خير وصلاح الأمة وتقدمها وازدهارها ٠٠ والله ولى التوفيق ٠

★★★

كيف نزيل الحاجز النفسى للطلاب فى الامتحانات ؟ (★)

لا زالت كلمة « امتحان » أو اختبار تعنى الشىء الكثير بالنسبة للطلاب سواء من الناحية ارعنوية أو المادية وكأنما الاختبـــار غول ، أو صدمة كهربائية يتعرض لها الطالب ، فيصاب بتأثيرها خوفا او هلعـا حيث يجمد دمه ويصفر وجهه ·· وكثيراً ما يعلو على وجوه الطـــلاب أثناء تأدية الامتحانات تأثيرات سيكولوجية نشعر بها نحن الأســاتذة والمشتغلين فى الحقل التعليمى ، وهذا ما أدى بالتالى الى أن مشكلة الامتحان أصبحت تشغل بال رجال التربية والتعليم ·

فالمشكلة فى حد ذاتها سبب فيما تجر من مشكلات عديدة لا حصر لها من توتر وقلق ، وخوف من جانب الطلاب وأولياء الأمـــور ، ومن تفكير وجهد شاق من المعلمين فى وضع الاسئلة وتصحيحها واعـداد النتائج لهـا مع الأخذ فى الاعتبار على تقييم الطـــلاب أثناء التحصـيل العلمى وفق المنهج المعد لكل مادة ·

وليس من المستغرب أن نجد تأثيراً ما قد حدث فى تغيير مفهومنا عن نتاج الامتحـــانات للطـلاب وعــن تقييمهم العـلمى أثناء التحصيل الدراسى وتفوقهم فيه ، وهذا ما يؤدى الى اعادة النظـــر بين نتـــائج الامتحانات ، وبين التفاعل العلمى الذى يؤديه الطـــالب اثناء دراسته للمادة قبل الامتحان ، وهــذه المقارنة لابد أننـــا نأخـذها فى اعتباراتنا ، ونعتبرها من المقاييس الحقيقية التى يقدر بها عمل الطالب علميا بغض النظر عن نتائج الامتحانات نسبيا ·

(★) مجلة اقرأ - العدد - « ٨٧٦ » - ١٤١٣/٢/٢٢ هـ ·

وهذا لا يعنى اننا لا ننظر الى اهمية الاختبـارات علميـــا وان لا ناخذها بالمقياس العلمى الذى تصدر عليه احكامنا على قيمة الأشياء أو لأشخاص أو الموضوعات ‧‧ وفى هذا الاطار أن ثمـة استخدامـا للمعايير أو للأسس التى تقوم عليها تلك التقديـرات لتلك القيمـــة ، فالامتحانات قياس على مدى التحصيل العلمى لدى الطلاب ‧ وأصبح للامتحانات فروع ، وأنواع نتعامل معها ، كما حددها رجال التربيـــة والتعليم ،ومن هذه الأنواع ‧‧ الامتحانات الشفهية والامتحـــانات التحريرية ، والامتحانات الموضوعية واختبارات المقال وغيرها ‧‧ وكلها معروفة لدى رجال التعليم والطلاب ‧ ولا تحتـــاج الى شروحـــات مستفيضة ‧ وما يهمنا هنا أن نســتعرض آراء رجال التربية والتعليم فى بعض الحلول المقترحة لتلافى مشاكل الامتحانات ‧‧ ومن أهم هــذه الحلول ما يذكرها « أبو حطب فؤاد ، عثمان سيد ـ التقويم النفسى » :

١ ـ استخدام المرونة من قبل المراقبين فى تعاملهم مع الطـلاب أثناء تادية الامتحانات ورسم الابتسامة على شفافهم ، ولو كـــانت مصطنعة ‧

٢ ـ تخلى أولياء الأمور من مخاوفهم التى تنعكس سلبا عـــلى أبنائهم ، وكذلك تخليهم عن حالة الاستنفار التى يقومون بها فى أيام الامتحانات ‧

٣ ـ على أولياء الأمور تهيئة الجو المناسب لأبنائهم ‧ ومحاولة توضيح القصد من الامتحانات لهم ، وعدم التهويل ‧

٤ ـ يجب على المدرس أو الأستاذ عدم ابراز عضلاته فى نوعيـة الاسئلة التى يضعها لطلابه فالامتحانات ليست لتعجيز الطالب بقـــدر ما هى قياس لمدى تحصيله من المادة ‧

٥ ـ يجب على الطالب أن لا يترك الدروس تتراكم عليــه فى أيـــام الدراسة ، وإلا يقوم بمراجعتها ، وعند بدء الامتحانات يقوم بالدراسة حيث ضيق الوقت ، وقلة الاستيعاب فتكون سببا فى تخوفه وقلقـــه وتوتره ‧

ولا زال علماء التربية والتعليم يواصلون عمل الدراسات العلمية اللازمة التى تساعد على وضع حد لمشكلة الامتحانات وهواجسهـــــا السيكولوجية ‧

ونسأل الله تعالى التوفيق للجميع ‧ ،،

في حارتنا « التاجورى » : كانت لنا أعوام (★)

ظاهرة الكتابة عن الحارات فى المدن ترجع الى فكرة انطلق منها الزميل الدكتور عاصم حمدان حينما كتب فى ملحق الأربعاء بجريدة المدينة عن حارة الاغوات ، وكان لهذا الملحق قصب السبق لهذا النشر ثم توالى الآخرون من الأكاديميين والأدباء والمثقفين يكتبون عن الحارات التى نشأوا فيها ولا اريد أن أحصى عدداً من كتب عن هذه الظاهرة التى اذا جاز القول ان اسميها « أدب الحارات » على منوال ما كتب اصطلاحا « أدب الرحلات » .

والحارة ترتبط بتاريخنا الحضارى ذلك المكان الذى نشأنا وتربينا، وترعرعنا فى أرضه وتربته ، فكانت لنا فيه بذور التنشئة الاجتماعية والعلاقات الانسانية والاجتماعية التى كانت ولا تزال تربطنا بزملاء الطفولة ورفقاء الدرب ، والمشوار ، وان باعدتنا المسافات ، وحكمت علينا الغربة الابتعاد عن الحارة التى كان لها الفضل فى تنشئتنا الاجتماعية منذ أن كنا صغاراً فلا زالت الأسر التى كانت تتجاور فى الحارات منذ سنوات طويلة ، وانفرط عقدها لسفر بعضها ، أو لانتقالها لأماكن أخرى ترتبط بعقد اجتماعى لم ينفرط بعد بل أخذ يتجمع فى نسيج اجتماعى قوى ولا زالت هذه الأسر حتى تاريخنا هذا لها ارتباط الاجتماعية منذ أن كنا صغارا ، فلا زالت الأسر التى كانت تتجاور فى قرب ، وأذكر أن لحارتنا التاجورى التى كتب عنها صديقى ورفيق درب الطفولة الأستاذ سعود الحجام لها فى نفسى الكثير من الذكريات الاجتماعية ، والثقافية ، والفكرية ، وكل ما يرتبط بها من عادات

(★) جريدة البلاد ـ العدد ١٠٥٢١ ـ الثلاثاء ٦ ذو القعدة ١٤١٣ هـ الموافق ٢٧ ابريل ١٩٩٣م .

وتقاليد اجتماعية وقيم أخلاقية لازالت محفورة في ذاكرتنا ، ولا زلنا نعتز بها ، ونعتد بها ، فعلى الجانب الاجتماعي ، والانساني ، نرى أن أسرتنا في هذه الحارة ، تشكل نسيجا اجتماعيا واحداً في عقدها الفريد الذي كان يميزها ، بحبل الترابط الذي يجمع بين كل أسرة ، وكأنها أسرة واحدة تنصهر في بوتقة واحدة « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » ·· ناهيك عن التكافل الاجتماعي الذي يربط بين جيران حارتنا ولا أسرف في القول اذ قلت انك لا تستطيع في حارتنا أن تعرف من هي الأسرة الفقيرة ، ومن هي الأسرة الغنية الا عن طريق المباني الشاهقة والتي كان أكبرها ، دار « آل حجام » التي ينحدر منها الصديق سعود الحجام ولا أذيع سرا اذا قلت ان حارتنا كانت تشكل أكبر ترابط أسري اجتماعي بين الجيران بحكم أن معظمنا وأنا أحدهم قد اختار شريكة حياته ، من وسط الجيران ·

وأصبحت آنذاك « حارة التاجوري » أكثر الحارات التي كان يرتبط جيرانها بـ « المصاهرة » وبـ « المراحمة » فكانوا يتزوجون من بعضهم ، بالرغم من أن العادات في ذلك الوقت لا تسمح بأن يرى العريس الزوجة التي اختيرت له وكان الأمر متروكا لوالدة العريس ، والمفاهمة تتم بين أهل العريس ، وأهل العروس دون تدخل ، من العريس ، وانني لا أجانب الحقيقة اذا قلت حينما اختيرت لي شريكة حياتي التي كانت تسكن بجوارنا لم يكن لي في الأمر من ذلك شيء لا في الموافقة ، ولا في الاختيار ، والذي كان يتفاوض على ذلك جدتي من الأم وجدتها من الأب ·· وكل واحدة منهما تحب الأخرى ، وتعزها ، وتجلها وكان الزواج ، ولله الحمد موفقا وثروته عدد من الأبناء أولاد ، وبنات · والولد البكر الذي شاركني حياتي في العقد الثاني من العمر ولازال وأنا فخور به الابن غسان وعندما يدعوني « بأبي غسان » أكون فخوراً بذلك ، وأرجو المعذرة في هذا الاستطراد ، ولكنني أردت من ذلك أن أعطي لنفسي ذلك النموذج ، على سبيل المثال لا الحصر ·

ولحارتنا في المدينة المنورة كما للحارات الأخرى عادات ، وتقاليد اجتماعية موروثة من أجيال سابقة ، ومن بين تلك العادات التي انقرضت للأسف الشديد الآن ، هي أيام الأعياد التي كانت كل حارة تنفرد بيوم من أيام العيد في استقبال زوارها من الحارات الأخرى ·

فاذا نشب خلاف بين حارتنا وحارة أخرى ترانا قد تجمعنا ، وخرجنا « بعصينا » وبكل ما نملك من أدوات الهجوم ، والدفاع . ودخلنا في معركة حرب ما كان يعرف مداها ، غير الله ، فأحيانا كنا

نخرج مهزومين ، وأحيانا أخرى نخرج منتصرين وهكذا دواليك ٠٠٠٠
وأذكر أن شيخ حارتنا المرحوم حسين عبد الملك غلام كان يحثنا على الشجاعة ، ويدب فينا روح البطولة اذا ما واجهنا خصومنا ولكنه ما كان رحمه الله يحرضنا على المضاربة والقتال مع الآخرين ، بل كان ينصحنا أن نتجنب ذلك بقدر الامكان الا فى حالة الهجوم علينا أو الاعتداء علينا، وكان من حسنات شيخ حارتنا انه كان يداوى مشاكلنا ويحل خلافاتنا مع بعضنا البعض وكان يكره أن تخرج خلافاتنا عن أسوار حارتنا وتصل الى الشرطة والى المحاكم - الا فى حالات الجرائم الجنائية التى كان لا يملك أن يسيطر عليها ، أو أن يتحكم فيها فى داخل تلك الأسوار بيت الأسرة الواحدة (حارة التاجورى) ولقد نجح الى حد كبير ان يحتوى كثيرا من تلك المشاكل التى تحصل بين الأطفال وبين الأسرة ، وكان يعيد كل الأمور الى مجاريها ، بعد تصفية النفوس ، وبعد تهدئة الأعصاب ، فكان الأب الكبير لنا رحمه الله ، ولعل من المناسبات العظيمة فى نفوسنا عندما كنا أطفالا تلك المناسبة التى كان يزور حارتنا فيها الملك سعود رحمه الله ، عندما يأتى الى المدينة ، فتزدان حارتنا بالكهرباء ، وتنصب الخيام ، ونهلل بتلك الاهازيج ترحيبا بزيارة الملك ، فكان رحمه الله يخصنا بالهدايا الثمينة النقدية من الريالات الفضية فكنا نفرح بها كأطفال نشترى بها الألعاب ونسدد بها مصاريفنا على مدى الشهور القادمة ٠٠ وكانت لنا أيضا من شقاوة الأطفال ، رمى (الطراطيع) على البادية التى كانت تخيم بجمالها فى حارة التاجورى لتسوق احطابها فى أرض كانت مخصصة لها ، سميت باسم (مناخة الحطب) التى كانت تعتبر المدخل الرئيسى لحارة التاجورى فى موقع استراتيجى - ولعل تسميتها بمناخة الحطب تأت لأنها السوق التجارى له ، وعلى كل حال ما كنا ننجو من علقة ساخنة أو ضربة شديدة اذا وقع أحدنا فى مصيدة أو كمين أحد رجال البادية ، وكان الشيخ حسين غلام رحمه الله يصعب عليه فك أسرنا من البدوى الذى كنا نقع تحت يديه الا بشق الأنفس وتعهدات بعدم العودة الى رمى (الطراطيع) وهكذا كانت شقاوة الأطفال ولكن كنا أبرياء فى سلوكنا وفى تصرفاتنا ونلتزم بالتعاليم الاسلامية فى قيمنا الأخلاقية ، ولا نعرف التدخين فى سن مبكرة ، ولا المخدرات ، ولا شرب الممنوعات ولا المعاكسات الهاتفية ، ولا الاعتداء على حرمة الجيران ، بل كنا نصون هذه المقدسات وكنا نعتبر أنفسنا من « محارمها » فلا يجرؤ أحد أن يعاكس امرأة من حارتنا أو حتى من حارة اخرى جاءت لزيارتنا بل كنا نعتبر أنفسنا حراس بوابة لكل أسرة تقطن فى حارتنا او تكون ضيفة عليها ، فكانت العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على حقوق الجيرة وحرمتها ، وكرامتها ٠

ونحمد الله أن تربيتنا ــ كانت ولا تزال تقوم على التحلى بالأخلاقيات بكل القيم الانسانية ، والأخلاقية والدينية والاجتماعية التى تقوم على أساس الاحترام المتبادل ، وحرية الرأى ، واحترام الرأى الآخر ، أى اننا نلتزم بالمسئولية الاجتماعية ، تجاه مجتمعنا فى كل قيمه ، واعرافه، وتقاليدد ، وعاداته ٠

الجانب الفكرى والثقافى :

ففى هذا الجانب تسيطر الندوات والمسامرات الأدبية التى كنا نقيمها فى بيوتنا ، كطلبة نذاكر فيها دروسنا ومناهجنا الدراسية ، ونتداول الفكر والرأى فيها ونتدارسها وكنا نقيم عليها الحوار ، والجدل ، والمناقشة ، ولقد خرج من بعضنا أكاديميون ، ومثقفون ، وأدباء ، وأذكر من الاكاديميين الأستاذ الدكتور منصور التركى والدكتور على ابراهيم دبور ــ يرحمه الله ، والدكتور احسان كاظم ، والدكتور حالد خليل الكويتى ، والدكتور فريد عظم وكاتب هذه السطور وغيرهم كثيرون ــ كما كانت حارتنا لا تخلو من أولياء الله الصالحين والذين نطلق عليهم (الدراويش) لأنهم كانوا على الفطرة وليس لهم أذية على أحد وأذكر من هؤلاء (حج كامل) وكان لهذا الشخص من الشفافية و « الحدس » تطلعات وتنبؤات لا أقول انها رجم بالغيب ، بل كان احساسا بشيء يحدث وأذكر على سبيل المثال وليس الحصر تلك الواقعة التى لا زال يذكرها نفر من أهل المدينة حينما أتى « حج كامل » على أطفال كانوا يلعبون تحت أسوار فأخرجهم منها ولم يمض على خروجهم سوى دقائق حتى انهارت تلك الأسوار ونجا منها أولئك الأطفال ٠٠ وقصص أخرى لهذا الرجل تكاد أن تكون خيالية ، ولكنها على أرض الواقع حقيقة ، وشخص آخر كان يسكن فى حارتنا اسمه (الرشيدى) فهذا أيضا له قصص تكاد تكون متقاربة من هذه الكرامات التى يخص الله بها بعض عباده الصالحين ، وجاء ذكرها فى القرآن الكريم ، وفى تاريخنا الاسلامى وفى الأحاديث النبوية ، وفى غيرها من المشاهد الأخرى التى كنا نراها من عباد الله الصالحين ، فلو أردنا فى الحقيقة أن نتكلم عن قيمتنا الاجتماعية ، من عادات وتقاليد ، وغيرها والتى بعضها توارى خلف ركام الحضارة المادية التى استعبدتنا والتى جعلتنا نتحرر من بعض تلك القيم التى كانت تشكل جذور الحضارة فى تراثنا الاسلامى ، والتى كانت بمثابة الرابط فى وحدتنا وفى تلاحمنا الأسرى، فلم نعد اليوم نفكر فى هذا الترابط وفى هذا التجمع الأسرى الذى كانت تحققه الحضارة من القيم الاسلامية وذلك السمو من الروابط فى

أخلاقيات ذلك التجمع العظيم ، والذى كانت أيضا تحققه (الحارة) التى كنا نعيش فيها ، ولكن بشكل أوسع وفى بيئات متعددة أو من خلال دوائر ونسيج اجتماعى واحد كنا نعبر عنه (البيت الكبير حارة التاجورى) واذا ذكرت هذه الحارة أذكر سكانها من الجيران « آل حجام » و « آل البرادة » « وآل التركى » « وآل العقيل » « وآل غلام » « وآل دبور » « وآل عويضة » « وآل الثنيان » « وآل كاظم » « وآل بركات » «وآل الخريجى » « وآل الدينب » « وآل بشير » « وآل أبو الفرج » « وآل المشيخ » « وآل الخطيرى » و « آل سفر » و « آل الحجيلى » و « آل عزونى » و « آل حركان » و « آل شربينى » و « آل الكعكى » و « آل عبد الستار » و « آل الصيرفى » و « آل الديولى » و « آل عبد العال » و « آل برى » وغيرهم مما لا تحضرنى اسماؤهم و (وأرجو المعذرة) ٠

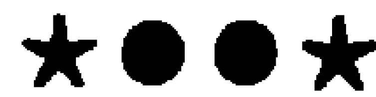
وقبل أن أختم هذه الانطباعات التى جادت بها أخيرا ذاكرتى « استرجاعا واستذكارا » ، أتقدم بخالص الشكر الى أخى الأستاذ على بشير الذى دفعنى لكتابة هذا المقال عن حارتنا بكل حرارة ، وبكل حماس ، لأكمل ما بدأه أخى سعود الحجام فى مقاله الذى نشره فى « ملحق الأربعاء » كما أشكر أيضا صاحب الفضل الكبير على خالى حسن دبور الذى ربانى وعلمنى ويسر لى سبل الحياة الكريمة ، كما اترحم على جدتى من الأم والتى شاركت الى حد كبير فى هذه التربية حينما اغدقت على بوابل عطفها ، وحنانها بعد أن فقدت والدتى وأنا فى سن لا تتجاوز ثلاث سنوات ، كما اترحم على والدتى ووالدى يرحمهما الله ، كما أننى أترحم على آثارنا التاريخية من مبان وعمران التى كانت مشيدة فى حارتنا التاجورى ابان طفولتنا فلقد طمستها أيدى الحضارة المتقدمة من المبانى ، والعمران ، فلا أكاد أعرفها ولا أعرف حتى شارعا واحداً منها بعد أن فارقت الحياة ، وأصبحت حارة التاجورى اليوم منطقة كبرى يسكنها عدد كبير من السكان وفيها من الميادين الجميلة والشوارع الواسعة ، والسكان غير السكان ، والشوارع غير الشوارع ، ولا أدرى اذا كانت تحتفظ باسمها التاريخى القديم «حارة التاجورى» فأرجو من احد أبنائها المقيمين فى المدينة المنورة أن يذكر شيئا عن ذلك ٠ والله ولى التوفيق ٠ ».

يحيى توفيق
بين الابداع والرؤية النقدية (★)

الوشيجة التى تربطنى بالشاعر المبدع يحيى توفيق لا تقل شأنا عن اعجابى به أديبا مبدعا أثرى حركة الأدب السعودى بقصائده الشعرية التى تنوء بصدق الاحساس والمشاعر · ونضج التجربة ورقة الكلمات · وجمال الايقاع والتعبير ·

وأحس وأنا اقرأ قصائده معانى الصور الجمالية التى تشرق فى ذهنى بتلك المتعة الغريبة التى أستشعرها عندما أسمع شعرا بهذا الجمال ·

وأحس به فى قصيدة « سمراء » التى تغنى بها الشعراء قبل عامة الناس ، وأصبحت تردد فى كل مناسبة ، يكون الطرب سيدها ··



وارتبطت باسم الشاعر بالرغم من أنه أجاد فى العديد من القصائد الشعرية الأخرى التى لاقت استحسانا وقبولا لدى النقاد المتخصصين ، وأصبحت قصيدة « سمراء » فى رأى هؤلاء النقاد « بيت القصيد » الذى اشتهر به الشاعر ، بالرغم من أن هذه القصيدة تضمنت الديوان الثانى الذى صدر له ، ويأتى ترتيبها بعد « أودية الضياع » ويتبعها « وافترقنا يا زمن » و « ما بعد الرحيل » ·

(★) مجلة اقرأ ، العدد « ٨٢٩ » ــ ١٤١٢/٢/١٩ هـ · والعدد « ٨٣٠ » ــ ١٤١٢/٢/٢٦ هـ ·

وأزعم اذا قلت أن الشاعر بالرغم من أنه فخور بهذه القصيدة ٠٠ الا أنه متضايق الى أبعد الحدود بأن يكون سجينا فى خنـدقها ٠٠ اذ أصبحت تشكل له الرئة أو المتنفس الوحيد الذى يطل منه على نافـذة المجتمع ، ويرجع ذلك الى أن الشاعر لم يتوقف نبض العطاء عنده على تلك التجربة الشعرية التى ظهرت فى بدايته الأولى للشعر ـ اذا جـاز التعبير ـ بل أخذ يصوغ تجارب شعرية أخرى تميزت بالنضوج الفكرى، والثقافى ، وأصبحت فى عالم الأدب نموذجا حيويا مشرفا يستحـق الوقوف منه دراسة وتحليلا واستنتاجا ، وهـذه مسئولية النقـاد المتخصصين •

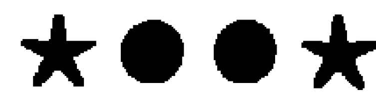
والذى يتأمل معظم القصائد التى كتبها الشاعر بين المرحلة الأولى فى حياته الشعرية التى تعد الارهاصات فى اكتشاف موهبته وبين الفترة الآنية ، يلاحظ ان ثمة انطلاقات فكرية ناضجة تفتقت من ذهن الشاعر تنم عن ثقافة وسعة اطلاع ، ونمو فى حركة التجربة الشعرية المتجددة ، والتى يوسمها النقاد بـ « الابداعية » والتى تعكس قدرة الشاعر عـلى الحركة « الدينامية » نحو التجديد ، والانتكار فى تقديم الصور الفنية الجيدة فى أشكال متنوعة ومختلفة يطوعها ويوظفها الشاعر لأغراضه الشعرية ، ويحولها الى صور فنية تجسد التجربة أو اللحظة الشعورية التى يعيشها الشاعر ، وقد أشار « كروتشه » الى أهمية الصورة فى القصيدة الشعرية فقال : «فسيان اذن أن نعد الفن مضمونا أو صـورة شريطة أو يكون من المفهوم دائما أن المضمون قد برز فى صورة وان الصورة ممثلة بالمضمون أى أن الشعور هو الشعر المصور وان الصورة هى الصورة المشعور بها » •

والذى يتأمل اللغة ، والأسلوب اللذين كتب بهما الشـاعر يحيى توفيق قصائده الشعرية فى آخر ديوان صدر له « وما بعد الرحيل » والذى لا يسع الوقت فى عرض نماذجه والاستشهاد بها كوثيقة تدعم التطور الفنى الذى خرج به الشاعر ، والذى تمثل فى تلك النماذج الشعرية المنشورة فى ذلك الديوان ، والتى نلاحظ عليها ملامح هذا التطور فى اللغة والأسلوب اللذين نهج بهما الشاعر والذى يبدو جليا ، وواضحا فى نصوصه الشعرية ، فاذا أراد أحد النقاد أن يسبر أغوار هذه النصوص فانه بلا شك يكتشف كيف استطاع الشاعر أن يطوع ويوظف اللغة فى يديه، وانه أى الشاعر قادر على أن يحملها الصور الفنية النابضة ٠٠ وهى موسيقاه وألوانه ، ومادته الخام التى يخلق منها كائنا ينبض بالحياة ، والحركة ، وتحمل من الملامح ، والسمات ما يميزه عن غيره من الكائنات الأخرى ٠٠ فاللغة كما يعبر عنها النقاد تصبح فى يد الشاعر أو الكاتب قادرة على أن تحمل صورة نابضة حية •

ولقد التزم الشاعر يحيى توفيق بالقصيدة العمودية ، وحافظ على الأوزان العروضية ، وعددها ستة عشر وزنا بحيث نراه فى كل قصيدة من قصائده بوزن موسيقى واحد ، لا يتجاوزه من أول بيت فى القصيدة الى آخر بيت فيها ، كما التزم بقافية موحدة فى القصيدة كلها ، وكان بودى أن استعرض نماذج لها تطبيقية الا أن المساحة المقررة لزاويتى الأسبوعية لا تتجاوز عن الصفحة الواحدة كما حددها رئيس تحرير هذه المجلة ، وفى الوقت نفسه اننى أكتب هنا مقالا بعيدا عن الدراسات الأدبية النقدية التى لها متخصصون ·

وعلى ذكر التخصص فان الساحة الأدبية فى المملكة العربية السعودية تعانى من غياب كلى لهذا التخصص الذى أصبح شبه معدوم ، وان وجد فانه يحسب على عدد الأصابع ، وينفرد بدراسات لنصوص أدبية مرتبطة بنفس المدرسة الفكرية للناقد ، وما عدا ذلك لا يدخل فى باب اهتمام هؤلاء النقاد المؤهلين علميا بحكم التخصص ·

وأصبح النقد بعد ذلك يطرقه أى فرد غير متخصص وظلت أبوابه مفتوحة على مصراعيها دون أن تكون هناك ضوابط نقدية تحكم حركة النقد ، وخرج من هذه الأبواب ادعياء يمارسون أسلوب الاضطهاد الفكرى ، وأسلوب التجريح والتشهير ويعتبرونه الأسلوب الأمثل لنقد الأعمال الأدبية ، والفكرية ، وطلع علينا من هؤلاء من ينصبون انفسهم قضاة للفكر ، والأدب ·



واننى اتفق مع الصديق الشاعر أحمد سويلم « ان الساحة الأدبية تعانى من غياب النقد الموضوعى الذى يقوم بمهمته فى طرح الأعمال الأدبية على المتلقى من خلال قنواته التفسيرية والتحليلية المختلفة ·· وما يوجد اليوم لا يعدو كونه انطباعات أو آراء غير موضوعية أو مجاملات لا تمت الى النقد العلمى بصلة » ·

وأقف مع الكاتب والأديب فتحى غانم ولكن « بتحفظ ايديولوجى » أنه يتعين على الناقد الأدبى أن تكون له رؤية نقدية ، وفلسفة نظرية فى النقد ، فالقدرة على النقد هى قدرة على تفسير ابداع الآخرين ورؤيته بوجهة نظر جديدة ·

والنقاد المتخصصون فى بلادنا فى النقد الأدبى ، والذين قدمـــوا العديد من الدراسات النقدية الأدبية الأكاديميـــة على نصـــوص أدبيـــة مختارة ، أستخدموا منهج الغرب فى هذه الدراسات ، الذى يقوم على فلسفة النظرية دون أن يأخذوا فى اعتباراتهم اختلاف البيئة الثقافية ، والاجتماعية والسياسية ٠٠ وهكذا دواليك ٠٠ ونحن لا نعترض عـلى استخدام هذا النهج الذى يقوم على فلسفة النظرية ، بل بالعكس نطـالب به ، ولكن بحذر شديد ، وبتركيز على تلك الفوارق البيئية لأخذها فى الاعتبار ، وضمن الاطار الذى يتفق مع بيئتنا الفـكرية ، والثقـافية ، وقيمنا الاجتماعية ، والسياسية ، والدينية وغيرها ، وعلينا أن نطوع هذه المناهج العلمية ونوظفها فى خدمة تطوير الحركة الأدبية والفكرية فى بلادنا لتكون نواة لدراسة نقدية أدبية نخرج منها بـ « منهج علمى » من داخل بيئتنا المحلية ، وأعنى بذلك أن يأتى دور نقادنا المحليين المؤهلين علميا والذين برزوا فى الساحة الأدبية والفكرية بما قدموه من دراسات علمية فى هذا المجال ، وأن يصلوا بها الى درجة انهم استطاعوا أن يخلقوا لأنفسهم مصطلحات وأدوات نقدية خاصة بهم ، وأفلحـــوا أن يوظفوها ويطوعوها فى العديد من الدراسات النقدية التطبيقية عـلى النصوص الأدبية المختارة ،وذلك بالاستعانة بالمناهج العلمية الغربية ٠٠ وما دام هؤلاء النقاد مبدعين ومبتكرين الى درجة التأهل العلمى ، فاننا نطالبهم أن يطوروا هذه الدراسات ليحررونا من ربقـة المناهج النقـدية الغربية ، ويخرجوا بنا الى منهج علمى عربى يقوم على فلسفة نظرية من تراثنا العربى ، والثقافى والفكرى يكون مصدرها الفكرى والعلمى عالما عربيا يرتقى فكريا الى درجة الفيلسوف ، والمفكر العالمى ، وتكون لهذه النظرية درجتها العلمية التى تؤهلها أن تصبح سجلا مشرفا لعالمنـــا العربى فكريا ، وحضاريا وهذا بالتالى يؤدى الى عدم اعتمادنا الكلى على النظريات الغربية التى انقرضت فى بيئتها ما يربو على نصف قرن والتى أصبحت غير قادرة على استيعاب التقدم الفكرى والحضارى فى الغرب ٠

وأرجو أن لا يستغل تأخرنا الحضارى فى تطبيق مثل هذه النظريات التى أصبحت تلاقى ترحيبا وتعظيما ، واجـــلالا وتقديـــراً من بعض الاكاديميين المتخصصين ، ومن بعض رجال الفكر ، والأدب فى بلادنـــا والذين انغمسوا فيها الى درجة التعصب ، وأخذوا يحاربون أصحاب المناهج الأدبية الأخرى التى لا تسير فى ركابها ، وانعدمت روح التعددية المنهجية ، وأرجو أن لا يفسر كلامى هذا بالانغلاق الفكرى على حضارة الغرب ، وعدم الانفتاح على مناهج الغرب المعتدلة ، فأنا أحد الدارسين

فى الغرب ولكننى ضد التعصب لمنهج فكرى معين ، وضد أيضا الذين لا يتفاعلون مع التعددية الفكرية ويرفضون التعامل معها ، فالشىء الذى أريده أن يتحقق أن نستفيد من المناهج الفكرية الغربية بما نراه يتوافق ، ويتلاءم مع أيديولوجيتنا الفكرية ، ولا يصطدم معها ولا يتعارض مع عقائدنا الدينية ، وقيمنا الأخلاقية ، وهكذا دواليك ٠

والخلاصة ٠٠ أن الدعوة الموجهة للنقاد المتخصصين أن تجردوا من أنانية الفكر والتعصب للمعتقدات الفكرية التى يؤمنون بها ، وان يحاربوا بقدر الامكان أن تكون دراساتهم العلمية النقدية « تجريدية » وشمولية بحيث يستفيد منها كل الأدباء سواء التراثيون أو المعاصرون وان يكون الهدف من هذه الدراسات خدمة الحركة الأدبية والفكرية ، وتطويرها بما يتفق وأصولنا وقواعدنا الدينية والعقائدية ، ولا أعتقد بعد أن قطعنا هذا الشوط من التعليم ، والفكر الحضارى ، أن لا نتجاوب مع حضارة الغرب ونتفاعل معها بشرط أن لا تمس قيمنا العقائدية الدينية ، والحضارية وغيرها ٠

ويبدو أن موضوع الدراسة النقدية الأدبية المتخصصة وما جرنا الحديث اليها أنسانى ذلك الشاعر المبدع يحيى توفيق الذى أعتبره الجواد الرابح فى هذا المقال والذى أتشرف بالكتابة عنه وأدعو النقاد والمتخصصين أن يقدموا عنه دراسة مستوفية ومستقطبة ٠

وأقول مرة أخرى أن الشاعر يحيى توفيق قد استطاع أن يطور فى شعره المضامين الفكرية والقضايا المتعددة التى ضمنها شعره وبنفس القيمة الفنية التى طور بها أشكال شعره ، واستطاع أن يخلق معادلة متوازنة بين الشكل والمضمون وهذه احدى المميزات الابداعية فى شعره التى تحسب له ، وكان هذا واضحا وبارزا فى قصائده الشعرية التى تعددت فى مناسباتها ، وقضياها واذا نظرنا الى القصائد الشعرية التى نشرت له فى الصحف ، وفى الدواوين الشعرية بدءا من المولود البكر ونهاية بآخر ديوان أصدره ، فاننا نلاحظ أن قصائده الشعرية خضعت من حيث الاغراض لاعتبارات معينة منها ضرورة مواكبة الأحداث الجارية ، وخاصة الداخلية منها ، واذكاء الشعور الدينى ، والقومى ومتابعة القضايا والهموم التى تشغل الساحة العربية ، بالاضافة الى شعر العاطفة والمناسبات ، والشعر السياسى ، والاجتماعى والاخوانيات ، والشعر الوجدانى ووصف الطبيعة « والشعر الفكاهى » الذى لم ينشره فى دواوينه أو حتى فى الصحف ، بل ظل يحتفظ به ، ولا يجاهر به الا فى مناسبات خصوصية ومع أقرب الأصدقاء ٠

وختاما أتمنى للشاعر المبدع يحيى توفيق دوام التوفيق والازدهار في حركته الشعرية ، وأكرر رجائي أن يتقدم أحد النقاد المتخصصين بدراسة نقدية على نصوص هذا الشاعر المبدع ليعرفنا بجواهره الابداعية ٠٠ وانا منتظرون ٠٠ والله تعالى ولى التوفيق ٠

★★★

المراجع :

١ ـ كروتشه ، بندتو ، المجمل في فلسفة الفن ، ترجمة محمد سامى الدروبى (القاهرة ، ر٠ن) ١٩٤٧ م ، ص ٦٦ ٠

٢ ـ راجع محمد زكى العشماوى ، قضايا النقد والبلاغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م ، ص ٣١ ٠

٣ ـ راجع عكاظ ، العدد (٩١٥١) ، صفر ١٤١٢ هـ ، ص ٢٦ ٠

٤ ـ المرجع نفسه ص ٢٦ ٠

صراع الحيـــاة

بقلم : د ٠ غازى زين عوض الله

صراع الحياة

مقـــدمة :

تتجلى واقعية صراع الحياة ، فى استعراضها لعدد من القضايا الاجتماعية التى تناولها المؤلف فى رشاقة الشاعر حين يصدق انفعاله فى تلاقيه مع القيم ومع التقاليد ، ودفعه لها لتعاصر واقع الحيـاة على مشارف القرن الحادى والعشرين ، فهو يتعرض لقضايا الحب ولكـن حين يتعفف عن الزلل أو الاندفاع ، أو النزق ، وكأمل قول بطل القصة سمير حين يخاطب زوجته ندى ..

ـ وهل يؤذى المحب حبيبـــه ؟ .

ثم تأمل حديث الأب وهـــو على فراش الموت مخاطبا ابنتـه سعاد :

حبك لكامل زميل سمير ، وحبه لك كان تجاوزاً من أسر ظنـــون الماضى الى رحاب المستقبل ، فتعلقت بأهداب الأمل وباركت تتويج حبكما بالزواج ..

وتتأكد وجهة نظر الكاتب فى رؤيته النقية لمشروعية هذه العلاقات ما دامت تروم السياج الشرعى الأمين فى الزواج .. فى المشهد الأخير، بالفصل الأخير .. حين يمضى أسامة مع ابنة خاله سعاد الصغيـر بكثب من الأسرة فى فندق البحر الأحمر حقا انه شاعر يغنى للحب ، على قيثارة من النغم اللغوى الذى يفصح عن تمكنه من اللغة ، ويؤكد شاعرية العربية على نحو مبين ..

وكانت ذروة فهمه الدرامى للبناء القصصى المتوائم مع موضوع قصته ، فى تصويره لموت الأب « رشيد » فى حين يصل ابنه سمير ليعلن ميلاد رشيد الصغير الموت والحياة .. فى موقف واحد رفيق وبسيط ، وهذا هو الفن الأصيل .

وبعد ٠٠ فقد كانت هذه المحاولة الأولى للكاتب السعودى غازى عوض الله ومن ثم فسوف نتجاوز عن بعض الهنات الفنية ، ونحن على يقين من أنه بحسه الفنى المدرب سيتجاوزها فى أعماله القادمة ، التى ننتظرها بشوق كبير ٠٠

سمير ندا

الفصل الأول

كأنى لم أتغيب أكثر من يوم ٠٠

لذوعة اليود ممتزجة بملح البحر وكثافة الهواء وغموض اسرار الليالى الخوالى تتداعى فى وجيب الضياء يهدهد منافسة الظلمة السادرة وضمخ خطواتى الأولى عبير الذكريات تخالطها حرقة أيام الوداع ، ولوعة الوحشة ، والسيارة تتجاوز مستشفى ادريس الى الميدان ٠

وتفصح اضواؤه عن لافتة وزارة الخارجية ، وتعانق هامة مبنى عال لافتة فندق ناشيونال خضراء بلون الراية ، المتهادية بأعز الذكريات تضم أعماق الماضى الى حضن خاضرك فى ابنك أسامة ، ورفيق العمل كامل يقود السيارة على مهل وماضيا الى باب مكة ٠٠ وتفلت من عينى شجون عبرات ملتاعة ، تتجاوز صمت الليل ، فيختلج أسامة فى تشاغط عينيه على حجرى كلما اختلجت وتهدأ السيارة وتتطامن كلمات :

ـ أحسبه مشوق لرؤية حفيده ورؤيتك وتلدغنى الدموع اكثر فيواصل حديثه ٠

ـ بعد تهاويل خيالات عصر متقدم ٠

وتوشك السيارة فى التوقف تماما ، ويمد يده مربتا ، فأخشى عيون الليل المتوصدة لكن مخاوف مقاوم الأحزان تبدد خشيتى فأوسد رأس صدره الحانى ٠٠ وتلفحني همساته :

ـ جففى دموعك يا سعاد ٠٠

وأحس باختلاجات نشيجى ، ويتململ أسامة ، هل البرقية كانت تضم أشواق الحنين ، أم آلام قرب فراق آخر يدمى القلب من جديد ٠٠ ويتواصل همسى :

ـ ستوقظين الولد ٠

وأبذل غاية الجهد فى التملك ، وصدرى يحتبس أحزانا تروم

متنفسا فى هذا النشيج ·· ولكننى أتماسك ، وتسرع السيارة قليلا ، فألمح مبنى الباروم الى يمينى ، وتتبادر رائحة المنزل فى منعطف الشارع الجانبى المواجه تقريبا لفندق آسيا ··

أتسمع عبر الليل الساجى ما يطعن البال أو حتى يصفع العين تلك الثوانى المتباطئة فى عناد وصدود ·· عن المضى الى هيئة لاحقة أضم أسامة بقوة ·

ويتسارع بى الخطو الى حضن الذكريات القديمة وطفولة الآلام ··

الفصل الثانى

وعندما اجتذبنى سحر الحرف ، وربتت منيرة خالتى على كتفى وقالت :

ـ اشتركى معهم فى المجموعة ··

وقال والدى :

ـ المنزل والزواج والعيال مصيرها ، فلم التعليم ؟ ·

تنهدت خالتى ، فقالت زوجته :

ـ فليترك سمير فى مجموعة الدرس لتقويته ·

وجذبت ابنها برفق ، ونظرت الى والدى تسأله الموافقة ·

أسدلت خالتى العباءة على وجهها :

ـ جئت من أجل سعاد للتعلم مع بنات خالتها ··

وضاقت عينا زوجة أبى · وانطلق صوتها كالفحيح :

ـ لو كان سمير ابن أختك لاختلف الأمر ثم نهضت كى تنهى اللقاء وحار والدى ودنا سمير منى فلامستنى آثار كراهية ·

ومرت فى جسدى ، عشق ·· والتهبت وجنتاى ، بالخجل والمرارة ، ومرقت الى غرفتى فطامنتنى صورة أمى تضمنى عيناها بالحنان · عيناها النضاحتان بحزم مكتوم دوامتان تجذبان وجودى الى أعماق وجودها الذى ثوى فى محيط الصوت الرهيب ·

ـ أوصيك بسعاد ··

ويجفف الدمعتين المتجافيتين اللتين ارتسمتا على وجهه منذ وعيت

الحياة واتصل الوهن بصوتها الذى طالما أحببته وهى تردد الاهازيج فى الحمام ، تنضى عنى ثيابى ، وتسكب الماء على جسدى ، فانتعش ، فاذا مالامس الصابون عينى أحسست بلهيب فيهما ، فأبكى فتهون الأمر على فتغنى بعروسها الحسناء مع اننى لم أكن بعد قد تجاوزت الخامسة . وأتشمم زخمة الماء ··

ويلفنى ضباب الغيب ويكتسح السواد ثياب الأهل والجيران ، وخالتى تخيط ثيابا بيضاء ، أعمها من مزجة أمواج السواد بعد قليل ، وقد ارتدتها أمى التى حملها والدى ·· دون أن تتكلم ، ودون أن تقول مرة أخرى :

ـ أوصيك بسعاد ·

لكن عينيه فى هذه المرة كانتا تضمان حنانا بدموع غـزيرة ، كستهما حمرة قانية واعتراهما انتفاخ غريب ·· وتركت الكل الى غرفتى لكنها لم تكن هناك ·· آثار جسدها منطبعة على الفراش ، فى تجويف بالطريحة القطنية ، أما الملاءة فقد انسدلت فوق النعش الذى رأيته من شرفتها ، يحف به الأهل ·· وتلف الأحزان البيت ·· فتسحبنى خالتى ، أسألها عن أمى ، تبكى ، ولا أفهم لماذا تبكى ·· مادمنا سنلتقى بها ذات يوم ، كما أخبرونى وفى الحمام ، أغتسل ·· مع بنات خالتى ·· لكنها لا تغنى للعروس كما كانت تفعل أمى ·· التى لفها الصمت فى اطار صورتها المتروكة على منضدة ملاصقة لفراشى ، ووالدى يعاتب زوجته لموقفها من خالتى ويثور الخلاف فأرتجف ، ويعلو صوتها ، فتغمرنى كراهيته لى ، وارتجف التمس الدفء من أمى لكن صورتها تجمدت ، وانبعث من داخل اطارها تيار من الزمهرير ·· فتجاوز بى حدود الدفء الى لهيب الجحيم ومع ذلك ارتجف ··

ولاح لى الكفن الأبيض والنعش : وغياب الصوت ··

أتحامل ، أدفع خطواتى أرتمى على الباب ، أسمع دويا يتلاشى فى طنين عميق ·· كداومتى عينى أمى ·· التى تنهض من الفـراش لتحملنى وتعاتب والدى ·· ويرعد صوته :

ـ انها كاذبة ··

ويستبدل الانفعـال بصوتها :

ـ البنت مريضة ·

ويبدو الضجر فى ثنايا صوته :

ـ سأعرضها على الطبيب فى الصباح ··
ويتحول انفعال صوتها الى دمدمة غاضبة :

ـ الحمى لا ترحم ، والانتظار جريمة ، والبنت ضعيفة لن تتحمل· وفى عنف انها ابنتى ، وأنا حر فيما أفعله ، ويبلـغ اعتراضهـا حد الصراخ :

ـ وهى ابنـة أخى ، ولن أسـمح لك بقتلهـا وفتحت عينى فاذا بخالتى تضمنى الى صدرها ، وقد اربد وجهها بالغضب ··

حاولت أن أتكلم لكن حلقى التهب ، وشفتاى حرقهما الجفاف وعيناى مثلتان بوخز كوخز الابر المغموسة فى نار الجحيم ولم تكن أمى تستطيع أن تعترض ارادته كما فعلت خالتى الى هذا الحد ، كـان يهددها دائما بعجزها عن انجاب ولد :

ـ لو كنا فى الجاهلية لوادتها ، وملأ فمها الرمل والحصى ، والحجر ولكن خالتى أصدته ··

ـ لن تتحمل البنت يوما ثالثا ، حسبها من عذاب الحمى اهمالك يومين لها ·· ويرجفنى صوت كراهية زوجته المعدنى الحلقى البارد ·

ـ لم نهملها أعطيتها أقراص الاسبرين ، وأقداح الشاى وارتفعت من فوق الفراش ، رأيت صورة أمى مستقرة تحت المنضدة ، ثم تتباعد عنى صورتها ، وخالتى تحسم الموقف :

ـ سانتظرك ، فى السيارة ، فالحق بى ان شئت · وتتابعت صور أبى وزوجته وسمير يبكى ، وتكاثرت الصور والأفواه والعيون ·· ولم ادر بشىء ولم أعد أسـمع كلمـة واحـدة ·· لفنى الطـنين واللبنب فاستسلمت وغبت عن الوعى حتى لا أرى شيئا ولا أبكى ولا احترق ··

وشفيت ، وعندما انتقلت خالتى الى « عنيكش » ، جافانى نبـع الحنان الباقى ، حاولت الوصول اليها ذات يوم فتاهت الى خطـواتى ، حين لفنى الماء بالقربة وبكيت وأعادنى مطوع الى منزلى ، كنت أبكى من الخوف عليه لمزة النـدم ··

وأضم أسامة الى صدرى ، وأنا أصعد الدرج ، فأشم رائحـة الزمن ··

الفصل الثالث

ـ يطالعنى سمير شاحب الوجه ، غائر العينين ، غير حالـــق الذقن ، مضطرب الأعماق ، لفافة التبغ ترتعش بين اصبعيه ٠٠

وأمه مكدودة تلمع عيناها بعرفان الجميل ورائحة غريبة فى المنزل لعلها رائحة العقاقير التى يتناولها والدى ٠٠

يتعانق سمير وزوجى كامل ٠٠ وتحمل الأم أسامة فى حنـــــان تصادرت عنه فى أيام جفاف الغيرة ومواصف العناد ، حتى استعادها الحب ألى مراقى الوفاء ٠٠ فتضم أسامة كحفيدها وتقبله وتلتهم وجنتيه متمتمة :

ـ خشيت عليكم مخاطر الطريق ٠

وتعاودنى ذكريات حنان أمى دانية ٠٠ ثم ما تلبث أن تتدفق فى مشاعر أم سمير ٠٠ الذى تعود عليها ، وانست وحشتى قبل سنين ٠٠ ويهمس سمير ٠٠

ـ انتظروا قليلا حتى يغادره الطبيب ٠٠

وتجمعنا غرفة الجلوس ويشعل سمير لفافة تبغ جديدة ، ينفث دخانها متوترا :

ـ معذرة يا كامل لازعاجكم بهذه البرقية ، كنت انفذ رغبته التى أحسبها الأخيرة ٠٠

ـ ويعتصرنى الحزن بقسوة ، ان الأمر خطير اذن ، ويلهو أسامة ٠٠٠ ويسأل عن جده فيطامنه كامل ٠٠ ويبتسم سمير ٠٠ ويقول بصوت مختنق بالعبرات ٠٠٠

ـ كان شغوفا برؤيته ، بقدر لهفته على رؤية ابنى ٠٠ وتذكرت ندى زوجته ٠٠ أسأله فيجيب :

ـ مقيمة بمستشفى دار الشفا تنتظر مولودها ٠٠ منـــذ يومين واستجبت لنصيحة الاطباء فلم أخبرها بما تحس به الآن من الألم ٠

ـ نفسي حنانه القديم ٠٠٠٠

ـ موعد الدواء يا سعاد ٠

ـ وفوجئت به ساهراً فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وقال بصوته الهادىء الحانى فى نقاء انسام الازهار على مشارف عطـــر القناجى برب البيت العتيق ...

ـ لم انم يا سعاد ، وظللت انظر الى ساعتى بعد أخرى حتى حان موعد الدواء فحضرت ...

ـ كنت قد شارفت على الشفاء فاستعادنى والدى من بنت خالتى ولم يتركنى سمير فريسة لوحشة الفراغ ، ولا نهبا للقلق أو الألم .. احضر عدداً من القصص المبسطة وراح يقرأ لى ليلة واحدة ، ويسألنى ما فهمته ، فأعيد على مسامعه ما قرأ .. وأحس بسحر الحرف يشدنى فاحضر اقلاما وجمع صفحات من الورق .. وبدأت أفك طلاسم السحر، وتغمرنى نشوة المعرفة فأنطلق .. وأنطلق ..

ويبتسم فى حنان طفولى برىء ، ويلازم خطوى ...

يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .. حتى تجـاوزنا أيام الطفولة ، وشارفنا عتبة الشباب .. وتكشفت الحقيقة لوالدى ، وكان الزمن تدابر بقسوة زوجته ، فلم يطل النقاش فى أمر تعليمى ، فى حين كان سمير يمضى سنته النهائية الثانوية .. بينما تفتحت أمام عينى كنوز العلـم وتلاقيت مع دنيا غير الدنيا .. مع زميلات وعلاقات وفكر وكتب ..

ورافقنى فى هذه التجربة .. فلم تدهمنى مفاجأة مواجهة هـذه الدنيا الجديدة ، فأتعثر أو أتوه أو حتى اضطرب ...

الفصل الرابع

التحقت بالجامعة ، فضل سمير ، رفيق خطوى على مفترق الطرق ثم لم ينس عاداته معى كلما عاد فى زيارة لنا ، يصطحبنى ويجمعنـا حوار طويل ...

تبتسم زميلتى ندى حين تلقانا ذات يوم أمام جامعة الملك عبد العزيز فتطرق وتبتسم .. يسألنى سمير فى حرج :

ـ زميلتك ؟ .

فاقول :

ـ .. واسمها نـــدى .

يسعل مواريا اضطرابه ويهمس :

ـ اسم طيب ٠

وأجلس بجواره فى السيارة لأول مرة :

ـ وهى أجمل وأطيب ٠

وتنبه الى جلوسى بجواره ، وتلفت فى تردد وحذر ، وقـــال :

ـ لماذا لا تجلسين بالمقعد الخلفى ؟ ٠

قلت :

ـ لنتحدث دون أن نرفع أصواتنا طلبا للستر والكتمان ، ضحـك سمير يومئذ وسأل :

ـ هل نسيت اننا هنا ؟ ٠

قلت :

ـ لم أنس اننى أختك حتى هنا فمن ذا الذى يعترض ؟ ٠٠

وأطلق تنهيدة كالمستسـلم :

ـ لا أحد ٠٠ أعتقد لا أحد ، يبدو أن علوم التربية وعلم النفس ستحدث آثارها على عجل ٠٠

وحينما التقيت بندى قلت لها ٠٠

ـ أعظـــم المعجبين بك واحـد ٠

فضجت وجنتاها بحمرة الخجل :

ـ انضم الى والدى اذن ٠٠

ثم واصلت :

ـ هل انهى دراسته ؟ ٠

واحسست أن الاعجاب متصل ، فهزنى الفرح ،

وقلت :

ـ هو الآن مهندس فى مشروع حكومى بأبها ٠٠

وكان سمير قد أخبرنى ذات يوم قريب وأنا أودعه حين تأهـــب للسفر :

ـ أبها ، هى الصراع الحقيقى مع الزمن لنلحق بالغـد المنتظـــر وقالت ندى ، ونحن نمضى الى قاعة المحاضرات على مهل :

– يقال اننا من قبيلة قحطانية سكنت أبها منذ زمن ·· وداعبتها :

– يالحسن الصدف ·

أطرقت ، فهمت ما عنيته فاطرقت ، والحياء يغمر وجهها ·، لكنها ابتسمت وسارعت الخطو الى القاعة ·

وراح الدكتور يلقى المحاضرة ···

وقال سمير :

– خرج الدكتور يا سعاد ···

وأفقت من سرحة الذكرى بطيوفها الوردية الى المحـاضر المثقــل بنذر الخطر ···

ضم والدى أسامة ، لكن ساعده وهن ، ونال من وجهه النحول · ومازجته صفرة ، وخالطت صوته رعشة ، وتهدج صدره بالشجن ···

وجلسنا اليه ، واعتصرنى الوجل ، وسمعت رنين جرس التليفون فمضى سمير ·· وعاد وقد هدأ الاضطراب والقــلق وانحنى مقبــلا جبين والدنا ، وهمس لى فى بحة – حزينة ندى مصابة بنزيف · جديد وعادها الخطر ···

وأحسست بحيرته ، وتوزعه بين الحاضر وماض عزيز تراه امامنا يحتضر ··

وندى ، نسمة الحب المنداه بالوفاء وأعز الذكريات وطيوف الأمل فهل ينتصر عليها الخطر ؟ ··

الفصل الخامس

وطلبت من كامل أن يتوجه الى مستشفى دار الشــفا للاطمئنان على سمير وندى وبقيت بجوار والدى ، وزوجته التى ضمت أسامـــة الى صدرها فما لبث أن أغفى فوضعته بجوار جده ، الذى انتبه ، فربت عليه وباركه ··

وراح يتلو آيات من القرآن لتحفظه ، ونظر الى فى رجاء بالغ حد التوسل وسأل :

– استحلفك بابنك وابيك ، أن تحيطينى بأخبار ندى ···

وترددت بين الحقيقة وآلامها ، وهو على شفا هاويــة من فراق منتظر ··

قلت :

ـ ادع لها بالنجاة ، ونجاة وليدها المتقب وراح يتمتم وهمس فى حشرجة :

ـ ليتنى أعيش لأراه ، فندى عزيزة أثيرة ووليدها يحمل بضعة من دم أبيك ، كدت أبكى ، وارتعش على صدره ، فالطبيب استسلم لليأس ، وطلب الينا الاستعداد لمواجهة أمر الفراق ، هكذا فهمت ، وان لم يبح لى بذلك أحد ٠

وازداد تهدجه ، وتضاعفت حشرجته فطلب الينا نقل أسامة الى غرفتى التى لم يقربها غير سمير وندى كلما عاد الى جده ٠٠

حملته ومضيت به الى فراشى القديم واضأت الاباجورة المستقرة على المنضدة الصغيرة الملاصقة للفراش وطالعتنى صورة أمى الراحلة ٠٠

بدا العبوس عليها ، وان كنت قد لمحت فوق شفتيها معالم ابتسامة لم تخل من عذوبة الوفاء والأمل ، ومضت عيناها ببريق غريب لم أفهمه ٠٠

ودق جرس التليفون وكان المتحدث كامل :

ـ الحالة حرجة يا سعاد ، ابرة الجولوكوز مثبتة فى يدها ، وصلتها بالهواء انبوبة أوكسوجين ٠٠

والأطباء يحيطون بها ، لكن أحدهم ، طامننا الى حد ما ٠٠ منذ قليل وطلبت منه البقاء بجوار سمير ٠٠

ما أشقانى بهذه التجربة ، هل قدر لى العذاب منذ الصغر ؟٠٠

حتى فى اللحظة التى كنا نرقب تجسد حلم سمير ، وتحقيق أمل الوالد الكهل الماضى الى رحاب الغيب ، يمزقنى الألم ٠٠٠

وندى ٠٠ رفيقة الدرب فى الجامعة ، هل تراها قادرة على منح الى فى مقبل الزمن ٠٠٠

قال سمير ذات يوم :

ـ أبها هى الصراع الحقيقى مع الزمن ٠

وقالت ندى :

ـ يقال اننا من قبيلة قحطانية سكنت أبها منذ زمن ٠

وفهمت يومها تواصل الاعجاب ، وفرحت وانتشيت ، ورشحتها له ، حين ثار الحديث عن الزواج ، فأيدنى زوجى كامل ، وكان قد رافقنى فى زيارة لها حين قدمت قبل عامين من المدينة المنورة ··

ودعوتها لزيارتى ولم يعترض والدها فرحبت ندى وتلاقينا ·· وضمنا نقاش ، وفتحت سيل من القيم ···

غمز كامل بعينه مداعبا وهامسا يومئذ :

ــ أحسبنا سنحضر حفل عرسهما ·· قريبا ··

وابتسمت أم سمير واغرورقت عينا والدى من نشوة الفرح ··

ولم تمض شهور ·· حتى رافقت ندى سمير الى حيث تنحدر من قبيلة قحطانية ، حيث تلاقت مع أبناء عمومتها ·

قال سمير :

ــ أقاربها كثيرون ·

فتداعبه :

ــ حتى تفكر أكثر من مرة اذا فكرت فى ايذائى ·

وابتسم فى حنان :

ــ وهل يؤذى المحب حبيبته ؟ ·

وأتدخل فى الحديث :

ــ كفاكما الغزل ــ متى سنرى خليفتكما المنتظر ؟

تطرق ندى فى حياء ، ويندفع سمير فى شوق أبوة حانية ، لمستها فيه وعشتها من قبل معه :

ــ يقول الطبيب بعد سبعة شهور ·

وتمازحه نــــدى :

ــ بل ثمانية ·

فيقول :

ــ الحق أقول لك ، ليتنــا تزوجنــا قبل ذلك ليأتى مولودنا اليوم قبل غــــدا ···

وتغمرنا الآمال والأحلام وطيوف المنى والفرح ·

لكى ندى الآن تعانى آلام المخاض ، على نحــو يهدد حيــاتها ، ليتنى كنت معها ، لكن والدى يحتضر ·

وتصرخ زوجته :

ـ سعاد ·· تعالى بسرعة ·· والدك ينشد رؤيتك فأسرع اليه ببلبلة الخاطر ، مضيعة الخطا ··

فما الذى تحمله الى اللحظة القادمة ·

الفصل السادس

الحب يا سعاد ، طهرنى من قسوتى معك ···

قالها والدى ، وأغمض عينيه ، فمزقتنى اللوعة ·

لكن أنفاسه كانت تتهادى ، وان شابها الاضطراب وأعياها الوهن ، وهممت بالحديث اليه ، لكنه واصل على مهل ،

وقد فتح عينيه :

ـ الحب سكينة الفؤاد ، وملاذ كل الضائعين فى درب الحياة ·

ويبتسم وزوجته تبكى :

ـ لا داعى للبكاء يا أم سمير ··

تجفف دموعها ، فتتسع رغم الشحوب ·

ابتسامته ·· ابتسامته ·

ـ علمنا سمير الحب ، وأعاد الينا صبوات الحنان منذ الصغر ··

فأطرقت أوارى دموعا تسللت من عينى فى غفلة منى فهو يكره البكاء عليه ··

كما أخبرنا ·· اذا وافاه الأجل ··

وحبك لسمير ولنا رغم كل مرارة العذاب الذى سقناه اليك فى غفلة من الوجدان ، جعلنا نطمع فى المغفرة ··

وتدفقت شجونى رغم تحذيراته ···

وراح يلتقط أنفاسه بصعوبة ·· وواصل مغمض العينين ··

ـ وحبك لكامل زميل سمير وحبه لك ، كان تجاوزا عن أمر ظنون الماضى الى رحاب المستقبل ، فتعلقت بأهداب الأمل ·· وباركت تتويج حبكما بالزواج ·· وارتضيت من بعد منطق الحب حتى من قبل ان يقترن سمير بندى ·

وسعل والدى بشدة فطلبت اليه أن يركن للصمت خوفا عليه ، لكنه رفض ٠٠ واصر على مواصلة حديثه ٠

ـ الحب الطاهر النقى الصادق حصن من الاحقاد ومن الزمن ٠٠ ليكن ذلك ، قبس الضياء لاسامة ، وحفيدى المنتظر ٠٠

واستجمع شتات قوته :

ـ وما أخبار ندى ٠٠ ؟ ٠٠

ـ ما اخبار هنيدى يا سعاد ٠٠٠ ؟ ٠

وارتفع رنين جرس الابب فكان ذلك بمثابة مهربى من وطأة الحقيقة التى أعرفها ، وفتحت الباب ٠

كان سمير متهللا ٠٠ استعاد نشوته ومرحه ٠ ونماسكه ٠ وكامل هو الآخر يبتسم ٠٠٠

ـ رزقت بمولود ٠٠٠

وارتفعت صرخة أمه من غرفة والدى :

فابتسم ٠٠ وقال بصوت متداع :

ـ جاءك الحفيد ٠٠ يا أبى ٠٠٠

فابتسم ٠٠ وقال بصوت متداع :

ـ اياكم والبغض والحسد ٠ وليجمعكم الحب على طول المدى ٠٠ وصيتى استودعكم اياها ٠٠ فكونوا أمناء عليها ٠٠

وبكى سمير ٠٠

فربت عليه هل تبكى ٠٠ وقد جاءك الوليد المنتظر ؟٠ وكمن يريد أن يحشد طاقات جديدة من الأمل

هتف سمير :

ـ انه ولد ٠٠ أطلقت عليه اسمك ٠٠

فلم يرد والدى لكنه ابتسم وهدأ صدره تماما ٠٠

وانسدلت جفونه ٠٠٠٠ فى هدوء ٠

وسكن الجسد ٠٠٠

فصل اخير

وفى مشرب فندق البحر الأحمر ٠ ٠تلاقينا ذات صباح بعد فتـرة من الزمن ٠٠ وكانت ندى قد أنجبت بعد ذلك ٠ ابنة اطلقنا اسمى عليها ٠ وبلغت العاشرة من عمرها ٠٠٠

استأذنتنا فى التجول قليلا ٠٠

ولم يلبث أن تبعها أسامة ٠٠ وغمز كامل مداعبا ٠

هل تذكرين حكايتنا يا سعاد ٠ فابتسمت فى نشوة وفرح ٠

ونظر الينا (رشيد) متسائلا فقد كان يشـــعر انه مســئول من شقيقته رغم انه دونهـــا بعامين ٠٠

ولما وجدنى وسمير وندى وكامل نبتسم ٠ تنهد ٠٠ من الأعماق مستسلما ، وأطرق وسكت ٠٠٠٠

فاستغرقنا جميعا فى الضحك ٠٠

وكانت الشمس تتقدم فى مسيرتها الى يوم جديد ٠٠
تضم مياه الخليج المفعم بالحياة ٠
وبالأمل الجديد ٠

وسعاد وأسامة يمضيان أمامنا ٠ والحـــديث بينهما يتدفق فى عطاء لا ينقطـــــع ٠٠٠

بين قديم الأغنية وجديدها وصراع دائم (★)

نحن لا نرفض الجديد أو التطوير للأغنية العربية كلمة ، ولحنا وأداء ٠٠ ولكن بشرط ألا يكون على حساب الأصالة ، والقيم الأخلاقية في الشكل والمضمون ٠٠ ولكن يبدو أن هذه المعايير في جذور الغناء العربي لم تأخذ بشكل اعتباري من قبل الملحنين العرب والمغنين العرب الذين يرفضون التمسك بكل شيء قديم بل يعتبرون الخروج أو التمرد عليه شيئا مألوفا في العصر الحديث وتقضي الضرورة عليه ٠٠ وانطلاقا من هذا المفهوم الخاطيء في تعبير الاغنية العربية الشبابية التي جاءت عن طريق الغزو الغنائي الأوربي اما عن طريق الاستلاب الثقافي ، واما عن طريق التأثر باللون الايقاعي الأوروبي الذي انتشر في أسواقنا وأصبح علامة بارزة فيه ، فكلا الحالين انطبع في نمط الأغنية العربية الشبابية في اللحن الراقص الذي يتحرك دبيبا بالاحذية والصياح الهستيري ، والميوعة الغنائية التي تفسخ الشباب ٠

وفي وسط هذا الضياع الموسيقي والغنائي ـ الذي يعتبر أصالة في جذور الثقافة الأوروبية ـ اندثرت الأغنية العربية الأصيلة لحنا وغناء وأداء ولم نعد نحس بذلك الذوق الرفيع في الكلمة والمعنى ، وفي صوت الموسيقى الشرقية التي تشنف آذاننا وتطربنا شجنا ٠٠ وكم نشعر بالاسى والحزن والضياع أن تتغرب الاغنية ـ وان تختفي الآلات الموسيقية الشرقية لتحل محلها الآلات الغربية وهكذا بالنسبة للحن القديم وغيره ٠٠ ولم يبق سوى الكلمات التي تنتظر دورها لكي تضرب ولكي تسفه حتى تخرج عن المألوف وتتمرد عليه ، وهذا قمة الابداع في نظر الذين يحدثون الأغنية العربية أيديولوجيا وكأنما الخروج عن عادات

(★) جريدة اردنية ملحق الأربعاء ١٨ ربيع الآخر ـ ١٤ أكتوبر ١٩٩٢ م ٠

الاغنية العربية الأصيلة فى تقليد أعمى لصخب الحياة بالنمط الأوروبى هو الآخر قمة ابداعية دسمة حضارية للون الغناء الجديد الذى ابتدعه الغرب وينزع اليه الشباب ، وتحتاجه السوق الشبابية الآن هو غارق فيه ·· وفى رأيى أن وجود هذا المؤشر فى انحطاط مستوى الأغنيــة العربية بالتشكيل الحديث وبالنمط الأوروبى لم يكن تطويراً أو حديثــا بالمفهوم العصرى الحديث ـ بل تغبيبا مقصودا فى غزو فكرى أوروبى يستهدف تنميط الثقافة العربية ، والاسلامية عن طريق الاغنية بالنمط الأوروبى الذى هو نتاج صهيونى ·· وهذا فى حد ذاته يؤدى الى ضياع الهوية العربية الاسلامية عن طريق الاختراق الفكرى والاستلاب لأفكار الشباب الذى يميل الى مثل هذا اللون الغنائى المستورد ، والذى لا طعم فيه ، ولا لون له ·· وكله عبارة عن آلات موسيقية راقصة نافرة مشجعة على الميوعة ، وعلى « التخنيث » وعله التانيث وعلى الخلط بين الجنسين فسيولوجيا وبيولوجيا وسيكولوجيا وهكذا دواليك ·· كما أن هــذا الغزو الغنائى يتمتع بالمهارة الخارقة الذى يخرب الحركة الذهنية للشباب عن طريق الاستقطاب الفكرى الغنائى الى حب الموسيقى الصاخبة ، والى الرقص المائع على انغامها وهذا أدى بالتالى الى ضياع وقت الشباب الذى يقضى الساعات الطوال فى سماع هذه الاغانى الخالصة التى صرفته عن القراءة ، وعن الثقافة التى ينتفع بهـا ·· ولم أكن مبالغـا أو مسرفا فى الحقيقة اذا قلت ان الشباب يصرف المبالغ الخيالية فى شراء أشرطة الكاسيت التى تحتوى على هذه الاغانى الشبابية ، وان فى كل بيت توجد العديد من هذه الأشرطة التى أضحت شيئا عاديا فى مدخرات البيت ، بل انها شيء أساسى وضرورى لا غنى عنه فى حياة شبابنا وأصبح لهذه الأشرطة مكتبة خاصة بها ، الى جانب أفلام الفيديو ، وبلغ أمر الشباب أن يفهرسوا هذه الأشرطة ، وان يضعوا لها أرقامـا خاصة بها ·· ولم يعد كل شاب يستغنى عن كل شريط جديد ينزل فى الأسواق لمطرب شبابى ·· وهكذا نرى غرف الشباب من الجنسين فى البيوت تزدحم بالعدد الهائل من أشرطة الأغانى الشبابية ·· ولا تخلو أية سيارة من الكم الهائل من هذه الأشرطة التى نسمع أغانيها الشبابية بصوت عال ومرتفع قادم من السيارات التى تسير فى الشوارع العامة ·· لقد أصبح الأمر مزعجا الى حد كبير من هذا الغزو الغنائى الذى أفسد ذوق الشباب وقتل طموحهم الثقافى ، والعلمى ، فلم تعد كرة القدم تشد بشكل جنونى الشباب كما كانت فى السابق بل أصبحت الأغنيــة الشبابية ، ونجومها تحتل أولوية اعجــاب شبابنا الذى أصبح مشدودا اليها بشكل « هوس » وبشكل جنونى ·· وكم كانت الأغنية العربيــة الأصيلة مظلومة من شبابنا الذى لم يعد يحس بها بعد ان فقد حواسه

التذوقية ‥ وفى اعتقادى أنه لم يعرف عنها شيئا وان عرف فانه يتجاهلها ـ ويدير ظهره عنها ، ويعتبرها من التاريخ القديم ، ويحيلها الى ذمة التاريخ ، فلم يعد يتقبل أى شىء قديم أو أى شىء فيه تراث قديم ، وفيه أصالة ، وفيه تعبير عن جذور تاريخية لاسلافه واجداده الأولين ويعتبر ذلك التاريخ رجعة تاريخية غير مستحبة ‥

ولكن الجيل الذى عاصر الاغانى القديمة الملتزمة فى الكلمة ، واللحن والموسيقى الشرقية يعرف حق قدر هذه الأغنية التى لازالت تعيش حتى عصرنا هذا ـ ولازالت تعبر تعبيراً ابداعيا فى شكل متكامل ـ ولا زالت الأذن العربية تعشقها ـ وتنشد اليها فهى لم تمت ولكن الذوق الذى انحدر الى سماع هذا الغث من الغناء الشبابى الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ـ فلا زلنا نحن جيل الوسط حتى يومنا هذا نطرب الى سماع أغنية قديمة لعبد الوهاب ولأم كلثوم ولفيروز ، ولغيرهم من المطربين القدامى وفى هذا الاطار نحن نتطلع الى بعث جديد للاغنية القديمة بشكل معاصر فالذين يرغبون فى تطوير الأغنية العربية الحديثة لا بد لهم أن يدرسوا القديم ، ويستفيدوا منه ثم بالتالى يعيدوا توزيعه بالشكل الشرقى المعاصر ولا نرى مانعا أن تضاف الى الآلات الموسيقية الشرقية الآلات الغربية المتطورة بشرط أن تكون هذه الاضافة لا تغطى على الآلات الرئيسية الشرقية كالعود ، والكمان ، والقانون ، والايقاع الشرقى والتخفيف من الآلات الاليكترونية التى ارتبطت التى شوهت النغم الشرقى والتخفيف من الآلات الأليكترونية التى شوهت النغم يزاوج بين القديم والحديث ويجعلهما قاسما مشتركا فى اللحن والأداء والكلمة الملتزمة بالذوق الرفيع ، وبالمعنى المستفاد منه ، وباختصار فان النظرة للاغنية الشبابية بشكلها المعاصر ، وبشكلها الشبابى لم تعد مقبولة من جيل الوسط أو القديم فانها عبارة عن فقاقيع تطير فى الهواء، وان الهدف منها اغرائى للشباب وللكسب المادى السريع الذى تحققه هذه المغريات الحسية عن طريق الترويج لها فى وسط الشباب الذى يحتل قاعدة عريضة من شرائح المجتمع وهى تشبه الى حد كبير السوق التجارية التى حقق فيها مايكل جاكسون ‥ ومادونا أرباحا خيالية قياسية ولا نريد أن نتحدث هنا عن خلاعة ‥ مادونا وعن ميوعة مايكل جاكسون فهما معروفان فى وسط شبابنا الذى يهوى الغناء الغربى الى درجة الجنون ‥ وعلى العموم فلا زال مجتمع الشباب فى بلادنا محافظا على تقاليده وعلى قيمه الأخلاقية التى اكتسبها من الشريعة الاسلامية كما انه لازال يتمتع بالقدر الكافى من الوعى الحضارى والثقافى الذى يجعله يميز فى وسط هذا الصخب الغنائى الشبابى

الكبير بين الأصالة الملتزمة وبين الحداثة التى لا تحترم الأصالـــه ولا تعترف بها ـ ولا تلتزم بقانون العيب لأنها أصلا لا تعرف العيب ٠٠ وفى تصورى انه من خلال هذا التمييز الواعى من الشباب بمعيار المنطق والعقل الى ما هو أصيل ستكون ثمة خطوط رجعة أو صحوة بين الشباب فى رفض الأغنية الشبابية الخالصة المتفسـخة التى لم تعد تتوافق مع بيئتنا الشرقية ومع مناخها العام ٠٠ وفى النهاية لا نرى أن الأغنيـــة السعودية تأثرت الى حد كبير بالتغريب وبالتحديث غير الملتزم بـــل انها حافظت بالقدر الكبير على أصالتها على جذورهـا الحضـــارية وواكبت التطور الذى يتمشى مع الالتزام بالقـواعد الأسـاسية الأصيلة فلا زالت تحتفظ بالطابع الشرقى الذى يحترم الذوق الرفيع والراقى ، ولم تخلط الحابل بالنابل ، فى آلاتها الموسيقية أو فى لحنها أو فى أدائها ، ولازال الذوق الرفيع يتقبلها بقبول حسن ويحترم قواعدهـــا الأصيلة ـ وان جاز لى أن أقدم نصيحة لشبابنا فاننى أدعوه للقراءة المكثفة التى ينتفع بها فى تنمية مواهبه الثقافية والفكرية ، وان يخفف من التهافت والجرى وراء الأغانى الشبابية التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ، بل ضررها أكثر من نفعها ، وان كان لابد من الاستماع الى الاغانى فالأفضل له أن يرجع الى القديم ويستمتع به لحنا وأداء وطربا ، ولكن ضمن الوقت المحدد أو ما تسميه بالوقت الضائع ، من باب الترفيه وأن كنت لا أميل الى الغناء بل أتذوق من القليل ـ فالوقت من ذهب ـ والذهب القراءة المفيدة التى تنفع الفكر والعقل بالعمل الصـــالح ـ « أما الزبد فيذهب جفـــاء » ٠٠

العـواد
ناقد أدب ورحال (★)

يستطيع المتتبع الجـاد لآثار الأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله) الأدبية بعامة والنقدية بخاصة أن يستشف نكاءه · وحسه المرهف فى سبر أغوار الحقيقة ومعرفة الجيد من الـــردىء في الأدب وتمحيص الناس والرجال المتصلين بالأدب على وجه الخصوص تمحيصا يكشف حقائقهم ، ووضع كل واحد منهم فى حجمه ، ومكانه الصحيح فى تقديره السليم ، وللاستدلال العلمى على نلك نذكر كمثال هنا خصومته الشهيرة مع صديقه ونده حمزة شحاتة التى على ما بلغته من شدة وعنفوان الى درجة التطاول المتبادل فى بعض الأحيان الا أنها لم تخل قط من الاعتراف المتبادل بالفضل بين قطبين عظيمين ، وفى هذا خير شاهد على قـــدرة العواد على رؤية الحق مهما استبد به الانفعال فى بعض الأحيــان · كذلك لا ننسى الاشارة الى خصومته مع الأستاذ عبد القدوس الانصارى (رحمة الله) حول روايتى (التوءمـــان) و (مرهم التنـــاسى) التى سجلها العواد فى كتاب (تأملات فى الأدب والحياة) والتى يستشف منها عدم تجاهل العواد لما كان يتمتع به الانصارى رغم انفعاله عليه فى تلك النقدات التى كتبها بقلم شاب سريع الانفعال آنذاك ·

وفى أواخر أيام حياته وحينما توفق مع الأستاذ أحمد السباعى (رحمه الله) فى تحقيق حلم تأسيس النادى الأدبى لأول مرة رســـميا فى مكة ، وجدة فان ممارسة العواد لدوره القيادى فى تأسيس نـــادى جـدة الأدبى ، وتمحيصه للرجال الذين توسم فيهم الكفـاءة الحقـــة والمقدرة الأدبية الصحيحة جعلته يعرف من يختار الى جـــواره ، ومن يضطلع بمسئوليات هذا النادى ، واننا اذ نلاحظ الآن تنكرا من بعض

(★) مجلة اقرأ ـ العدد « ٧٥٢ » ـ ١٤١٠/٦/٢٨ هـ ·

الأدباء الذين عاصروه ومن بعض تلامذته فان هـذا التنكر لا يصدر الا عن شعور هؤلاء بمركب النقص الدقيق الذى اكتشفه فيهم العواد بحذاقته وببعد نظره فى تقدير الأشياء والأمور الدقيقة فى نقاط الضـعف عند بعضهم ، فلم يجرؤ واحد منهم فى حياة العواد على انكار ما اكتشـفه فيهم من ضعف وقلة حيلة ، فاذا ببعضهم يفضح سر هوانه باستخفافـه بالعواد بعد وفاته – وللأسف الشديد – أى بعد خلو الساحة من ذلـك الأسد ، فرحم الله العواد ناقد الأدب والرجال وذواقة الفن ، وكاشف حقيقة الفنان من الدعى ، فشتان ما بين الابداع والادعاء ، وذلك ما كان العواد يستشفه دائما بحسه ، وذوقه ، ومهارته فى تمحيصه

الحقيقة تفضح الأوهام (★)

لو أردنا أن نسبر أغوار جهابذة الفكر ، والفلاسفة فى هذا العصر وما قبله لتحليل انماط تفكيرهم والتعرف على شخصياتهم ، نجد أن معظمهم أو أغلبهم يتحلون بتواضع العلماء ، يمارسون حياتهم الخاصة والعامة بشكل طبيعى ، فهم لا يتحدثون عن أنفسهم أو عن أعمالهم الابداعية فى كافة التخصصات ، بل يدعون أبحاثهم ودراساتهم هى التى تفرض وجودها فى كل عصر وزمان ، ويبدون من خلال سلوكياته والتمثل لها ، أشخاصا عاديين ، وتلك سمة العلماء ٠

ولكن الشىء الذى لا يبدو طبيعيا ، وما نستغربه اليوم أن بعض دعاة الفكر والعلم والغلو فى الترف الفكرى ، تتمثل فيهم تلك النزعة « النرجسية » وحب الانا والذات ، مع احاطة أنفسهم بهالة اعلامية « مفتعلة » أو « مصطنعة » ٠ الهدف منها اشباع رغبات الظهور والشهرة الزائفة ، وما يتبع ذلك من وجود زمرة من البشر تطبل وتزمر وترفع الشعارات والاهازيج بـ « سيمفونية » انغام التجيد لتلك الشريحة التى تصف نفسها بـ (Untellectoal) الـ « مفكرين » وتوهم الآخرين بأنها مضطلعة بـ « الايديولوجية » التى ابتكرتها لنفسها لتمثل بها مدرسة تتربى على يديها تلك الأجيال التى تأثرت بها بـ « الفكر » و « الشخصية» وأصبحت صورة نمطية جاهزة فى الحقل تردد فلسفتها وفكرها :

وما تلك الأشكال الا ضروب من الأوهام والمظاهر التى توحى الينا بعظمة الأيديولوجية ووحدانية الفكر ، وخلاصة المذهب ، مع أن المتعمق الذى درس الفكر الأوربى أو الغربى يفرق بين « أيديولوجية » « جاك بول سارتر » و « رولان بارت » و « ميشيل فووكو » وغيرهم من المفكرين

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٧٥٦ » ــ ١٤١٠/٧/٢٧ هـ ٠

وبين مبدعين آخرين لم تصل بهم الفكر الى درجة التفرد بـ « الايديولوجية» أو « التنظرية » ليكونوا أصحاب مذاهب ، ومع ذلك فانهم مبدعون الى حد ما ، مقارنة بالمفكرين الذين أشرنا الى بعضهم آنفا ٠

وعلى كل حال فان مثل هذه المقارنات تحتاج الى دراسة متعمقة من الباحث ليضع لها تصوراً عاما يمثل هذا التوصيف العلمى أو الحكم عليه ، ولعلى أردت بهذه اللمحة السريعة أن أضرب أمثلة لما يحدث فى الساحة الفكرية والأدبية من مهازل ٠

والشىء الذى يهمنا بالدرجة الأولى أن نعيد الى الأذهان تلك الظاهرة التى ما أريد لها الا أن تتوارى تحت الثرى كى لا ترتفع بأصحابها الى درجة الغرور والعظمة من حيث الفكر والتفكير ٠

فالذى أخشاه أن تستشرى بـ « فيروسها » بحيث يصبح علاجها شيئا من المستحيل ، مع اننى أشفق على هؤلاء الأدعياء من أصحاب « الايديولوجية » الزائفة ، وأرجو أن يستفيدوا من تنمية فكرهم بكثرة القراءة والاطلاع والاستفادة بتعدد المعارف وتنويع المصادر الثقافية بشكل آنى ومتحرك للخروج من دائرة الفكر المتجمد الذى أخذ يعتمد على أرصدته السابقة وأصبحت بالنسبة له حلما لا يتجدد ، وفكراً متأيديولوجا » ، وبالرغم من وجود هذه العقليات وتلك الأفكار فى كثير من المجتمعات ، غير أننا لاحظنا فى الآونة الأخيرة اعادة النظر فى تحجيم الفكر والعودة الى تغيير المفاهيم الخاطئة وانماطها بنظرة موضوعية لتكون أكثر قدرة على العطاء ، واثبات الوجود بجدارة ، وكفاءة ، وعمل جاد دون الاعتماد على « الغوغائية » التى تصنع من الفكر شيئا غير موجود فيه أصلا كى تعمل منه اسطورة ابداعية سابقة لوقتها وزمانها مغلفة برموز يستشف منها الحيرة والتحير ، وكأنما المفكر فى نظر « الغوغائيين » كل من يفتح حرفا أو يكتب مقالا أو ينظم شعراً أو يكتب بحثا أو ٠٠٠ أو ٠٠٠ الى آخره ٠

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا الى ما فيه صالح انفسنا وان يلهمنا الرشد والصواب فى كل ما نصبو اليه فى حياتنا الثقافية والفكرية وفى حياتنا العامة والخاصة ٠

علم وتعليم

الجامعة ·· وتطوير التعليم الجامعى (★)

لقد اهتمت الجامعات السعودية ومن بينها جامعة الملك عبد العزيز بتطوير مستوى أداء التدريس للاستاذ الجامعى بجانب الاهتمام فى تقديم برامج تدريبية لتطوير مهارات الطلاب فى اساليب التعليم الجامعى (القراءة ، الكتابة ، الحوار ·· الخ) فلقد كان لانشاء مركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة الملك عبد العزيز اثر بالغ ذو اهمية تنعكس عليه مجموعة من الأهداف والخطط العلمية التى حققت انجازاً عظيما بما يتمثل امتداداً بتقديم الخدمات اللازمة لمساعدة أعضاء هيئة التدريس والمحاضرين والمعيدين فى كل ما له علاقة بتطوير معارفهم التربوية وتدريبهم على مهارات وأساليب التدريس الحديثة التى تهدف الى تطوير الجانب الكيفى فى التعليم الجامعى · وكان للمركز تعاون مستمر مع الكليات والوحدات ذات العلاقة فى تقديم برامج تدريبية لتطوير الطالب — كما اسلفنا آنفا — فى مهارات وأساليب التعلم الجامعى ·



ونلاحظ من خلال الكيفية للتعليم الجامعى أن جمال التطوير فيها لم يأت من فراغ بل جاء بعد نتائج دراسات وأبحاث علمية مستفيضة ادت الى نجاح هذا الانجاز العلمى بفضل المؤسسات العلمية الاكاديمية التى قامت به فقبل أن نستعرض نشاط مركز تطوير التعليم الجامعى للعام الدراسى ١٤٠٨ / ١٤٠٩ هـ والذى سيأتى لاحقا نشير الى نقطة مهمة بأن الديناميكية والماكنيزم لتطوير التعليم الجامعى للجامعات

(★) جريدة المدينة ، العدد ٨١٤٢ السبت ٢٥/١/١٤١٠ هـ ·

السعودية مستمرة ومتلاحقة وتسير على قدم وساق وآخذة فى الاعتبار فتح جسور المعرفة عن طريق التفاعل المستمر بينها وبين الجـامعات الأجنبية ، وفق برامج وخطط علمية مدروسة تتحرك عبر قنـوات الزيارات المتبادلة لتحقيق الاستفادة العلمية المرجوة منها ضـمن الدول التى سبقتنا فى مجال العلم والابحاث العلمية والتقنية والتعليم الجامعى ٠

فالجامعات السعودية لم تكن بمعزل أو فى برج عال عن التقـدم العلمى العالمى فهى تلاحقه بين وقت وآخر عبر امتداد قنوات الاتصال لكل جديد ومستحدث منه بحيث يكون فى نهاية الأمر قيمة علمية تحصيلية لتعليمنا الجامعى ٠

الجامعة ٠٠ وعقدة الجامعة :

لقد تصـدى البعض للجامعات واعتبرها مسئولة عن تأخـير التعليم الجامعى للطالب الذى أدى فى نهاية الأمر الى ضعف مستواه العلمى فهو يزج الى الحياة العملية صفر اليدين ـ كما ادعى البعض ـ وهو لا يفقه الممارسة العلمية فى تخصصه ويطلق بعضهم أحـكاما عامة على ذلك وهذا شىء يؤسف له ، فى الوقت الذى نجد أن أصحاب هـذا الرأى لا يسلمون بالمعلومات أو الخلفيات وراء التعليم الجامعى بشىء اذ أن هناك تباعدا كبيرا بالفواصل وبالمساحات الشاسعة بين هذا التفكير الذى لا يعتمد على الحـكم العلمى وبين السـياسة التعليمية بدءا من البنية الأساسية للتعليم ووصوله الى الجامعة فان ما يدور داخـل الأسوار الجامعية من خطط ودراسات علمية لتطوير التعليم الجامعى يكون فى غالب الأحيان بعيداً عن أذهان أولئك الذين ينتقدون الجامعات فان أحداثا قبل هذه الفجوة حجبت الرؤية عن الواقع فأصبحت النظرة للتعليم الجامعى من فوق أبراج عالية ربما تنطلق من العقدة الجامعية التى تصبح هى المرآة العاكسة لواجهة الجامعة بكلمة داكنة اذ يصبح الأمر عاملا نفسيا أكثر منه تعليميا فلذلك ينبغى أن نغير هذه المفاهيـم ونصححها لتصبح واقعة موضوعية ومنطقية فى وقت واحد ، اذ أن هذه النظرة للتعليم لا تخدمه بقدر ما تسىء اليه خصوصا وان الموضوع يدور حول التقويم العلمى للجامعات فاذا أردنا أن نضع خطوطا عريضة عن الطالب ومستواه العلمى ، فأول ما يتبادر الى ذهننا المجموعات الطلابية التى تخرجت فى الجامعات ومارست العمل بكل نجاح وما أكثرها عدة وعددا فأعتقد أنها نماذج مشرفة تحسب للجامعة وبعضها يتولى مراكز عليا فى القطاع العام والخاص فان نسبة الكم والكيف فى حسـاب الخسارة والربح للمستوى العلمى للطالب تفيد ارتفاعا للنوعية الجيدة لرصيد الجامعة فى كشف الأرباح لخانة الدائن وليس المدين وفى اعتقادى

أنه ليس من الانصاف والعدل ان نتجاهل جهود الجامعة فى نسبة المتفوقين من الطلاب الذين اثبتوا وجودهم فى ميدان الحياة العلمية لتجعل القياس أمام نسبة ضئيلة لا تعدو أن تكون كسورا عشرية اخفقت بمحض ارادتها وليس للجامعة دخل فيها وعادة تقاس الأمور فيما يتعلق بالتقديم للمستويات العلمية للطلاب بدراسات وأبحاث علمية قياسية واحصائية وغيرها تفرضها أحكام علمية موضوعية يشترك فيها مجموعة من العلماء والباحثين فلذلك لا نجد للأحكام الذاتية وجودا بمثل هذه الأمور الاكاديمية وأرجو من الشريحة البشرية التى تنصب نفسها بدون مفهوم علمى قضاة للفكر والعلم أن تتراجع وأن تهتدى طريق الصواب بدلا من أن نطلق الأحكام جزافا قبل أن تكون أداة اصلاح تصبح أداة هدم ولتكون النتائج غير المتوقعة لخدمة التعليم والمتعلمين كما الذى يبحث فى شىء بدون دراية وعلم وهو لا يعرف ماذا يريد ومن باب التنور والاحاطة سأطل بـ بانوراما ، سريعة على نشاط مركز تطوير التعليم الجامعى لجامعة الملك عبد العزيز وعلى أهم النشاطات العلمية التى قام المركز بتنفيذها ضمن خطة التطوير الجامعى وهى كالتالى :

١ ـ اقام المركز ندوة لمدة أربعة أيام فى شهر شعبان ١٤٠٨ هـ عن تطوير التعليم الجامعى من خلال تطوير عضو هيئة التدريس وقام بالقاء المحاضرات فيها ثلاثة من العاملين فى شئون التعليم العالى بالمملكة المتحدة وهم (د. جورج براون والسيد / سكوفيلد والسيدة / هوك ند) ، وقد حضر هذه الندوة عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس .

٢ ـ تابع المركز مع جميع كليات الجامعة مرحلة انشاء وحدات لتطوير التعليم بكل منها حتى اكتملت جميع الوحدات بعون الله خلال عام ١٤٠٩ هـ .

٣ ـ يوالى المركز اصدار نشرة توجيهية فى المجال التربوى والارشادى لاعضاء هيئة التدريس والطلاب أيضا وفيما يلى النشرات التى اصدرها المركز وتم توزيعها خلال العام الدراسى ١٤٠٨/١٤٠٩ هـ.

اولا : نشرات لأعضاء هيئة التدريس :

- هل يحسن طلابنا الاستماع الينا .
- مفهوم رفع مستوى أعضاء هيئة التدريس .
- اليوم الاول للفصل الدراسى .

— حوار صريح حول الاختبارات ·

— خطوات العملية التعليمية ·

— اسلوب المحاضرات ما له وما عليه ·

— فن القاء المحاضرات ·

— تنظيم خطة دراسية ·

— التدريس للمجموعات الصغيرة ·

— الجانب الانسانى فى الارشاد الاكاديمى ·

— الامتحانات بين التقليدية والموضوعية ·

— العلاقة بين الأساتذة والطلاب ·

— وهناك بعض النشرات مازالت فى طريقها للتوزيع وهى :

- التدريس للمجموعات الصغيرة ·

- آراء الطلاب وانعكاساتها على تطوير طرق التدريس والمناهج الدراسية ·

- ماذا يقولون عن ظاهرة الغش ·

- ضرورة التفاعل من الأساتذة والطلاب ·

— وهناك بعض النشرات مازالت تحت الطبع :

- أهداف التعليم الجامعى ·

- وسائل تطوير التعليم بالجامعات ·

- الوسائل التعليمية ·

- طرق تقويم التدريس بالجامعات ·

- حسن الانصات هو الخطوة الأولى للاستفادة من المحاضرات ·

- لا تخش الاختبارات ·

- كيف تغذى ذاكرتك ·

وهناك بعض النشرات فى طريقها للتوزيع وهى هل تستفيد حقـا من الكتب المقررة :

— كيف تحقق الفائدة المرجوة من دراستك الجامعية ·

— التخمين فى الامتحانات ·

٤ ـ شارك المركز بالتعاون مع بعض الكليات فى عقد ندوات حــول مفهوم تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس لمدة يوم واحـد وفيمـا يلى بعض الكليات التى عقدت تلك الندوات :

- كلية الارصاد والبيئة وزارة المناطق الجافة رجب ١٤٠٩ هـ ٠
- كلية علوم البحار شعبان ١٤٠٩ هـ ٠
- كلية الهندسة ١٤٠٩ هـ ٠
- كلية العلوم شوال ١٤٠٩ هـ ٠
- كلية التربية بالمدينة المنورة ذو القعدة ١٤٠٩ هـ ٠

٥ ـ أقام المركز دورة تدريبية للمعيدين لمدة ثلاثة أسابيع خلال الفترة من ٤ ـ ٢٠ شعبان ١٤٠٩ هـ والتى افتتحها معالى مدير الجامعة وقد التحق بها ٥٠ معيداً من مختلف كليات الجامعة كما قام لفيف من الأساتذة من بعض كليات الجامعة بالقاء محـــاضرات التى شملت شتى النواحى التربوية وقد أصدر مجلس الجامعة مؤخراً قراره بالزام المحاضرين والمعيدين بحضور هــذه الدورة قبـل الابتعاث ٠

٦ ـ قام المركز بتصميم استبيان لاستطلاع رأى أعضاء هيئة التدريس فى النشرات التى يصددرها المركز وتم تحليله بعد وصول آراء أعضاء هيئة التدريس حتى يمكن التركيز على الموضوعات التى تهمهم من خلال آرائهم كما قام المركز بتصميم استبيــان لاستطـــلاع آراء المعيدين فى ندوتهم الأولى وتم تحليله كذلك ٠

٧ ـ أتم المركز ترجمة كتاب التعليم والتعلم فى المرحــلة الجامعيــة والمعاهد العليا الذى ألفه ـ روث بيرنو جيمى هارتلى ـ هــذا استعراض لما تم انجازه فى المدى القصير ٠

ملخص القــول ٠٠ والخاتمـــة :

ان الجامعات لم تقصر من جهدها فى تطوير التعليم الجـــامعى ورفع مستواه وأدائه ، وانها حريضة كل الحرص على الارتقاء برفــع مستوى الطالب علميا وثقافيا للتنوير جرت الاحاطة ٠ ونسأل الله التوفيق للجميع ٠

أين نحن من الأطروحات الأكاديمية العلمية والأبحاث العلمية ؟! (★)

كثير من الدراسات العلمية والاطروحات الاكاديمية لا يستفيد منها المجتمع فى خدمته ، ومعظمها بل وكلها تظل فى أضابير المكتبات الجامعية ، فلو بحثنا فى المواضيع العلمية التى تناولتها هذه الدراسات أو تلك الاطروحات نجدها ترتبط ارتباطا مباشراً بمشاكل المجتمع الذى تصدر منه لوكنها دراسات ميدانية أى أنها تسبر أغوار البيئات الاجتماعية وتختار منها النماذج العلمية التى تحقق منها هدفا لدراستها سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية أم تربوية أم نفسية وهكذا دواليك وإذا وقفنا على بعض منها وتأملنا اطروحاتها لا يساورنا الشك انها قد حققت انجازاً علميا يخدم المجتمع لأن ما تقوم به هذه الأطروحات يخضع لمعايير ومقاييس علمية ممنهجة ، وتحت اشراف علمى يضم هيئات علمية للاشراف والمناقشة العلمية الموضوعية ، وأحسب اننى بحكم التخصص وما يرتبط هذا التخصص بتخصصات أخرى بعضها اجتماعية وبعضها سياسية وتربوية وغيرها اطلعت على ماجستير ودكتوراه وكلها تبحث فى قضايا المجتمع وفى المؤسسات الكبرى اختلاف أنشطتها الاقتصادية والاعلامية والسياسية والاجتماعية وغيرها فلقد استفدت من نتائجها وتوصياتها العلمية وكم تمنيت أن تستفيد منها العديد من المؤسسات الحكومية وغيرها لأنها مبنية على دراسات ميدانية ملتزمة بالمنهج العلمى ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن فان ثمة تباعدا بين هذه الرسائل وبين المستفيدين منها من بعض المؤسسات الخاصة والعامة فانحصرت الجدوى منها على المستفيدين من الباحثين للحصول على الدرجات

(★) جريدة البلاد ـ العدد ١٠٦٢٣ ـ الثلاثاء ٢٩ صفر ١٤١٤ هـ .

العلمية أو للترقيات الاكاديمية ادا كانت وبحوتها منشورة فى المجلات العلمية ، ولما كانت الجامعات تحرص بشكل عملى وتنفيذى واجرائى بأن توجه رسائلها العلمية فى مواضيع تختارها ميدانيا من وسط البيئة المحلية التى ترى فيها خدمة المجتمع فأصبح التركيز فى هذا التوجه شيئا أساسيا ومهما ومشروطا على الباحثين الذين يرغبون الحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه سواء من جامعاتنا المحلية أو الخارجية التى يلتحق بها المبتعث فلعل هذه السياسة فى توجيه الأطروحات العلمية الى هذا المسار المحلى تخدم الى حد كبير النمو والتقدم والتطور الذى تسعى اليه بلادنا فى تحقيق حضارتها الكبرى على كل الأصعدة والأنشطة العامة وهذا ما يدفع بالضرورة الى الاهتمام بهذه الدراسات والأخذ بتوصياتها العلمية فى تحقيق كافة الخطط التنموية التى تسعى الى تحقيقها المملكة فى كافة المجالات العامة من اقتصادية وسياسية واجتماعية وتربوية وهلم جرا هذا لا يعنى أن المؤسسات الحكومية تخلو من المستشارين العلميين الذين يعدون لها الدراسات العلمية التى تحكمها المناهج العلمية فى رسم أبعاد خططها التنموية من الناحية النظرية والتطبيقية التى تحقق بها نموها وازدهارها وفق النشاط التخصصى لها ولكن هذا لا يكفى ، اذ أن الأطروحات العلمية اذا كانت فى نفس تخصص المؤسسات فانها تقدم بدون تكلفة مالية نتائج علمية كثير من الدراسات الاكاديمية التى تأخذ طابع الرسائل العلمية من تستفيد منها هذه المؤسسات فى تطوير أجهزتها الادارية والاقتصادية والفكرية وفى مواردها البشرية ففى ظل وجود مراكز المعلومات المزودة بالكمبيوتر وبغيره من التقنية الحديثة فلم تعد هناك صعوبة فى الوصول الى الرسائل العلمية والى الأبحاث والى غيرها ، وباختصار شديد فان الرسائل الميدانية التى تخص المجتمع أو المؤسسات الكبرى لا ينبغى أن تترك هملا فى رفوف المكتبات الجامعية وغيرها ولا تستفيد منها الدولة التى تصرف الملايين على الدارسين وعلى الباحثين وعلى المشاريع الانمائية التى تطور بها المجتمع وأجهزته الاجتماعية ونحن لا ننكر على الدولة انها تصرف الملايين فى بناء الانسان والأفراد والمجتمع وانها حققت بخططها التنموية الخمسية من الأولى الى الخامسة تطورا ملموسا فى كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والبشرية المدربة المؤهلة وهكذا ... الخ .

وفى الختام نتمنى على الجهات التى تهمها الرسائل العلمية بحكم التخصص أن تستفيد من نتائجها العلمية وأن تأخذ بتوصياتها الأكاديمية والله ولى التوفيق . »

أين موقعنا من رجال التربية والتعليم فى الماضى ؟ (★)

رمزا بالعرفان والجميل لرجال التربية والتعليم خرجت فكرة اصدار كتاب عن الأستاذ أحمد بشناق الذى كان مديراً لمدرسة طيبة الثانوية بالمدينة المنورة وصاحبا هذه الفكرة هما الدكتور غازى عبيد مدنى والدكتور كمال توفيق فخروج مؤلف عن هذه الشخصية الفذة يعتبر كسبا كبيراً لمكتبتنا العلمية والثقافية والفكرية ولانه من أحد رموز بلادنا من رجال التربية والتعليم الذين وهبوا انفسهم لخدمة العلم والتربية بقواعدها الأساسية التى تقوم على منهج الدين الاسلامى وتعاليمه وهذا أدى بالتالى الى تنمية الفكر الانسانى وصقله بالعلوم التربوية التى تشكل منه عملا حضاريا واداة صالحة فى بناء مجتمعه وهذا التشكيل فى تكوين الشخصية التعليمية يعتبر فى حد ذاته انجازا عظيما فى تنشئة تلك الأجيال التى اتخذت التربية الاسلامية محوراً أساسيا فى بناء مجتمعاتها التعليمية .. ولما كان التعليم هو أساس تقدم الشعوب ورقيها والمعيار الحقيقى فى اظهار الواجهة الحضارية لها نرى أن تلك اللبنات التى أسسها وأخرجها رجال التربية التعليمية فى الماضى والذين كان لهم الفضل فى زرع النبته اليانعة التى أتت أكلها ثمرة ناضجة نحصد منها ثمار تعلمنا فى الحاضر وفى استشراق المستقبل وان كان التعليم فى الماضى بالرغم من بداياته ومن ارهاصاته العلمية كان أكثر نضوجا فى فكر شباب ذلك الجيل الذى نشأ على أسس وقواعد علمية قوية وراسخة وخلاقة وذات ابداع متميز فى العصر والزمان والمكان ، والتعليم فى الماضى لم يقم على أسس ومناهج علمية

(★) جريدة المدينة ملحق الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ ٩ ـ ٩

ذات ايقاع بطيء دون حيوية او تفاعلية فى الحركة بل قام على انطلاقة فكرية متحركة « ديناميكية » أطراف معادلتها الأستاذ منتجا علميا ومربيا والتلميذ متفاعلا ومتلقيا فى حركة اتصالية دائرية وابداع علمى وكان المعلم كما يسمونه فى الماضى أو الأستاذ الذى نسميه فى الحاضر لا يقوم بدوره مدرسا ، بل كان يتضمن دور الأب والموجه الكبير الذى يتحسس مشاكل أبنائه الطلبة ويقف أمام كل صغيرة وكبيرة من اعتراضات نفسية أو تعليمية أو اقتصادية أو اجتماعية و غيرها تحل على تلامذته فيحتويها بكل اخلاص أبوى وبكل عواطف انسانية وهكذا ظل التلاميذ مرتبطين بأساتذتهم فكريا وعاطفيا واجتماعيا وتربويا وكأنهم نسخة متكررة من أساتذتهم فى الشخصية وفى السلوك الانسانى التربوى ولا شك كان المعلم فى ذلك الوقت قدوة حسنة فعلا وسلوكا وعملا انسانيا ولا زال الخير فى هذه الأمة حتى تقوم الساعة فالأستاذ كان جامعة متنقلة بين الفكر فى منهجه التعليمى وبين المربى الذى ينشىء الجيل الذى يعتمد عليه فى بناء حضارة الأمة وفى تقدمها ورقيها الانسانى وفى الاخلاص لها بصقل العقول والحركة والعمل والابداع فى مجال التخصص العلمى والفكرى والثقافى ولقد تجسدت هذه الصورة من خلال نشأة الماضى وصورة الحاضر بكل تقدمه الحضارى والانسانى و « التكنولوجى » والعلمى وكل الدوائر المعرفية فى جميع حقولها التعليمية ٠٠ كل هذه القواسم المشتركة تجمعت من خلال أجيال الماضى وبفعل الحاضر وبفعل رجال التربية والتعليم فى بلادنا الذين أخلصوا للعلم والتعليم وساهموا فى بناء حضارتنا الاسلامية وأدوا واجبهم على خير ما يرام ٠٠ فاذا عدنا الى أستاذ الجيل أحمد بشناق فهو أحد هؤلاء الذين نفتخر ونعتز بهم رواداً للتعليم فى بلادنا واحد أعمدتها الراسخة٠

فالخدمات التعليمية التى قدمها هذا الرجل وغيره من الرجال فى الماضى والحاضر لا تقاس بعمر الزمن بل بعمر الفكر والجدارة والكفاءة العلمية التى استطاع أن يدير بها مدرسة طيبة الثانوية على مدار ربع قرن ونيف ، البشناق من حفظة القرآن الكريم عن ظهر قلب مع التجويد فى عام ٤٨ ــ ١٣٤٩ هـ وبشهادة شعبة العلوم العالية التى نالها من مدرسة العلوم الشرعية بطيبة الطيبة فى عام ١٣٥٥ هـ والذى تحصل على مثل هذه الشهادة العليا من مدرسة العلوم الشرعية فى ذلك الوقت فانها تعادل اليوم شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر لأن المواد التى كانت تدرس فيها مواد متقدمة علميا فى علم النفس القرآنى وفى الفقه وفى علم الفرائض وعلم الحديث النبوى وغيره من العلوم الشرعية وكان الفضل فى تأسيس هذه المدرسة للسيد محمود ومن بعده ابنه حبيب ولقد حلت محلها الآن الجامعة الحكومية الاسلامية فلنا أن نتصور ان خريجى

أو حاملى تلك الشهادات آنفة الذكر لا بد ان يكونوا قد تسلحوا بدائرة معارف كلها علوم ولها تفرعات ومفردات علمية وكلها تصب فى القنوات الفكرية للتحصيل العلمى للطلبة الذين يستفيدون منها على نطاق واسع وتكون منتجا حضاريا لهم ولمجتمعاتهم ٠٠ فاذا كان الأستاذ أحمد بشناق أحد هذه القنوات ، فانه جدير بها علميا ومعرفيا فبالرغم من أنه لم يشتغل فى مهنة التدريس على مدى سنوات طويلة الا انه كان مديراً لمدرسة طيبة فرغ نفسه وجهده لهذه الادارة فكان أكثر عطاء لها بحسن الادارة والتربية فقد صنع لنفسه ادارة متميزة تعرف باسمه وينطبق عليها ذلك المصطلح « السهل الممتنع » و « الرجل المناسب فى المكان المناسب » وأهم ما يميز شخصية البشناق الادارية أنه لا يعتمد على عشوائية الاختيار فى هيئة التدريس التى يختارها لمدرسته سواء من المتعاقدين أو الوطنيين بل كان يقف على لجنة الاختبار ويأخذ منها الصفوة التعليمية والتى تأتى بـ « الأساتذة الأوائل » ، وهذا الاختيار الأمثل انعكس على نتائج مدرسة طيبة الثانوية التى كان لها السبق الأول فى طلاب العشرة الأوائل من شهادة الثانوية فى المملكة العربية السعودية ولم يتوقف نشاط الأستاذ البشناق يوم أن كان مديرا لمدرسة طيبة الثانوية على الروتين الادارى وعلى تطبيقه شكلا ومضمونا بل كان يطور نظام التعليم وفق مفهومه العصرى الذى كان يعيشه فبالمرونة سيتجاوز الأنظمة التعليمية وبيروقراطيتها دون أن يمس الجوهر بل كان مجتهداً فى تطوير هذه الأنظمة وفى تحديثها وفى مواجهة عقدها بما يتفق مع مصلحة الطالب والأستاذ معا فكان لا يعتمد على البنود والاعتمادات المالية التى تختصه فى تنفيذ النشاط الطلابى خارج المنهج نجد اللا منهج واللا فصلى وأقصد بذلك حركة الطلاب النشاطية من رياضة ومن مسرح ومن أنشطة أخرى كالرحلات العلمية وغيرها فكان يواجه هذه الاختناقات بالتحدى الصارم الذى يفرضه بتنفيذ هذا النشاط مهما كان ثمن هذه التحديات فى البنود المالية التى لا تفى فى سد الاحتياج وهذا الأمر يتطلب منه أن يكون مرنا وذا بعد فى النظر وله من الخبرة والتمرس فى مواجهة هذه المواقف التى قد يعترض عليها النظام فى ذلك الوقت ولا يسمح بها الا ضمن حدود الامكانيات المالية المقررة لها بتحديد الأنشطة الطلابية خارج اطار الفصل الدراسى ٠ وبالرغم من وضوح النظام فى تحديد بنوده المالية للانشطة وتقنينها فانه كان يتجاوز هذه الحدود وليس بمخالفة النظام بالتجاوزات ، بل بما كان يدفعه من تخصصاته الخاصة وكان سعيداً لانه يثرى أنشطة مدرسته الطلابية فقد مارست ادوارها بكل فاعلية وبكل نشاط وبكل تقدم وبكل زهو ، وهذا التفاعل كان ملموسا ومحسوسا من خلال الميداليات أو الكؤوس التى كانت تحصل

عليها مدرسة طيبة الثانوية حتى المهرجانات التعليمية والثقافية والفكرية ولازالت بصمته علامة مشرقة في مدرسة طيبة الثانوية أما علاقته بالطلاب فكانت تسير سيرا جميلا وكان ينظر اليه بمثابة الأب المربي والموجه والمصلح فكان الطلاب لا يضيقون ذرعا من حزمه الادارى لانهم كانوا يدركون صدق اخلاصه واحساسه لهم فى كل كبيرة وصغيرة تخدم مصالحهم التعليمية والتربوية والفكرية وغيرها بالرغم من شدة حزمه فى بعض المواقف التى تحتاج الى حزم ، فانه كان عاطفيا وأبا حنونا ورقيقا فى مشاعره واحساسه نحو الآخرين وكان انسانيا بمعنى الكلمة وكان لينا مع الطلاب اذا احتاج الأمر الى ذلك ناهيك عن الدور الذى كان يؤديه فى توجيه الطلاب الى تقوى الله والى المحافظة على الصلاة والى الالتزام بتعاليم الدين الاسلامى ٠

كما اننى لا أذيع سرا اذا قلت ان الأستاذ أحمد بشناق كان يقف وراء كل التجهيزات المعملية التى يحتاجها الطلاب ويساهم من جيبه الخاص أحيانا فى تدعيم هذه الأجهزة ، اذ كانت الاعتمادات المالية لا تغطى شراء هذه الأجهزة ولم يكن ذلك الأمر مقصوراً من الجهات المختصة فى تغطية شراء الأجهزة بالشكل الذى كان يدعو ، له بل لأن الأستاذ البشناق لا يريد أن يغطى الاحتياج بل كان يريد أن يتجاوزه ٠ وهذا ما كان شأنه ورؤيته وتطلعاته للطموح العلمى بشكل أكثر دائرة وأكثر نشاطا وأكثر فاعلية ٠٠ واذا جاز لنا بكلمة أخيرة عن الأستاذ بشناق ، فاننا نطلب من تلامذته أن تكرمه الدولة بوسام من الدرجة الرفيعة ؛ لأنه جدير به وبأمثاله الذين خدموا العلم والتربية فى بلادنا ونسأل الله أن تستجاب دعوتنا هذه بأن تلاقى قبولا واستحسانا من وزير المعارف ومن غيره من الرجال المشتغلين بالتربية والتعليم والثقافة ٠ كما نطلب من النادى الأدبى بالمدينة المنورة أن يكرم الأستاذ البشناق بشخصيته التعليمية والانسانية والفكرية والتربوية ولا أجد عند الأديب هاشم رشيد الا كل استجابة فى تكريم رجال العلم والعلماء والمفكرين ٠ كما أجد فى نائبه الدكتور محمد عيد الخطراوى نفس الاستجابة بنفس الشعور لرواد الفكر والأدب والتعليم والثقافة فى بلادنا والله ولى التوفيق ٠ »

المرجـــع :

١ ـ عبد الله دبور رجال وهبوا أنفسهم لخدمة التربية والتعليم جريدة المدينة المنورة العدد « ٩٢٤٨ » وتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ص « ٩ » ٠

الكمبيوتر سلاح ذو حدين (★)

أصبح الحاسوب أو « الكمبيوتر » يشكل نمطا من انماط حياتنا العامة ، والخاصة ، وأحد العوالم البارزة فى تشكيل معطيات الحضارة الحديثة ، فهو الذى غير الكثير من انماط ومفاهيم حياة البشر ، اذ أنه استطاع أن ييسر الوصول بسرعة الى حل معظم المشاكل العلمية والاقتصادية ، وغيرها ·· التى كان من الصعب فيما سبق ، بل أحيانا من المستحيل ايجاد الحلول الملائمة لها بالوسائل التقليدية · فاذا تجاوزنا المراحل التاريخية من حياة « الحاسوب » وما طرأ عليها من تطوير آلى فى هذا الجهاز ، ومن ادخال العديد من البرامج بدءا من الطرق البدائية للحساب البسيط ووصولا الى الحاسبات التى يتم التعامل معها بصورة متطورة ومعقدة (Sophisticated) فاننا سنقف على أهم التعريفات بـ « الحاسوب » ، وقدراته ، فكلمة « كمبيوتر » (Tecompute) (١) كلمة انجليزية اشتقت من الفعل يحسب أو يعد وقد استخدمت مصطلحات عربية للدلالة على « كمبيوتر » مثل الرتابة / الحاسب الأليكترونى / الحاسب الآلى / العقل الأليكتونى ـ النظامة ـ واخيرا « الحاسوب » ـ الذى أقره المجمع اللغوى بالقاهرة·

وعلى كل حال فـ « الكمبيوتر » لا يفكر ولا يدرك وهو ينفذ أوامر الانسان فقط ·

وقدرات الحاسب أو الحاسوب أو « الكمبيوتر » (٢) قدرات هائلة اذ تقاس العملية الواحدة بأجزاء من المليون من المليون من الثانية ، وعمليات الادخال والاخراج تقاس بأجزاء من الألف من

(★) مجلة اقرأ ـ العدد «٨٦٤» ـ ١٤١٢/١١/١٢ هـ ·

الثانية ، فضلا عن الامكانية التخزينية الهائلة ، والدقة المتناهية فى تنفيذ الأوامر والتعليمات ·

ويقال أن امكانية الحاسب الى الأذهان بانه يستطيع تخزين معلومات غرفة كاملة من الكتب فى شريط أو أسطوانة ممغنطة لا يزيد حجمها عن حجم كتاب واحد فقط ، ويتم استرجاعها أو أى جزء منها بسرعة ·

★ وتتميز « الحاسبات الاليكترونية » الأكثر تطوراً على نقل المعطيات ـ المعلومات عن بعد (٢) ومن والى الحاسب الأليكترونى · ويتم الاتصال ما بين وحدات الادخال الى الاخراج من الحاسب بواسطة خطوط اتصال تليفونية ، أو عن طريق موجات الراديو :

★ يستخدم هذا النوع فى معظم الشركات المتعددة الفروع ، فى تداول المعطيات ، والمعلومات ما بين سفن الفضاء ومراكز المراقبة الجوية ·

★ وهكذا نجد أن لـ « الحاسوب » خصائص ومميزات لا يمكن حصرها فى ـ مقال محدود المساحة ـ وبعد أن تحدثنا عن أهم المميزات، أو الخصائص عن الكومبيوتر ، وعن ما قدمه من خدمات ايجابية للانسان ، وما استطاع أن يحل به معظم المشاكل العلمية والاقتصادية وغيرها من المجالات الاخرى التى ترتبط بخدمة البشرية فى الاغراض السلمية ، والعسكرية ، نقف من جانبه الى الحديث عن الجوانب الأخرى السلبية التى تخرج من برامج الكمبيوتر الهابطة ، والتى تستخدم فى الأغراض المادية الحسية الغرائزية ، والتى أصبحت منتشرة فى الأسواق العالمية ، والتى يصدر بعضها الى البلاد العربية ، والاسلامية عن طريق المراسلة بالبريد أو عن طريق تهريب المسافرين من والى ، وحتى لا يكتشف أمر هذه البرامج أخذت هذه الشركات تستخدم الكثير من الحيل ، والخداع التى تغلف بها هذه البرامج حيث تطبع عليها عناوين مضللة عن المحتوى الحقيقى ، ومثل هذه البرامج (Soft Ware) التى تغطى الصور الخليعة تكون غالبا موجهة الى عقول الشباب المراهقين الذين يميلون الى مثل هذه النوعية من البرامج التى يعتبرونها ضربا من ضروب التسلية والترفيه والقضاء على الفراغ ـ وكما أخبرنى أحد الأقارب الذى وقف على مشاهدة هذه البرامج أن أغلبها أو جلها تحتوى على صور متحركة فى الاتجاه الحسى الغرائزى ـ أما طريقة الانتشار والتعميم لهذه البرامج (Soft Ware) فانها تسجل بين الهواة بالتسجيل السريع عن طريق استرجاع ذاكرة الحاسوب ، ومن السهل تداولها بين الشباب ـ وخطورة وقوعها بين الأطفال ·

★ فأولئك الذين لا يعلمون عن وجود هذه الأفلام المبرمجة فى ذاكرة الحاسوب ربما يقعون بمحض الصدفة أثناء استخدام الكمبيوتر المبرمج بهذه الذاكرة فيفاجأون بالصورة الخليعة ، كما فوجىء بهـــا تربيى الذى لمست احدى يداه : « الرمز السرى » أو « المفتاح السحرى » الذى زج به فى براثن تلك العصور الخليعة القابعة فى ذاكرة الحاسوب ، ركنها نتم عن أطر غير أخلاقية وغير حضارية ، ومنافية للآداب والسلوك السوى المستقيم ·· فاذا أردنا فى واقع الأمر أن تعكس ثورة الحقيقة وراء انتشار هذه البرامج فى صورها المتعرية وشيوعها بين شرائـح الشباب لا بد أن نتوقف عند العوامل التى تتحكم فى مثل هذا الانتشار ، ولعل من أهمها أن الشركات المنتجة لها استطاعت أن تدرس كل المسالك والنوافذ التى تصل بها الى عقول بعض الشباب من بينها العلاقة التى توطدت بين جهاز الكمبيوتر وبين بعض الشباب الذين يمتلـكون هـذا الجهاز ، والذين أدمنوا على شراء العديد من برامج الكمبيوتر ، ولا يكاد أى منزل يخلو من جهاز الكمبيوتر الشخصى ، ويختـلف مالك هـذا الجهاز فى استخداماته له ، فالبعض يخزن فيه المعلومات الشخصية ، ويستفيد من عرض البرامج التثقيفية والترفيهية البريئة ، والبعض الآخر يستخدمه بشـكل أوسع وذلك حسب المميزات الموجودة على الجهاز ، وفى هذه الحالات نحن لا نعارض هذه الاستخدامات بل نشجعها ونحبذها ، ونحث عليها ، بيد أن المفاهيم لهذه الأغراض والوقوف عنـدها موقف الرضا أخذت اتجاها آخر ومنحى آخر فى عرف الشركات المنتجة لهـذه البرامج التى حولتها الى اغراض استثمارية تجـارية أخـرى هدفهـا تلويث أفكار الشباب ·· فان التصدى لمكافحة هذه البرامج يحتاج الى جهود جماعية تشارك فيها الأسرة والمدرسة ، والجامعة والمجتمع ككل عبر قنواته ومؤسساته العامة والخاصة لكن لم نكن نتصور ان يحـل « الكمبيوتر » محل « الفيديو » فى مثل هذه الاستخدامات ، وكم نحتاج من الأفكار الواعية التى ترفض قبول مثل هذه العروض المقدمة مـن الشركات التى لا يهمها سوى الربح المالى على حساب القيم والأخـلاق الكريمة !!

المراجــــع :

١ ـ الدكتور أحمد بدر ، المدخل الى علم المعلومات والمكتبات ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٩٨٥ م ·

٢ ـ المرجع نفسه ·

٣ ـ الدكتور محمد الفيومى برمجة الحاسبات الاليكترونية بلغـة « بيسك » ·· اربد دار الأمل ، ١٩٨٤ م ·

« فيروس » من نوع آخر

المدخــــل :

هذا عنوان « شبه تقنى » لموضوعات سوف أناقشها بـ « اذن الله » تتصل اتصالا مباشرا ووثيقا بـ « الصحافة » وأركانها لتتفاعل انتــاجا وتلقيا أخذاً وعطاء وتفسيره كـ « التالى » ! :

★ يكون الأمر طبيعيا عندما نســمع أن شــخصا ما مصـــاب بـ « فيروس » ويذهب الى الدكتور لتحديد هذا « الفيروس » ويأخذ العلاج اللازم له ٠

★ والفيروس كما تعرفه كائن حى دقيق لا يرى بالعين المجـردة فهو أصغر بكثير من « البكتريا » وينفذ داخل جسم الانسان فيصيب خليــة من خلايا الجسم ، ويتوالد ، ويتكاثر ، وينمو داخل الانسان ٠

★ أما فيروس « الكمبيوتر » أو الحــاسب الآلى أو الحاسوب ــ كما سماه أخيرا علماء اللغة العــربية ــ فهو فيروس من نوع آخــر ٠٠ نقرأ ، ونسمع عنه فى الصحافة المكتوبة ، والمرئية ، والمسموعة ٠

★ وكما يقول علماء الكمبيوتر انه عضوى حيوى يصيب أجهزة الحاسوب وهو عبارة عن جرثومة ، ولا ندرى مدى صحة ذلك اللهم مجرد خبر نسمع عنه أو نقرؤه فى الصحف وبمعنى آخر ، تتناقض المفاهيم التى تشبه « فيروس الانسان » بـ « فيروس الكمبيوتر » وفى هذا التناقض يذكر لنا أحد المتخصصين من أساتذة علم الكمبيوتر وهو الدكتور عبد الله نصير « أن فيروس الحاسوب ليس عضويا كما هو فى الكائنات الحية ، بل هو عبارة عن برنامج بسيط يكتبه الانسان » ٠

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٨٤٧ » ــ ١٤١٢/٦/٢٧ هـ ٠

★ والكمبيوتر يتولد من عنصرين مهمين هما :

١ ــ أجهزة ، وأسلاك ، « وبلاستيك » ودوائر كهربائية وغيرها ·

٢ ــ مجموعة من البرامج ، والتعليمات ، والرموز وغيرها ·

★ أما ظهور الفيروس العضوى فيرتبط بظهور الكائن الحى وهو قـــديم ·

★ وأما « فيروس الكمبيوتر » فهو حديث خرج بظهـــور الآلــة ، والبرمجة وأصبح مربوطا بـ « الكمبيوتر » ويرجع الهـــدف من برامج « الفيروسات » الى أن علماء الكمبيوتر حددوها بمدى الاضرار التى تنجم عنها فى المحددات التالية :

أولا ــ اتلاف ، وتدمير البيانات ، والبرامج التى يكتبها الانسان ·

ثانيا ــ تعطيل نظام الحاسب الآلى أو الحـــاسوب فيما يتعــلق بالأجهزة والآلات ، والشاشة و « الدسك » أى اسطوانات المعلومات ·

ثالثا ــ تحريف وتبديل بعض البيانات ·

★ ويفهم من ذلك أن فيروسات الكمبيوتر ، لها تأثير على جميع أجزاء الكمبيوتر ، والآلات والأجهزة ، والمعدات ، والبرامج ، والملفات·

★ أما أنواع الكمبيوتر فهى :

١ ــ الكمبيوتر الشخصى ·

٢ ــ الكمبيوتر المتوسط ·

٣ ــ الكمبيوتر الكبير ·

★ وبعد أن حددنا أنواع الكمبيوتر نجد أن الدارسين والباحثين اكتشفوا أن مستوى الاصابات فى « الكومبيوترات الشخصية الصغيرة ، أكثر من اصابات الكمبيوترات المتوسطة ، وذلك لأن الحاسوب الشخصى عادة يستخدمه الناس الذين تكون خلفياتهم سطحية ، ومحدودة الخبرة فى التعامل مع الكومبيوتر وتؤدى هذه المحدودية الى عدم المعرفة ، والوعى بالطرق الوقائية أو الحماية لأجهزة الكمبيوتر ناهيك عن عـدم وجـود الامكانيات المالية التى تجعلهم يوفرون برامج الحماية ، والوقاية لتلك الأجهزة ، بالاضافة الى انهم من انصاف المثقفين ، واهتماماتهم محدودة بهذا الجهاز الذى يطلق عليه « الكمبيوتر » ·

★ وهناك عامل آخر يجعل الكمبيوتر الشخصى أكثر عرضة من غيره للاصابة بـ « الفيروسات » الا وهو نظام التشغيل ·· اذ اننا نلاحظ

أن نظام التشغيل الموجود فى شركة يكون فى الغالب له مثيل ، ومطابق مع الشركات الأخرى ويعنى ذلك أن نظام التشغيل بين الشركات يأخذ مفهوم النظام الواحد فى صنعه .

★ وهذا يؤدى بالتالى الى سهولة تسريب العدوى من «الفيروس» المزروع فى أحد الأجهزة الى الأجهزة الأخرى بخلاف الأجهزة التى فى العادة تتبع أنظمة تشغيل تختلف عن بعضها ، ويجرى الآن تنسيق ، وتفاهم ، وحوار يقوم على محاولة توحيد أنظمة « الكمبيوترات » الكبرى ، ومن المميزات التى تحد الى حد ما من انتشار « الفيروس » بين هذه « الكمبيوترات » انها تتمتع بالحماية التى وفرتها الشركات من صيانة ، وعناية ، وخبراء تشغيل ، وبرامج وقاية علاجية . بالاضافة الى ذلك أن نسبة استخدام هذه الأجهزة تقوم على أشخاص يتمتعون بالخبرة والدراية ، والعلم ، ولا يتجاوز عددهم الحد المطلوب ، ويحظر استخدام الحاسوب من قبل أولئك الذين لا تتوفر فيهم الخبرة والمعرفة بتشغيل تلك الأجهزة .

★ وهناك عدة عوامل لكتابة برامج « الفيروسات » أهمها :

١ ـ عملية « اللغو » والمداعبة ، والمزح .

٢ ـ التحدى ، والاعتزاز بالنفس .

٣ ـ الاتجار بـ « الفيروسات » حيث ان بعض الشركات الصانعة لها تقوم ببيعها وفى الوقت نفسه تقوم بعمل علاج لهذه « الفيروسات » وتعرضها للبيع أيضا بقصد الربح .

٤ ـ النواحى السياسية :

ان بعض الدول تحاول أن تسيطر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا على دول أخرى ، فتقوم بتسريب « الفيروسات » على المعلومات المتخزنة فى عقول أجهزة الحاسب الآلى لتلك الدول المستهدفة بقصد تخزينها ، واتلافها .

★ وهناك عوامل أخرى لا يسع الوقت هنا لذكرها تدخل فى باب انتشار الاصابة بـ « الفيروسات » .

★ أما أنواع الفيروسات فهى :

١ ـ الفيروس الباكستاني ٠

٢ ـ الفيروس الاسرائيلى ٠

٣ ـ حصان تروادا ٠

٤ـ فيروس الدودة ٠

والى هذا الحد نكتفى بتقديم هذه المعلومات عن فيروس الكمبيوتر ، والعوامل التى ساعدت على انتشاره ، ونرجو أن نكون قد وفقنا الى حد ما فى عرضنا هذا عن « الكمبيوتر » والأعـــراض التى تصـــيبه من « الفيروسات » ونسأل الله أن يجنبنا الاصابة بـ « الفيـروس » ويحمى أجهزتنا منها ٠٠ والله ولى التوفيق ٠ ،،

قضـــايا اجتماعية

العمالة الأجنبية ·· وتأثيرها على مجتمعنا

لقد كثر الحديث والجدل عن العمالة الأجنبيـــة التى تتمثل فى الخدم والمربيات أذ أصبحت الأسرة السعودية ·· لا تستغنى فى حياتها الخاصة عن هذه النوعية من المستخدمين ، وأصبح « المنزل السعودى » يعتمد عليها فى ادارته وتسيير أموره وشئون حياته الخاصة ، ولا شك أن الطفرة المادية التى مرت على مجتمعنا ولدت فجوة كبيرة بين أجزاء المجتمع وخاصة فى تباين طرق التفكير حتى أصبح المظـهر هو أهـم ما يشغل بال الأسرة وعندما توفرت المادة وجاءت الموافقة من الـدولة بالاستقدام كان لابد من ترجمة الايمان بالمظاهر الى واقع ملموس فكان الكم الهائل من المستخدمين وأصبحت أعدادهم تفوق ما يتصورها أحدنا بالنسبة للسائقين والخادمات فبالفعل أصبح وجود أكثرهم لا يعدو كونه للمباهاة ونرى تلك الصورة المجسدة أمامنا فى حجم الأسرة الصـــغيرة التى تستقدم أكثر من سائقين وثلاث خادمات حيث نجد ذلك التجـــاوز عن الحاجة الحقيقية ، وفى الجانب الآخر نجد أن كثيراً من الأسر ابتعدت عن مجال التعاون والعمل الجماعى فأصبحت شبه مفككة ، فالأب مشغول بعمله فقط والأم مهمتها لصداقاتها والأبناء يبتعدون عن تحمل مسئولية أهلهم ومساعدتهم لذلك كان لا بد من ملء هذا الفراغ بالسائق والخادمة ·· فاذا ما أردنا أن نلتمس بعض الأسباب فى انتشار هذه الظاهرة نجد أن هناك عدة عوامل لعبت دورا مهما وأساسيا فى احتياجنا للســائقين والخادمين ونجملها فى النقاط التالية :

أولا : عمل المرأة ·

ثانيا : التخلص من بعض الأعباء المنزلية ·

ثالثا : القصور فى النظرة التربوية ·

رابعا : وجود الخدم تأكيد لسلطة ربة المنزل ·

خامسا : غياب الوعى بالآثار الناجمة عن استخدام الخدم ·

خروج المرأة للعمل والحاضنة البديل :

ان خروج المرأة نشأ نتيجة متغيرات اقتصادية واجتماية ، حيث ان الظروف الاقتصادية والغلاء الذى يسود العالم جعل عمل المرأة مهما جدا ، وكان لا بد لها أن تساهم فى تحمل أعباء المسئولية لسد احتياجاتها حصوصا مع التقدم العلمى وظهور النمط الاستهلاكى فى المعيشة مما أدى فى بعض الأسر الى الاستعانة بالمربيـات كى تجد البديل للطفـل ·· وهنا تنشأ الخطورة الكبرى وبالذات اذا كن أجنبيات غير مسلمات ·· فالخادمة أو المربية غالبا ما تفقد الحب والحنان نتيجة لظروفها الأسرية أو بعدها عن الأهل أو نتيجة المعاملة التى تتلقاها من الأسر التى تعمل عندها فهى بلا شك ستسىء معاملة الطفل بطريق غير مباشر مثل السهو عن الطعام الخاص به أو تبديل الملابس له أو منعه من اللعب ·· والأهم هو اللغة فهى تعتبر حاجزاً بين الطفل والمربية بخلاف انها تختلف من حيث الطباع ·· كل هذه الأمور تكون سببا مهما فى حدوث مشاكـل للأسر ، فنرى أن المربية الأجنبية تعتنق أفكاراً وقيما ومبادىء منافيـة لمعتقداتنا الاسلامية والشرقية ومن هنا ، يبدأ الطفل فى التأثر بهـا عن طريق التقليد والمشاركة ·· أو عن طريق التعليم والمناقشة وهذه هى الخطورة الحقيقية على المجتمع ككل ·· اذ أنها سوف تنشىء جيلا مشوه المعالم غير متمسك بقيمها الأخلاقية ·

وثمـة عوامـل أخـرى جعـلت الخـادمة تفـرض سيطـرتها وهيمنتها على الأسرة وتصبح هى « سيدة الموقف » دون أن تجد مـن يحجمها ويوقفها عند حدود معينة فتتصور نفسها هى الحاكمة والآمرة والناهية فى تصرفات البيت ماديا ومعنويا ويرجع السبب فى ذلك الى التسيب من سيدة المنزل التى منحتها صلاحيات غير متناهية فى ادارة شئون المنزل وبشكل عام فلم تكلف نفسها « ربة المنزل » الاشراف عـلى هذه الادارة فاختل توازن انضباط الأسرة وروابطها وانفصل الأب عن أبنائه والأم عن أولادها وأصبحت الخادمة هى كل شىء وقد يؤدى الأمر بأن تخطىء الخادمة وتجور وتعبث على مرأى ومسمع الأسرة ومع ذلك لم تجد من يحاسبها على ذلك خوفا من انها تتوقف عن العمل فتفشـل حركة الأسرة ·

مواصفات المربية حديثا :

١ ــ ان المربية اليوم غالبا ما تكون من شرق آسيا وهم لا يتكلمون اللغة العربية ، وهذا الأمر الذى يفتقده طفل اليوم ، حيث ان المربية غالبا تتكلم لغة هجينا بين العربية ولغتها الأصلية •

٢ ــ المربيات الأجنبيات بعيدات كل البعد عن عاداتنا العربية والاسلامية التى يفترض أن يتحلى بها الطفل •

٣ ــ المربية الأجنية تفتقر الى الأمن النفسى لكونها بعيدة عن أسرتها وموطنها •

٤ ــ ان الطفل لا يجد فيها القدوة الاسلامية لأن أغلبهن من غير المسلمات •

تأثير المربية على الطفل :

اذا كانت المربية فى الجاهلية وصدر الاسلام عربية خالصة ، تتحدث العربية بالسليقة ، تغذى الطفل بالصفات والخصال العربية الحميدة وهى الخصال التى ينسج على منوالها مكونات شخصية •• فكيف تتشكل شخصية طفل اليوم الذى يعايش مربية أجنبية جاءت من دولة غير اسلامية تحمل بين ثنايا شخصيتها معاقات ومعتقدات وعادات وتقاليد مغايرة لما ألفناه فى أسرتنا العربية •

المربية وتشكيل شخصية الطفل :

كيف تتشكل شخصية الطفل وتتبلور مفردات لغته الأولى فى وجود نموذج قيمى وثقافى وسلوكى لمربية تعايشه فترات طويلة فى بداية حياته ؟ •

الأصل أن الطفل يعتمد فى تكوينه ونموه على أمه بالدرجة أولى سواء وهو جنين فى بطنها أو حتى بعد ولادته ، فهو جزء منها لا ينفصل عنها بعد ولادته ،وحين تحتضنه وترضعه ، فانها ترضعه مشاعر الحب والحنان والعطف والأمان وتشعره بالدفء ، والراحة النفسية ولذلك فقد شدد علماء المسلمين على اختيار المرضع للطفل اذا كانت هناك موانع من لبن الأم ، وطالبوا بتوافر صفات جسمية ونفسية واجتماعية وأخلاقية ودينية فى المرضع والأمهات هن المؤهلات بالطبيعة والفطرة لتربية ولادهن ، كذلك الأب لا غنى عنه فى رعاية وتربية الأبناء فهو مشارك للأم ، لأن تربية الأبناء تحتاج الى نماذج تربوية رجالية ونسوية تكتمل فيها الصورة الانسانية متنوعة الأبعاد •

الولد يجب ان يتولاه كل واحد من الوالدين بالتربية ٠٠ أى طفل ينسلخ من وسطه الأسرى الطبيعى يتحول الى كائن بيولوجى معزول عن وسطه البيئى الحيوى وهذا ما يؤثر فى نموه ويعوقه عقليا ونفسيا وجسميا كما أن عزل الطفل منذ طفولته المبكرة عن وسطه الأسرى يجرده من طبيعته الانسانية ، ويفقده القدرة على التعبير الانسانى والتكيف السلوكى ، والنتيجة شخصية غير مرضية منهارة ، وتعتبر المربية الأجنبية بمثابة العازل للطفل عن أسرته ووجودها داخل المحيط الأسرى صرف الآباء والأمهات عن القيام بأدوارهم التربوية وتستمر المربية فى عزل الطفل عن مربييه الطبيعيين وتنفرد به لتشوه كل القيم والمشاعر التى لا تتولد الا فى أحضان أسرته العضوية الطبيعية ٠

المربية واللغة عند الأطفال :

ان مخاطبة المربية الأجنبية لأطفالنا بألفاظ أعجمية ولغة خليطة ما بين الفارسية ، الهندية ، والانجليزية والعربية يؤثر على درجة بعد ذلك يتضح أثرها تعلموه من الخادمة والمربية على ألسنتهم تعلمهم مفردات اللغة العربية الفصحى وعندما يقبل الأطفال على المدرسة وتعبيرهم وكأنهم لا ينتسبون الى أسر عربية وهنا توجه الاتهامات للمدرسة والمدرس والكتاب والمناهج ونتجاهل غزو المربيات وأثره على اللغة العربية وغيرها ٠

نتائج تربوية وأبعاد نفسية للمربية الأجنبية :

ان المربية الأجنبية المعايشة للطفل فترات طويلة من حياته اليومية انسانة ضائعة بين ثقافتين وحائرة بين نظامين فلا هى تجيد اللغة العربية لكى تقوم بنقل ثقافاتنا العربية الاسلامية ، ولا هى تستطيع نقل ثقافاتها الأجنبية لانها ثقافة غريبة عن ثقافتنا بكل قيمها وروحها ورموزها وحتى لو حاولت المربية نقل ثقافاتها فانها لا تثمر الا سوءاً ، لأن الثقافة لا تنبت فى تربتها ولا يتقبلها الا أهلها ، والنتيجة هى عزل الطفل عن ثقافته العربية الاسلامية المتجانسة فى سن يلازم فيها الصغير مربيته طوال وقته ، يمتص منها كل ما عندها من مشاعر وقيم ومهارات وخبرات فهى معلمته وملهمته وسكنه الجسدى والنفسى وهى كل شيء فى حياته ٠

فاذا نظرنا الى نتائج بعض الدراسات التى توضح خطورة المرحلة التي يعايش فيها الطفل مربيته، نجد أن الدراسات الحديثة أثبتت أن ٨٠٪ من النمو يحدث فى السنوات الثلاث الأولى وأن حوالى ٥٠٪ من النمو العقلى يحدث فى سن الرابعة وان البنية اللغوية عند الطفل كأداة

للتفكير والاتصال تبدأ من سن مبكرة فلهذا نجد أن الطفل « ابن المربية الأجنبية » يذهب الى المدرسة العربية مهتز الشخصية ممسوخ النفسية لأنه يذهب ومعه حصيلة ثقافية تربوية غربية « قطع ثقافى » يشعر معه الطفل بالغربة الاجتماعية والبعد النفسى والعقلى ٠

ولا يخفف من هذا الوضع المؤسف للطفل احتكاكه مع أفراد أسرته لأن المربية تتولى أمره وتنفرد به لساعات طويلة وتعنى بخدمته وتربيته منذ أن يتهيأ للنطق والادراك ويصبح تأثيرها عليه من القوة بحيث لا يتقبل غيرها تلقينه وتعليمه ٠

أبعاد نفسية واجتماعية :

ان انحلال شخصية الطفل واهتزازها ناتج عن معايشته للخدم والمربيات فترات طويلة من حياته اليومية بالاضافة الى تعرضه لأنماط متباينة من السلوك والتصرفات داخل الأسرة فمن جهة بسلوك وتصرفات والديه اللذين يراهما فى ساعات قليلة ومن جهة أخرى سلوك وتصرفات المربية التى تنفرد بتربيته وتوجيهه معظم الوقت فهو لا يدرى أيهما الصواب !! ٠

كما أن ابتعاد الطفل عن أمه يفقده الشعور بالأمان والحب والعطف فينشأ على ما اكتسب من المربية من سلوكيات ويسير خلف نوازع النفس الأمارة بالسوء وفقا لمزاجه ٠

أما البعد الاجتماعى لمعايشة الطفل للمربية بعدا عن أمه وعن الجو العائلى للأسرة بما فيه من روابط اجتماعية وعاطفة أبوية ، فانه يضعف ولاده واحترامه لوالديه وقد يؤدى به الأمر الى معاشرة وفقاء السوء الذين يقودونه الى طرق الفساد والجريمة ٠

المربية وحاجات الطفل النفسية :

ان الطفل الذى يتمتع بحنان ورعاية أمه نجده يتمتع بصحة نفسية أفضل بكثير من الأطفال الذين يتلقون الرعاية من أشخاص غير الأمهات سواء أكن مربيات أم غيرهن ، فالطفل ليس فى حاجة الى مأكل ومشرب وملبس بقدر ما هو بحاجة الى الشعور بالحب والدفء والحنان الحقيقى ونحذر الأمهات من خطورة المفاهيم الخاطئة التى يكتسبها الطفل من مربيته وأساليبهن غير الانسانية فى تربية الأبناء فقد يلجأ بعضهن الى اعطاء الأطفال بعض الادوية المخدرة للتخلص من ازعاجهم أو التعدى عليها بالضرب وغيره ٠

اذا كان ولا بد من مربيه فى البيت فيجب علـى الأمهـات مراقبتهن جيداً وتخصيص بعض من أوقاتهن لمراقبة أبنائهن ورعايتهم حتى يظلوا متعلقين بهن ٠

الانحرافات السلوكية :

لا يمكن أن نعتبر أن الطفل فى مأمن من الانحراف السلوكى بوجود الخادمة حيث يتعذر على الأسرة أن تحيط بمثقال ذرة عن سلوكياتهـا وعن ما فيها ومع ذلك تسلم طفلها بين يديها ورحمتها ومن يدرى ماذا يحدث للطفل فى غياب الأم أو الأب فكثير من الاطفال تعرضوا لاعتداءات خلقية من الخدم ، وتعرضوا للاهمال وللمعاملة القاسية وقد تحـدث هذه الأمور نتيجة رد الفعل من مواجهة الخدم لمعاملة غير حسنة من ربـة الأسرة فتجد أن متنفسها الوحيد هو الانتقام من الأطفال ٠

السائق ٠٠ والمنزل :

ان وجود السائق فى المنزل والاعتماد عليه فى كثير من الأمـور يلغى فرص التعاون بين الأسرة ويفقدها حق المراقبة على تحركـات أبنائها بحيث لا يعـلم الأب أو الأم أين يذهب أبنـاؤهم ؟ ومن هم اصدقاؤهم ؟ وهل يذهبون للمدرسة أم لا ؟ ومن هنا لا بد من تحديد مهام السائق ووضعه تحت المراقبة الشديدة والدقيقة بالاضافة الى انه لا بد لرب الأسرة أن يتولى بعض المسئولية بنفسه بحيث لا يعتمد عـلى السائق فى كل صغيرة وكبيرة ٠

ومن الطبيعى ان نختم مقالنا بمقترحات وتوصيات نرجـو أن تأخذها الأسرة بعين الاعتبار والتقدير تحمـلا لمسئوليات خـطيرة فى مواجهة العمالة الأجنبية المتمثلة فى الخدم والمربيات والتى قد لا نشعر بشدة خطورتها فى الوقت الحاضر ولكن فى المستقبل وعلى المدى البعيد ستتضاعف المشكلة وسيتعذر علينا مكافحتها يوم لا تنفع ساعـة ندم ٠ وقد جاءت هذه التوصيات اعتمادا على كثير من الدراسات الاكاديميـة والابحاث العلمية وبناء على ما تقدم فاننا نرى ـ التشديد على دراسة وضع الأسرة واحتياجها الصحيح للخدم قبل السـماح لها باستقـدام المستخدمين حيث اتضح أن بعض الأسر تستقدم أكثر من احتياجاتهـا وتعلل ذلك بأسباب واهية أو مظهرية ٠

★★ وضع الضوابط الكافية مـع ايجاد عنصر المراقبـة على أعمال مكاتب الاستقدام باعتبارها الجهة التى هى فى الغـالب تختار الخـدم ٠

★★ ضرورة تطبيق الضوابط الصحية المحكمة بكل تدقيق للتأكد من سلامة من يستقدمون من الخدمة صحيا لتضمن خلوهم من الأمراض المعـــــدية ٠

★★ الحرص على استخدام العاملين المسلمين تفاديا للمشكلات الناجمة عن استخدام أصحاب الأديان الأخرى ٠

★★ ضرورة اهتمام وسائل الاعلام بكافة قنواتها بتوعية وترشيد الأسرة السعودية عن السلبيات التى تصاحب استخدام الخدم وما ينبغى عليهم من احتياجات تكفل تفادى هذه السلبيات ٠

ويمكن ان يتم ذلك عن طريق البرامـــج الدراميـــة والنـــدوات والمحاضرات وغيرها من مشاركة المؤسسات التعليمية والثقافية الأخرى٠

★★ تبصير الراغبين فى القدوم للعمل بالمملكة بنظام الحياة فى المجتمع السعودى وذلك بتوفير كتيبات موجزة عن المملكـــة العربيـــة السعودية بلغات مختلفة لشرح مبادىء الدين الاسلامى الحنيف والتعريف بالثقافة وبالعادات وبالتقاليد المستمدة منه والســـائدة فى المجتمـــع السعودى ٠

ويبقى الشىء الأخير أنه كان من الطبيعى أن تواكب أية مسيرة تنموية بعض المشاكل وكعين تقدر ما يؤكد على وجود سلبيات للمستخدمين نرى أيضا من الوجه الآخر ايجابيات لهذه العمالة لا يمكن أن نغفلها أو نتجاهلها كناحية موضوعية ، فبالوعى الاجتماعى ندرك الأخطـــاء ونتفاداها ٠

العمالة الأجنبية « الشحاذة » :

وجه آخر للعمالة الأجنبية تمثل بما اصطلحت عليه بالتسميـــة العمالة الأجنبية المتسيبة أو « المتسربة » أو « المتسكعة » والتى يوجـــد أعضاؤها فى الشوارع العامة وبعض الأماكن الرئيسيـــة يسرحـــون ويمرحون ويتجولون بالطول والعرض رأسيا وأفقيا ٠٠ يزاولون مهنـــة « الشحاذة » ليقتاتوا منها فاذا ما ساقتك الأقـــدار وأنت تمـــر بسيارتك فأول ما سيواجهك عند الاشارة الحمراء للمرور التجمع الكبير للعمالة الأجنبية المتعددة الجنسيات تهجم عليك كأسراب الجراد التى تأكـــل المحصول ٠٠ وأمام توسلها ورفع الأيادى واستثارة العواطف فغالبـــا ما تضعف ـ أيها المسكين ـ فتخرج من جيبك ماتيسر لك اعطاؤه ٠٠ ولكن الشىء الذى لفت نظرى وأثار تعجبى أن هذه العمالة تكاد تكون منظمة ومحتاطة فى مزاولة مهنتها بدقة وحذر شديد ولأنها يبقو لهـــا

برج مراقبة في حالة توجه الحملات ضدها ، فجهازها الراداري مكرب عليه عيون ساحرة تتربص وتلتقط القريب والبعيد فاذا ما داهمتهـــا دوريات « مكافحة التسول » فانها سرعان ما تهرب وتختفي وتتوارى في أوكارها ٠٠ وثمة عمالة أجنبية أخرى بنفس التسكع والتسول تباشر الوجه الآخر من العملة ، والتي غالبا ما تحمل « الراية الحمـــراء » لتنظيف الواجهة الزجاجية الأمامية لسيارتك فتدفع مكرها أو مجبراً أخاك ٠٠ ولا أدري ان كانت هذه العمالة تحمل ترخيص اقامة أم لا ؟!! فذلك يرجع الى الجهات المختصة ، مع انني واثق تمام الثقة ان عـــين الرقابة لم تغفل عنها ٠٠ ويبدو انها حاملة الترخيص للاقامة ولكنهـــا متسيبة من كافلها ٠٠ ويبقى دور الصحافة مهماً جداً في متابعة ومراقبة التسول بعدسة صحفية خفية ميدانية تساعد مكافحة التسول بأن تلقى القبض على هؤلاء المتسولين ، أما الطريقة التي تقـــوم بهـــا الصحـــافة فستكون من السهولة بمكان اذا راعت العملية الصحفية بأن تكون زيارات ميدانية لتلك المواقع التي يوجد فيها المتسولون ، فالصحـــفي الميداني الناجح سيحكم خطته بـ « الاختلاط » مع هذه الفئات ويدعى انه أحـــد أعضائها ثم يتقمص أدوارها حتى يهتدى أو يتوصل الى وكرها وبهذا العمل الدرامي الصحفي سيساعد الى حد كبير بأن يهدى « مكافحـــة التسول » أفراد وجماعات هذه الشريحة العمالية التي خرجت عن انظمة البلد وقوانينه ٠

حان الوقت والزمن لتكثيف الجهود الصحفية بحملات صحفيـــة ميدانية مركزة بالتعاون مع مكافحة التسول للخلاص منها خصوصا وان موسم الحج قد انتهى والله من وراء القصد ٠

المحطة الأخيرة :

اهداني الشاعر المبدع الصديق يحيى توفيـــق ثلاثة دواوين من مجموعاته الشعرية وان جاءت متأخرة فلا بد من وجوب الشكر على هذه الهدية الثمينة وتراني اليوم وانا اقلب صفحـــات الدواوين وقعت عيني على قصيدة شعرية شدت اعجابي واهتمامي ولأنني أحسست فيها صدق العاطفة والمشاعر والاحساس اخترتها للقـــارئ وهي بعنوان : (من كان ٠٠) شعر يحيى توفيق :

من كان يحدث فاتنتـــــي   في جوف الليل ويطربهـــــا
من كان بهمس يسمعهـــــا   كلمات الحب ويغريهـــــا

من كان يغـازل سيـــدى ويديب الحـــرف ليرضيهـــا
من كنا يداعب يسمتهـــــا فتضيء وترجـــع تخفيهـــا

★★★

المراجــــع :

١ ـ عبد الرحمن محمد على وآخرون ـ مجلة التربية ـ العدد التاسع والسبعون ـ الحلقة الأولى ـ صفحة (٤٦ ، ٤٨) •

٢ ـ عبد الرحمن محمد على وآخرون ـ مرجع سابق •

٣ ـ عبد الرحمن محمد على وآخرون ـ مرجع سابق ـ صفحة (٤٤) •

٤ ـ حسين عبد العال : التربية والتعليم فى ظل الاسلام ـ ص (١٣٥ ـ ١٣٦) •

تعليم الكبار ومحو الأمية وأثرهما على المتمع
ماذا لو أصبح التعليم الابتدائى اجباريا ؟! (★)

لقد وظفت وسائل التقنية الحديثة لخدمة نظم التعليم العام فى القضاء على الأمية ، وأدت بالتالى دورا مهما فى ايجاد وتكوين أسلوب علمى مساعد الى حد كبير فى استيعاب مناهج التعليم بشكل سريع وجذاب وفعال ·

ولما كانت الأمية تشكل عبئا نبيرا على الصعيد العالمى والقومى على السواء ، وبخاصة فى العالم الثالث ، أخذت الدول النامية تهتم بدرجة كبيرة على مكافحة هذه الأمية ، فأعارتها جل اهتمامها ورصدت لها الامكانات المادية ، والبشرية ، والتقنية بشكل سخى ، غير ان نصف سكان العالم لازال يعانى من هذه المشكلة ، وعلى وجه الخصوص تشكل هاجسا كبيرا فى هذه الدول ، وبمراجعة دقيقة احصائية على الأميون كبار السن وبعد أن ارتفعت نسبة الأمية فى الدول النامية أصبحت سكان تلك الدول وجد أن نسبة الأمية بين الاناث أكثر منها فى الذكور ، ويرجع ذلك الى أسباب وعوامل تاريخية واجتماعية معروفة أدت فى بعض الدول بالتالى الى تأخر تعليم المرأة ، وعدم الاهتمام بها ، ناهيك عن انتشار الأمية بين سكان الريف والبادية أكثر من انتشارها بين سكان الحضر ، والسبب فى ذلك يرجع مرده الى قلة وجود المؤسسات الثقافية والتعليمية فضلا عن الطبيعة التلقائية لذلك المجتمع الريفى البسيط ·

★★★

دواعى الاهتمام بمحو الأمية :

لقد أصبح التعليم ضرورة من ضروريات الحياة وأساسا مهما

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ٨٦٩ ـ ١٤١٠/١١/١٤ هـ ·

من الأسس الثقافية والحضاريه فى المجتمعات الحديثة ، وأصبح العصر الذى نعيش فيه يرفض وجود أميين (١) خصوصا وان الأمية تتمركز أحيانا في فئات العمر المنتجة فان بقاءها بشكل خطورة تنعكس على وجود الاختلال فى توازن الانتاج العام في شتى الميادين الاقتصادية ، والاجتماعية والزراعية وغيرها للدول ، وانطلاقا من هذه النظرة لتلك العصور أخذت كثير من الدول النامية تهتم باعداد برامج تعليمية متقدمة للقضاء على الأمية لكي تحقق لذاتها معيار التقدم الاقتصادى والاجتماعي وفق أساليب حديثة تتجه بها الى النهوض بمستوى الانتاج فى كافة الميادين ، بدءاً من تنظيم الاستثمار وتوظيفه بشكل مدروس علميا ٠

كما أن للادخار أهمية قصوى لا ينبغى أن يستهان بها بالاضافة الى الاهتمامات لعمل ضبط استهلاكى يتوافق مع الاحتياج العام لتلك الدول ، مع مراعاة الاهتمام بتحديد النسل والعناية بالصحة العامة التى ترتبط بشروط الغذاء الجيد ـ أما فيما يتعلق بالتنمية الاجتماعية ، فمن أهم مظاهرها ممارسة الديمقراطية التعليمية التى يوفرها التعليم ٠

فالمتعلم أكثر قدرة على المعرفة في الاستفادة من الخدمات الصحية والثقافية ، والاجتماعية التى تقدمها له الدولة ، وهو أيضا أكثر تقبلا للمتغيرات الحضارية التى تتجه به نحو الاتجاه السليم بما تقتضيه طبيعة التطور والنمو الذى يحدث فى ذلك المجتمع ٠

فـ « الأمية » اذا انتشرت فى مجتمع من المجتمعات فانها تشكل عائقا كبيراً فى تنمية النمط الخلقى القومى الذى يؤدى بالتالى الى عدم التماسك الاجتماعى بين الأفراد ، وهو عائق فى سبيل اكتساب الاتجاهات المرغوبة فى المستوى الفردى والاجتماعى ، ومن هذه الدواعى وتلك الأسباب اهتمت البلاد العربية والدول النامية بوجه عام بمكافحة الأمية ٠ ومحاولة القضاء عليها نهائيا ٠

تقديم الجهود المبذولة :

يتضح من تتبع جهود الدول العربية المبذولة فى محو الأمية ان هذه الجهود متواضعة جدا اذا ما قورنت بحجم المشكلة ، وان الدول العربية لم تضع محو الأمية من حيث الأهمية فى مكانها الذى تستحقه ، فقد أشار تقرير المؤتمر الاقليمى الثانى لتقويم نشاط محو الأمية فى الدول العربية فى الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧١ (الذى عقد بالاسكندرية في ديسمبر ١٩٧١) الى أن معدل الانخفاض السنوى فى نسبة محو الأمية بالبلاد العربية بتعليم ثمانية من ٥٪ الى ٧٪ وان من بين كل

ألف أمي تقوم البلاد العربية بتعليم ثمانية أميين ، وان الذين يستفيدون فعلا من التعليم يبلغ عددهم خمسة أفراد فقط ٠

ومعنى هذا أن البلاد العربية لو سارت بهذا المعدل فانها لا تنتظر أن تمحى الأمية قبل ٤٢ سنة اذا افترضنا أن عدد الأميين ثابت ، وهذا افتراض غير سليم لاننا نعلم أن هناك زيادة مستمرة فى عدد السكان يصل معدلها السنوى فى البلاد العربية الى ٨ر٢٪ ، وان نسبة الاستيعاب فى التعليم الابتدائى مازالت قاصرة عن استيعاب كل الأطفال الملزمين ، وان عدداً غير قليل ممن يتخرجون فى المدرسة الابتدائية أو فصول محو الأمية يرتدون ثانية الى الأمية ، كما أن هناك العديد من التلاميذ لا يكملون الرحلة الابتدائية (٢) ٠

أسباب فشل جهود محو الأمية فى الدول النامية :

ثمة أسبـاب ودواع أدت بالتالى الى فشـل هــذه الجهـود ومن أبرزها عدم الوعى بخطورة المشكلة ، فالدول النامية تفتقر الى الاحساس الحقيقى بخطورة مشكلة الأمية وآثارها السلبية على التقدم الاقتصـادى والاجتماعى لهذه البلاد فى مرحلة تطورها الراهنة ، ويترتب على هـذه الناحية عدم اعطاء محو الأمية الاهتمام الذى تستحقه من وجهة نظـر اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ومالية ، فان انعكاس هــذه الآثار سيؤدى بالتالى الى ضعف مستوى الانتاجية بوجه عام اذ أن غياب هذا العنصر الفعال هو الذى يتسبب فى ذلك التردى ٠

الامكانات المالية المخصصة لمحو الأمية :

لازالت الامكانات المادية التى تخصصها الدول الناميـة لتعليم الكبار ومحو الأمية متواضعـة الى أبعد الحدود اذا ما قـورنت بحجـم المشكلة وضخامة العمل ٠ فان توفر المال هو العنصر الفعال بل هو عصب كل مشروع ، وانطلاقا من مفهومنا لهذا الدور فى فاعليته المادية يقتضى الأمر الى اعادة النظر فى زيادة المخصصات للمشروع التعليمى لمحـو الأمية ٠

الفجوة بين محو الأمية وخطط التنمية :

لقد اتجهت خطط محو الأمية الى انتهاج أسلوب الاعتماد عـلى الجهود القائمة بين الأفراد والهيئات والجمعيات الخيرية والتطوعية ، وهذا بالتالى أدى الى حدوث فجوة بين محو الأمية وخطط التنميـة ، ولازالت الأمور فى شكلها العام تحتاج الى اعادة النظر فى تقييم أمور

خطط محو الأمية ، بحيث يعاد النظر فى تلك الخطط وفق ابعادها التنموية والعلمية لكى تتوافق مع خطط التنمية لتلك البلاد فى مراحل تطورهـــا العـــام ·

ما هى الأسباب التى أدت الى اعاقة تعليم الكبار ومحو الأمية على النحو المطلوب ؟!

لقد أسفرت الدراسات العلمية ، والبحثية التى قام بها العديد من العلماء والباحثين ، والمتخصصين فى مجال التربية وتعليم الكبار عن حقيقة ان ثمة مشاكل وراء هذه الاعاقة من أهمها :

١ ــ قلة كفاءة تنظيمات وأجهزة محو الأمية ·

٢ ــ نقص وضعف تشريعات محو الأمية ·

فبعض البلاد العربية يوجد بها تشريعات لمحو الأمية وبعضهـــا لا يوجد به مثل هذه التشريعات وبعضها يخضع لعشـــوائية الطرق والضرورة الملحة بينما يخضع بعضها الآخر لدقة التنظيم والتخطيـــط المسبقين ، ولا شك أن هذه التشريعات من شأنها أن تنظـم وتحـــدد مسئولياتها وجهات تنفيذها ، ومن هنـــا كـــان من الضرورى وجـــود تشريعات لمحو الأمية تشتمل على كل هذه الضمانات ، ومن بينها النص على التزام الدولة بهيئاتها وأجهزتها المختلفة على تهيئة فرص التعليم للأميين والتزام هؤلاء بالحضور والانتظام فى الدراسة ·

سياسة التعليم ومحو الأمية وتعليم الكبار :

مع صدور سياسة التعليم فى المملكة عام ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م بدأ تطور فى نظام تعليم الكبار ومحو الأمية (٥) ، وفيما يلى المواد المدرجة لسياسة التعليم :

المادة ١٨٠ : تهتم الدولة بمكافحة الأمية وتعليم الكبار وتدعيم هذا النوع من التعليم فنيا وماليا واداريا ، وذلك تحقيقا لرفع مستوى الأمية وتعميم الثقافة بين أفرادها ·

المادة ١٨١ : تستهدف مكافحة الأمية وتعليم الكبار وتحقيـــق الأمور الأساسية التالية :

(١) تنمية حب الله وتقواه فى قلوبهم وتزويدهم بالقدر الضرورى من العلوم الدينية ·

(ب) تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ٠

(ج) التوعية العامة فى شئون الحياة ، ويوضح المنهج مستوى الدراسة والخطة التفصيلية والمواد التدريسية ٠

المادة ١٨٢ : توضح من قبل الجهات التعليمية المختصة خطة زمنية قائمة على الاحصاء لاستيعاب الأميين ، والقضاء على الأمية ، وتتعاون فى تنفيذها الوزارات والمصالح المعنية ٠

المادة ١٨٣ : تكون فترة المكافحة والتعليم على مرحلتين :

(أ) المرحلة الأولى : وتنتهى بالحصول على شهادة محو الأمية ٠

(ب) المرحلة الثانية : المتابعة لنيل الشهادة الابتدائية ٠

المادة ١٨٤ : تسهم وسائل الاعلام فى التوعية العامة التى تشعر الأميين بأهمية التعليم وتساعدهم بالبرامج التعليمية الممكنة ٠

المادة ١٨٥ : يشجع الأفراد والجامعات على الاسهام على مكافحة الأمية وتعليم الكبار تحت اشراف الجهات المختصة ٠

المادة ١٨٦ : تسهم المدارس الأهلية فى هذا النوع من التعليم ولا تصرف اعانتها الا اذا شاركت بنصيبها المقرر فيه وفقا لنظام التعليم الأهلى ٠

المادة ١٨٧ : تتولى الجهات المختصة محو الأمية بين النساء وفق امكاناتها وتكيف برامجها بما يحقق الأهداف الخاصة بتعليم المرأة وفقا لأحكام الاسلام ٠

وبنظرة عابرة فاحصة لسياسة التعليم ومحو الأمية وتعليم الكبار فى المملكة العربية السعودية ، نخرج بانطباع أن هناك ثمة اعتبارات رئيسية ومهمة أدت دوراً ايجابيا فى خلق روح التعاون والمشاركة بين المؤسسات التعليمية الحكومية ، والثقافية ، والاعلامية ، والتعليمية الأهلية وغيرها من المؤسسات الأخرى ، العامة والخاصة وفى تعليم الكبار ومحو الأمية ، ومن خلال هذه المشاركات كانت التنمية مرضية الى حد لا بأس به فى خدمة هذا القطاع التعليمى الذى أصبح يحتل أهم جزء من مجتمعنا على الصعيد العام خصوصا فيما يتعلق بالكبار والشباب الذين فاتهم ركب التعليم ٠

وفى خلاصة الموضوع ونحن نتحدث عن قطاع تعليم الكبار ومحو الأمية يتبادر الى ذهنى أمل كبير بأن يصبح التعليم الابتدائى اجباريـا على الصغار للحد من انتشار الأمية ، وبذلك نكون قد ضمنا ـ ان شاء الله ـ تقويض المشكلة وحصرها من أساسياتها وفي مهدها الأول بمرحلة التعليم الابتدائى منذ الطفولة ، والذى يصبح كمؤثر وقائى ، وعلاجى فى نفس الوقت لمكافحة الأمية ٠

ونسأل الله التوفيق للجميع ٠ ،،

المراجـــــع :

(١) الدكتور يحيى هندام (٠٠٠٠٠٠) ، تعليم الكبار ومحو الأميه ، عالم الكتب ، القاهره (١٩٧٨ م) ص ١٧ ٠

(٢) المرجع السابق ص ١٨ ، ١٩ ٠

(٣) سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، الباب السابع ، زكريا يحيى لال ٠

العنوسة وآثارها الاجتماعية بين الظاهرة والعلاج (★)

الدراسات والأبحاث العلمية النظرية والميدانية التى تناولت ظاهرة العنوسة فى الجنسين ذكوراً واناثا لازالت قلة بل ندرة لم تشبع هـذا الميدان بحثا الا ان بعض هذه الدراسات الميدانية افادت الى حد كبير فى موقعها الجغرافى الذى خرجت منه ومع ذلك لم تظهر الى النور بـل توارت خلف ادراج المكتبات الجامعية وغيرها اذ أن الاستفادة منها فقط الدارسين والباحثين فيها لتكون أطروحات علمية تقدم لنيل الماجستير أو الدكتوراه شأنها شأن بعض الدراسات الاجتماعيـة والانسـانية والتطبيقية ٠

وساحاول هنا بقدر الامكان أن اتناول ظاهرة العنوسة واستفيـد من بعض تلك الدراسات التى وقعت تحت يدى بمحض الصدفة وان كنت أجدها قدمت لى لمتطلب مادة اختيارية أقوم بتدريسها فى الجامعـة ومهما يكن الأمر فان قضيتنا الرئيسية لظاهرة العنوسـة وأسبابهـا وآثارها الاجتماعية تشكل حدثا فى حياتنا العامة والخاصة ٠

وكما يقول الباحثون ان العنوسة أصبحت ظاهرة منتشرة فى كثير من المجتمعات العربية وباعتبار أن السعودية جزء من هذه المجتمعات فيهمنا أن نتوقف معها فى هذا الجانب من الموضوع ٠

ومن خلال اطلاعنا على كثير من الدراسات الميدانية التى تناولت ظاهرة العنوسة يتضح لنا انه يوجد عوانس فى الخمسين والستين من عمرهن وهن أميات أو خريجات كتاتيب الماضى ومع اننا لا نسلم من بعيد أو قريب من ذلك الاتهام الذى يوجه للتعليم بأنه هو السبب الرئيسى فى وجود العنوسة ، بل ان هناك عدة أسباب من وراء ذلك ساعدت الى حد كبير فى خلق هذه الظاهرة فى مجتمعنا ٠

(★) مجلة اقرأ ٠ ٢٨/١/١٤١٦ ـ ٦٥ ٠

فالزواج هو ذلك الجسر المقدس والنظام الالهى الذى شرعه الله تعالى لعباده منذ أن خلق آدم وحواء وهو سنة من سنن الدين دعا اليه الأنبياء والمرسلون · فاذا كان الزواج هو ذلك كله ·· فكيف بنا لجأ الى تحطيم جسره المقدس والغائه واعاقة طرقه بشتى الأساليب المختلفة للوصول الى العنوسة ·

واذا كانت العنوسة ظاهرة بمجتمعنا السعودى يعانى منها كثير من الفتيات سواء متعلمات أو غير متعلمات · فقد أوجدها المجتمع ذاته – على حد تعبير كثير من الباحثين فى هذه الظاهرة – ورغم ذلك لم تترك العانس فى حالها فينظر للفتاة التى لم تتزوج بل التى يتأخر زواجها لأى سبب من الأسباب بنظرة فيها لوم وعتاب وأحيانا بالشفقة وكأنما الزواج بيدها وهى ترفضه ·

ومهما كانت الأسباب والمبررات التى تقف فى وجه زواج الفتاة ، فان فيها غالبا ما يخرج عن ارادة الفتاة فمن الظلم أن نحملها مغبة ذلك وننظر اليها بتلك النظرة الضيقة التى لا ترحمها ، ذلك من العرف الاجتماعى الخاطىء مع اننا نعرف جميعا بل ندرك بأن كل فتاة تحلم بأن تكون زوجة وان يكون لها حياة زوجية مستقرة ومستقلة خصوصا اذا وفق الله لها ذلك الزوج الصالح فى دينه وفى أمانته ·

فاذا ما أردنا أن نتوقف فى حالة الفتاة العانس من الناحية السيكولوجية والصحية والاجتماعية نرى بأم أعيننا انها تنظر الى اللاتى أصغر منها سنا ولديهن أطفال فى المدارس وهى ما زالت بنتا لم تتزوج ولا أعتقد أن مثل هذه التوترات تغيب عن أذهان الآباء والأمهات وهم ينظرون الى فتاتهم وهى فى شدة المعاناة وقد يكون مرد ذلك يرجع الى وقوفهم فى وجه زواجها لأى سبب من الأسباب الثانوية اما لوجود فارق من الفوارق الاجتماعية أو غير ذلك مما لا يتعارض مع الشروط الشرعية التى نادى بها الشارع ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه » وقد أعطى صلى الله عليه وسلم تطبيقا عمليا لما دعا اليه الاسلام وذلك حين خطب ابنة عمه السيدة زينب بنت جحش وهى الشريفة القرشية الى زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك عبداً ، فلما امتنعت السيدة زينب وتعالت بنسبها نزل القرآن الكريم بقوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فلقد ضل ضلالا مبينا » (*) وهكذا تم الزواج بين الاثنين بأمر الله تبارك وتعالى لتوفر

(*) سورة الأحزاب آية (٣٦) ·

سببا فى تاخر الزواج لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » ، فلو أن مثل هذه العادات أو تلك التقاليد التى تقف فى وجه الزواج لها من الفرائد على مستقبل الحياة الزوجية لسبقنا بها سيد البشرية وهو القائل : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وذلك فيما يتعلق بالامور التى أوجدها المجتمع لتكون عوائق فى تطبيق سنة الله مع أن الاسلام يريد أولا وأخيراً رتيسير الزواج ·

ويعتبر موضوع الزواج من الموضوعات التى يهتم بها كل فرد موجود فى هذه الحياة فقد تطرق اليه كثير من العلماء والباحثين ، ونبهت اليه الشريعة الاسلامية ، والزواج هو الأسلوب الأمثل الذى اختاره خالق الكون لتوالد والتكاثر واستمرار حركة الحياة (١) لذلك اهتم به علم الاجتماع العام ويهتم بدراسة الأسرة والزواج وبما أن الزواج سابقا فى تكوين الأسرة أحيط بأهمية كبيرة من جانب العلماء والدارسين والباحثين فيه والحث عليه فى سن معقولة ، لذلك مازال علم الاجتماع يحتاج الى البحث فى ذلك الموضوع وخاصة بعد ازدياد ظاهرة العنوسة بين الفتيات ومعرفة العوامل المساعدة فى تكوين الظاهرة هل تزمع :

١ ـ الى العامل التعليمى ·

٢ ـ هل ترجع الى العامل الاقتصادى ·

٣ ـ هل ترجع الى العادات والتقاليد المتبعة ·

٤ ـ هل ترجع الى زواج الشباب السعوديين بالأجنبيات ·

وباختبار هذه العوامل بعد أن وضعت لها الفروض العلمية ، خرجت الباحثة « مديرة التوجيه التربوى بالمخر » (٢) بالنتائج التالية :

١ ـ عدم تمسك المتقدم بأصول الشريعة الاسلامية ، ومما يبشر بالخير اجماع من شملهم البحث أن يكون الزوج والزوجة من المهتمين بأصول الشريعة ·

٢ ـ غلاء المهور وتكاليف الزواج انما أخذت تخضع لعادات الغرب ·

٣ ـ تمسك الأب بزواج الكبرى قبل الصغرى مما يضيع الفرصة على الاثنتين ·

٤ ـ عزوف الشباب عن الزواج من الفتاة الجامعية وخصوصا الطبيبة·

٥ ـ احساس بعض الفتيات بعدم وجود الزوج المناسب من الناحية الوظيفية وخاصة اذا كانت تعمل فى منصب قيادى ·

٦ ــ التمسك بالسكن المستقل سواء الأباء أو الفتيــات دون مراعـــاة لحالة المتقدم المادية والاجتماعية ٠

هكذا كانت نتائج الدراسة الميدانية عن عوائق الزواج بين الشباب بالمنطقة الشرقية ومن جهة أخرى سألقى الضــوء على بعض التوصيات والمقترحات التى تقدمت بها باحثة أخرى فى نفس الموضوع مع اختلاف الموقع الجغرافى لها بمدينة ينبع البحر وجدة ، وتأتى هذه التوصيات والمقترحات نتيجة دراسة علمية متأنية وجادة راعت فيها الباحثة أبعاد القضية وآثارها من كل الجوانب ، بالاضافة الى وضع الحلول العلمية التى ستساعد الى حد كبير فى علاج المشكلة ـ باذن الله تعالى ـ أو فى تخفيض نسبة ارتفاعها اذا ما ارتفعنا بدرجــة الوعى والادراك لــدى منشئيهــا ٠

التوصيات والمقترحات

١ ـ التوعية الجيدة للفتيات اللاتى يكن السبب فى تأخر زواجهن لأجل مواصلة التعليم ما فوق الجامعى · لأن تعليم الفتاة مؤثر على ازدياد عنوستها · وذلك بتوضيح أهمية الزواج وأنه شرع لأهداف سامية ومقدسة ، وليس لتحقيق رغبات خيالية ومظاهر مادية ·

٢ ـ الدعوة لأولياء الأمور خاصة ان يتقوا الله فى بناتهم وان يكونوا على قدر المسئولية التى أعطاها الله وهى الولاية فلا يستحقها من هو يستبد بها ، وعلى الفتاة أن تطلب حقها ، فهو حق مشروع انزلته الشريعة لاستقرارها وحفاظا على الفرد من عدم الانخراط فى السلوك الخرافى ·

٣ ـ العمل على مساعدة كل شاب يريد الطريق الحلال ماديا ومعنويا والتعاون والوقوف معه ·

٤ ـ محاولة وضع حد للمهر والسير على سنن رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم والقدوة للسلف الصالح والصحابيات رضوان الله عليهم ·

٥ ـ ان يدرك الشباب أن الفتاة المتعلمة هى الأقدر على اسعاده وتربية أولاده ·

٦ ـ التقليل من تكاليف الزواج والشروط غير اللازمة والعدل فى الأمور لأن الحياة الزوجية تهم الزوجين فقط وليس للأهل دخل فيها ·

٧ ـ توعية الجميع وتحلله من العادات والتقاليد الصارمة التى تعيق الطريق الشرعى الالهى الذى أمر الله به ولو كان ذلك فيه خير

(★) مجلة اقرأ ، ١٤١٢/١/٢٨ هـ ـ ٦٥ ·

لسبقنا أفضل البشر لذلك ووضع الحدود الجامدة والعادات فى منع ذلك ولسقنا الصحابـة ٠

٨ ـ نشر الوعى الدينى للمجتمع والسير على المنهج الاسلامى وليس تحقيق أهداف ورغبات فقط ٠

٩ ـ توعية الشباب بالزواج من الفتيات المسلمات السعوديات ويضع دائما فى ذهنه أن الأجنبية لها آثار سلبية فى تربية الأطفال ٠

١٠ـ وضـع شروط وقوانين لكـل شـاب مسافر للخارج لأجل التعـليم بألا ينتهز الفرصة ويتزوج هناك ٠

١١ـ على الشاب دائما أن يشعر انه لا يوجد تفاهم بين الأجنبية وبينـه فى كثير من الأحيان ٠

١٢ـ القضاء على كثير من العادات والتقاليد التى لا يرضى بها ديـن ولـم ينـزل بهـا افي مـن سلطـان مثـل زواج الـكبيرة أولا ثم الصغيرة (٣) ٠

والله تعالى ولى التوفيق ٠ ،،

المراجـــــع :

١ ـ أبو العباس ، عادل عبد المنعم ـ الزواج والعلاقات الجنسية فى الاسلام ، القاهرة مكتبة القرآن ١٩٨٧ ص ١٦ ٠

٢ ـ الدوريات المدنية عوائق الزواج بين الشباب ٧٣٠٧ ٠ السبت ٢٧ شعبان ١٤٠٧ هـ ، ص ١٦ ٠

٣ ـ نادية عبد الحميد الحربى العنوسة أسبابها وآثارها الاجتماعيـة جدة بحث ميدانى مقدم لجامعة الملك عبد العزيز للحصول عـلى البكالوريوس عام ١٩٩٠ م ، ص ١١٢ ٠

دور القيادات الادارية المتخصصة
وأثرها علي الكفاءة الانتاجية (★)

أصبحت الادارة الحديثة تعتمد اعتمادا كليا على المعايير الموضوعية في صنع القرار بأشكاله المختلفه ، وهذا ما أدى بالتالي الى ضرورة الأخذ بالمعايير العلمية لأي عمل اداري ، وفي صنع أي قرار ، وأصبحت الادارة منهجا وسلوكا علميا يقوم على القياس ، وعلى التجريب ، وعلى التطبيق في كل ما يتعلق ببناء الهيـاكل التنظيميـة والتشريعيـة والبشريـة ، والمادية ، ففي ظل تقدم العلوم الادارية وتطورها أصبحت الادارة هي قلب المؤسسة أو المنشأة بل هي الروح التي تضخ في جسد المنظمة ، وفي بعث الروح لها سواء في المجال العلمي أو التطبيقي أو التنظيمي أو الانتاجي ، فالادارة يتوقف عليها نجاح أو فشـل أي مشروع اداري وهذا ما أدى بالتالي الى الأخذ بمبدأ المقولة الادارية ، الرجل المناسب في المكان المناسب ،وهذه المقولة تنطبق على الكفاءة الادارية المتخصصة التي أصبحت هي المعيار الحقيقي لنجاح المشاريع الانتاجية التي تديرها القمة الهرمية للادارة اذا توافرت فيها العناصر العلمية التي يحكمهـا المعيار الموضوعي للتخصص الذي يراعي أهمية التوجه الاداري والفني لعمل المؤسسة ، بحكم أن اصدار أي قرار يتعلق بالمؤسسات لا بد أن يكون قرارا علميا مبنيا على المنهج والأسلوب العلمي في جدواه ، في تخطيطه ، وفي تنفيذه ، ففي كل يوم تطـالعنا الدراسـات والأبحـاث العلمية التي تهتم بالعلوم الادارية الحديثة ، بنمط من الأنماط العلمية التي توصي بضرورة الأخذ بها في تحديث الادارة وفي تطويرها ، وفي تقدمهـا فالادارة لم تكن قاصرة على مفهومها الاداري الذي كان قـائما في

(★) جريدة البلاد ـ العدد ١٠٥٨٤ ـ ٢٩ يونية ١٩٩٢ .

العصور القديمة ، فذلك المفهوم يعتبر من ابجديات علم الادارة التى أخذنا بها بمبدأ ذلك العصر الذى خرجت منه ، ففى ظل عصر المعلومات وفى ظل التقدم العلمى بكل فروعه الانسانية ، والتقنية ، خرجت من بطن ، ورحم علم الادارة ، وغيرها علوم أخرى متفرعة ، فلم يعد علم الادارة عاما وشاملا بل يعتبر مدخلا لهذه العلوم ذات التفرعات المختلفة ·· وباختصار ·· فان الادارة الحديثة أخذت بمبدأ تطبيق قاعدة التخصص فى كل عمل ادارى ، وهكذا ــ كما ذكرنا آنفا ــ أوجدته طبيعة الدراسات العلمية التى اهتمت بتطوير ، وتحديث علم الادارة ليصبح تخصصا دقيقا فى فروعه أو تفرعاته فأصبحنا اليوم نسمع عن ادارة الفنادق والسياحة ، وادارة المستشفيات والمصانع ، وهكذا دواليك ··· وكل هذه التخصصات تعطينا مؤشرا واضحا بضرورة احترام التخصص الادارى عندما نفكر فى انشاء مؤسسات تجارية أو صناعية ، وغيرها ·· واصبحت هذه القاعدة العلمية التى تحترم التخصص الدقيق للادارة الحديثة مطبقة على كثير من مؤسساتنا التجارية ، والصناعية وغيرها ··· والتى اعتمدت الى حد كبير فى اختيار هيئاتها العليا الادارية من المتخصصين الفنيين كـ « التكنوقراطيين » وغيرهم ، فلهذا لم نر مشروعا تجاريا أو اقتصاديا أو صناعيا خرج من الادارة المتخصصة فاشلا أو خاسرا والسبب فى ذلك لم يكن خافيا على انسان هذا العصر الحديث الذى يؤمن بالتخصص الدقيق ، ان تلك المشاريع كانت مخططة ومدروسة ، وتحكمها « جدوى اقتصادية » التى تمت بالمعايير العلمية المتعارف عليها فى علم دراسة الجدوى ، والتى يعرفها المتخصصون فى علم الاقتصاد القياسى ، أو غيره ·· فاية دراسة للجدوى لا بد أن يشارك فيها العديد من المتخصصين ، ولا يحكمها تخصص واحد ، فالاستعانة بالخبراء الاداريين المتخصصين والمستشارين الاقتصاديين وغيرهم من الذين يشاركون فى صنع القرارات الاقتصادية التى تهتم بالمشاريع التجارية أو الانمائية أو الاقتصادية أو غيرها أصبحت من أساسيات نجاح كل مؤسسة أو منشأة نريد لها البقاء ، ونريد لها أن تحقق تقدما ملموسا فى كافة أنشطتها التنموية أو غيرها ·· والخلاصة ·· اننا لا بد أن نؤمن بقيمة التخصص وبالقيم الادارية الناجحة فى ادارة مؤسساتنا الاقتصادية والتجارية وغيرها ·· كما اننا لا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن معيار النجاح لها يتوقف على الكفاءة الادارية المتخصصة فلهذا ندعو صغار المساهمين الذين يتوجهون لكل دعوة الى الاستثمار أو لتوظيف الأموال أو فى شراء الاسهم التى تعلن عنها كثير من الشركات أو المؤسسات التجارية أن يستشيروا المتخصصين الذين انتشرت مكاتبهم فى المملكة أو أصحاب الخبرة الذين يتعاملون مع الأسواق العالمية أو المحلية،

عن سمعة هذه الشركات وعن مركزها المالي والاداري ، واضعا خطا احمر تحت ما اعنيه بالمركز الاداري الذي يمثل قمة الهرم للقيمة الاقتصادية للمؤسسات أو الشركات ، يحفظ أموالها أو استثماراتها ، أو تحقيق الارباح ٠٠ فأى عمل أو مشروع تجارى لا يقوم على دراسة الجدوى الاقتصادية ويدرس جيداً من كفاءة علمية متخصصة ومدربة ، يكون مصيره الفشل الذى يؤدى فى نهاية الأمر الى الضياع المالى ، والى الخسارة المحتومة ، فنحن نعيش فى عصر تقدمت فيه الأفكار الاقتصادية ، ودراسة الجدوى والثقافة التجارية ، وأصبحت المنافسة التجارية فى الأسواق المفتوحة قائمة على قانون العرض والطلب وتحتاج الى مفكر اقتصادى ، ومتخصص وادارة علمية ناجحة تفحص ، وتدرس ، وتدقق وتستنتج ، وتحدد الوجهة الاقتصادية التى تصيب بها تحقيق الهدف من وجهة نظر التخطيط العلمى السليم الذى يحقق النتائج الاقتصادية المتوقعة لتحقيق المستوى المطلوب من الأرباح ، ومن غيرها لتكون ضمانا لمستقبل الشركات والمؤسسات التى تتعامل مع الأسواق العالمية أو المحلية والتى تضم السواد الأعظم من صغار المساهمين ، ومن غيرهم نسأل الله ان يوفقنا جميعا لخدمة اقتصادنا القومى بدعمه وبتعزيزه وبالمحافظة عليه داخليا وخارجيا ونحن فى ظل السياسة الحكيمة التى تخطط لاقتصادنا القومى قد بلغنا ذروة « الانتعاش الاقتصادى » وأصبحنا من ضمن الدول التى يشار اليها بالبنان ، لقوة مركزها الاقتصادى بشهادة البنك الدولى وغيره من المؤسسات المالية والاقتصادية فى العالم فالذى يتابع ويقرأ النشرات الدولية التى تصدر من هذه المؤسسات بشكل دورى يطلع على الأرقام والاحصائيات التى تظهر قوة مركزها المالى والاقتصادى سواء على المستوى المحلى أو العالمى ، وهذا بفضل التخطيط السليم الذى تقوم به الادارات المالية والاقتصادية والاستشارية المتخصصة فى دراسة الأموال توظيفا واستثماراً فهى ادارة ذات كفاءة عالية ومدربة ومدعمة بالمستشارين المتخصصين ٠٠ ونحمد الله ان معظم مؤسساتنا الحكومية تديرها كفاءات ادارية متخصصة ومدربة ومؤهلة ، وقادرة على التعامل مع معطيات العصر الحديث علميا وثقافيا ، وفكريا وتقنيا ، فكل عمل ناجح ، ومشروع متقدم وراءه ادارة ناجحة يمكن ان نقول عنها بالمصطلح الحديث (التكنوقراطية) لكل تخصص ٠

ملحوظة : أرجو المعذرة من علماء الادارة لاننى تجاوزت تخصصى ولهم منى حق التقدير والاحترام فى مراعاة تخصصاتهم ٠٠

والله ولى التوفيق ٠ ،،

أهميـة الـوقت (★)

لقد اهتم الاسلام بقيمة الوقت ، واستغلال الفراغ فى أمور وقضايا تعود بالنفع على المسلمين ، فكما ورد فى القرآن الكريم وفى السنـة الشريفة من صور عديدة ، وبيان عظيم يوضح لنا فضل الله تعالى على الانسان فى قوله تعالى : « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً » ٠

ويأتى تفسير هذه الآية الكريمة أى أن الله جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل ، فمن فاته عمل فى احدهما يتداركه فى الآخر ٠

ولبيان أهمية الوقت نرى الله سبحانه وتعالى خـص بالقسم فى أكثر من سورة قرآنية ، وآيات كريمة شيئاً من مخلوقاته ، ففى مطلـع سورة الحديد فى أجزاء معينة مثال : الليل ، الضحى ، العصر ٠

وفى قول المفسرين ان الله اذا أقسم بشىء من خلقه فيعنى ذلك لفت الأنظار لتلك المخلوقات ، والتنبيه اليها فى قيمة منفعتها وآثارها ، وفى السنة النبوية ما يؤكـد على قيمة الوقت ومسئولية الانسان عـن هـذا الوقت أمام الله يوم القيامة ٠٠ اذ يسأل العبد فى يوم الحساب من ضمن الاسئلة الأربعـة الأسـاسية التى توجـه اليه سؤالين رئيسيين يخصان الوقت ، فعن معاذ بن جبل ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لن تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربـع خصال : عن عمره فيمـا أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » ٠

(★) مجلة اقرأ ، العدد ٨٣٣ ـ ١٤١٢/٣/١٨ هـ ـ ٦٧ ٠

وهكذا نفهم من الحديث ان الانســان يســأل عن عمره عامة وعن شبابه خاصة ، والشباب جزء من العمر ، فالقيمة هنا تكمن فى الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية ، ومرحلة القوة بين الضعفين ·

فالطفولة ضعف ، ومرحلة الشيخوخــة ضعف وشــعائر الاســلام تؤكد قيمة الوقت ، وضرورة الاهتمام بكل مرحلة منه ، ففى كل جزء من هذه الوقت يوقظ فى الانسان الوعى ، والانتبــاه والتركيز على أهمينه ، مع كل حركة كونية ، ودورة فلكية مع سير الشمس ، والــكواكب ، واحتلاف الليل والنهار ، وما يؤديه الانسان منفروضللصلوات الخمس بدءا من صلاة الفجر ، وانتهاء بصلاة العشاء ، وكلها مواقيت تحسب من قيمة الوقت ، وأهميته فى ممارسة الشعائر الاسلامية التى فرضها الله على العبد فى أوقات متفاوتة وبنظرة عابرة فاحصة الى عدد السنين التى مرت من عمر الانسان تمر بخواطره تداعيات يحسب انها حلم تبدد ، ووقت ضاع من العمر تتساقط فيها أوراق الخريف ، فهذا العمر الــذى طال ، فهو قصير ما دام الموت هو نهاية المطاف ، فكيف للانسان الذى يهدر العمر سدى ، ولا يستفيد منه فى أمور تنفع دنياه وآخرته ·

وكأنى بقول أحد الشعراء :

مرت ســنــون بالوصــــال وبالهنـــا
فكأنهــــا من قصرهـــا أيــــام

ثم انثنت أيـــام هجـــر بعدهـــا
فكأنهـــا من طولهـــا أعـــوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلهـــا
فكأنهـــا وكأنهـــم أحــــلام

وهكذا نرى السلف الصالح أكثر حرصا من أجيالنا على الوقت بدليل أنهم كانوا حريصين على قيمته فى الاستفادة منه بالتزود بالعلم النافع ، والعمل الصالح ومجاهدة النفس ، واسداء النفع الى الغير ، ولم يتركوا للوقت ان يضيع سدى ، ويقول ابن مسعود : ما ندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى ·

وفى قول بعض الصالحين : فراغ الوقت من الأعمال نعمة عظيمة، فاذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح لنفسه باب الهوى وانجــرف فى الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد فى صفاء قلبه فاذا أضاع الفرد وقت فراغه ى هوى النس ، والرغبــة للشهوات فانه خسر نفسه ، وأضاع العمر فى ذلك النفق الضيق الذى حبس نفسه فيه ·

من أمضى يوماً من عمره من غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه ، وبعد ذلك كله علينا أن نفكر ملياً فى الاستفادة من عامل الوقت بما يعود علينا من أمور نجنى منها الثمار التى بها تغذى عقولنا ، وأرواحنا وأن نكون من خير الأمم التى استفادت من كل نبتة خرجت من تربتها كما فعل أسلافنا من المفكرين والعلماء فى صدر الاسلام ، فكانوا يقضون الوقت فى البحث عن المعرفة والعلوم الى أن أصبحوا رواد فكرة وأصحاب حضارة عريقة ، وتراث فكرى عظيم ينم عن سعة الاطلاع ، وحصافة الفكر ٠

ففى التاريخ الاسلامى صور متعددة من هذه النماذج البشرية من السلف الصالح التى كان لها الفضل الكبير فى خروج العديد من العلوم الفلكية والطبية ، والكيميائية والفيزيائية وغيرها ٠ اذ أن الاستفادة من الوقت وقتل الفراغ لعبت دوراً كبيراً فى السيطرة على عقولهم ، وأفكارهم للبحث عن المعرفة والتعمق فى دراستها ، والخروج منها بتلك العلوم المتطورة فى وقتها وزمانها ٠٠ وهكذا اقتدى الغرب ، والشرق باقتفاء أثر علوم اسلافنا ، ومتابعتها ، والوصول الى أفضل النتائج العلمية ، والتقنية ، وما ذلك الا بالنظر الى البعد الفكرى فى الاستفادة من العلوم ، ومن الوقت ٠

ونسأل الله أن يوفق أمتنا الاسلامية ، وان يلهمها رشدها ، وصوابها فى كل ما تسعى اليه نحو الخير والصلاح ، والتقدم والازدهار ٠٠٠ (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ٠

أين نحن من المشاكل الأمنية
التى تواجه النقل الجوى ؟ (★)

« ارهاب » هذا المصطلح غامض فى المجتمع الدولى ويثير خلافات فى القانون الوضعى الوطنى أو الدولى .

وتشير التعريفات التى تناولت الارهاب الدولى الى ان الأنشطة الارهابية ظاهرة ليست حديثة فى العلاقات الدولية وذلك منذ ان استخدمت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ضد أهداف محددة منها رؤساء الدول ولكن مظاهر هذه الأنشطة قد ازدادت بشكل غير عادى فى القرن العشرين سواء من حيث العدد أو من حيث النطاق الجغرافى أو من حيث وجود العديد من المنظمات الارهابية ، ولا سيما فى عقاد الستينات والسبعينات ، والثمانينات حيث سادت العالم سلسلة من اعمال العنف والارهاب مثل القاء القنابل ، واختطاف الأفراد والطائرات الذى حدث فى كل مكان سواء لأسباب سياسية أو للحصول على فدية .

وتؤكد الاحصائيات الحديثة ان الارهاب الدولى أصبح ظاهرة تزداد يمارسها حاليا اكثر من ٣٧٠ منظمة ارهابية تجند نشاطها فى اكثر من ١٢٠ دولة .

وفى الآونة الأخيرة ظهرت حوادث خطف وتفجير للطائرات المدنية سببت قلقا للمجتمع الدولى ، وأحدثت خسائر مادية ، وبشرية هائلة اضافة الى الانخفاض الملموس فى حركة الطيران خاصة فى الأيام التى تلى كل حادثة ، حتى أضحى السفر بالطائرة عند الكثير مغامرة محسوبة بدلا من كونه متعة محببة .

(★) المدينة ، الاربعاء ربيع اول ١٤١٣ هـ .

وقد فرضت تلك الحوادث كما يقول عنها خبراء منظمة الطيران عبئا جديدا على قطاع النقل الجوى لبذل الجهود الكفيلة بالقضاء على هذه الظواهر التى من الممكن ان تقف عائقا فى سبيل التطور الملموس لهـذا القطاع المهم حيث اصبح الهاجس الأمنى مسيطرا على كل الجهود التى تبذل فى هذا المجال •

ووفق هذا التصور الذى أصبح يشكل ضرورة ملحة على اتخـاذ الاجراءات الأمنية التى من شانها أن تقضى على هذه الظاهرة ويعنى بها المشاكل الأمنية التى تواجه قطاع النقل الجوى وبالاخص خطف ، وتفجير الطائرات المدنية •• يقول خبراء منظمة الطيران الفيدراليـة الامريكية ان الاجراءات الأمنية التى تم تطبيقها فى بداية السبعينات لمنع حوادث الاختطاف قد ساهمت كثيرا فى انخفاضها •

يبدو الآن أن الأمور قد تغيرت كثيرا فحوادث الاختطاف العشوائية التى يقوم بها الارهابيون تحولت الى حوادث قتل ، وتفجير عشوائية ، فعندما تنفجر طائرة فى الجو بركابها يصبح السفر بالجو من الامـور المزعجة فالكل يقع تحت دائرة الشك ، وبالتالى يحقق الارهابيون هدفا من أهداف معركتهم الدنيئة ، وهى اثارة الرعب ، والقلق فى المسافرين وحكوماتهم أيضا •

ان الطيران التجارى كان ولا يزال من الأهداف المرغوبة والمحببة للارهابيين وهذه الحقيقة سوف تستمر ما دام الطيران يقدم خدماتـه الفعالة للجمهور فى مجال النقل ، ولا تزال الاخطار الموجهة لقطاع النقل الجوى عظيمة نظرا للانتشار المستمر للعمليات الارهابية وان كانت قد خفت حدتها فى الآونة الأخيرة بعد الجهود التى بذلت من الاجـراءات الأمنية فى المطارات ككل بعد أن حدث التطوير على الأجهزة التى يمكنها كشف المتفجرات بدقة ويمكن تلخيص الجهود الدولية فى هذا المضمـار على النحو التالى :

- الجهود السياسية حيث ان هناك اجماعا دوليـا عـلى استنكـار وادانة كل الحوادث التى تتعلق بتفجير الطائرات المدنية بغض النظر عن الأسباب والدوافع ، وان كان هناك من يعتقد بجواز ذلك فى حالة الحرب •
- الجهود الفنية : التركيز على تطوير أجهزة يمكنها كشف المتفجرات بدقة خاصة المتفجرات « البلاستيكية » والتى يصعب الكشف عنها باستخدام الأجهزة التقليدية •• والأجهزة التى تم تطـويرها فى هذا المجال هى كالتالى : —

١ ـ أجهزة الأشعة السينية :

تستطيع أجهزة الأشعة السينية الكشف عن الاسلحة المعدنية بدقة، لكن بالنسبة للمتفجرات البلاستيكية بالأخص فيصبح اكتشافها بواسطة هذه الأجهزة صعبا جداً وذلك لقلة كثافة المتفجرات البلاستيكية ٠

وفى نهاية الثمانينيات ظهر الجيل الثالث من أجهزة الأشعة والتى أدخلت فيها المحسنات بواسطة الكمبيوتر حيث أمكن تحديد الصور بدقة وظهرت أجهزة بامكانها الكشف عن المواد ذات الكثافة القليلة مثـــل المتفجرات وتلوينها بلون مختلف عن بقية المواد الأخرى المعدنية التى قد تأخذ لونا آخر ، وتعددت التكنولوجيا المتبعة ٠

٢ ـ أجهزة التنشيط الحرارى للنيوترونات :

وتعتبر من أحدث الأجهزة التى سوف تساهم فى القضاء عـــلى ظاهرة تفجير الطائرات نظراً لدقتها الشـــديدة فى اكتشـــاف المتفجـــرات بجميع أنواعها أوتوماتيكيا بدون تدخل رجل الأمن كما فى أجهزة الأشعة السينية وطورت هذا الجهاز شركة « أميركان ســـاينس ايليكيشـــن انترناشيونال » وتعتمد فكرته على اطلاق حزمة من « النيوترونات » الحرارية على حقيبة المسافر ، فحين تصطدم « النيوترونات » بالمتفجرات التى دائما تحتوى فى تركيبها على عنصر « النيتروجين » ينطلق مـــن « النيتروجين » أشعة تدعى أشعة « جاما » ويتم قياس مستوى أشعـــة « جاما » للتدليل على وجود المتفجرات ٠

وقد أوصى الكونجرس الأمريكى بتركيب هذا الجهاز فى جميـــع الطائرات الامريكية وتم استخدامه فى ثلاثة مطارات الى الآن « ســـان فرانسيسكو ، لوس انجلوس ، نيويورك » ولا زال العمل جاريا لبقيـــة المطارات فى الولايات المتحدة الامريكية ويتوقع أن يتم استخدام هـــذا الجهاز فى جميع مطارات العالم فور توفره للتصدير بسعر مناسب حيث ان قيمته حاليا تبلغ مليون دولار أمريكى ٠

٣ ـ أجهزة الشـــم SNIFFERS

حيث يمكنها شفط الهواء المحيط بالمتفجرة والبحث عن ذرات المتفجرة العالقة بالهواء والأجهزة الحالية يمكنها الكشف عن جزء واحد من ١٠٠ ألف بليون جزء من الهواء (١ × ١٠ ـ١٤) فى حالة العثور على هذا الجزء يتم التنبيه عن ذلك « اتوماتيكيا » ٠

والجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية قامت بتأمين الأجهزة الحديثة فى مطاراتها التى تمكنها من الكشف عن كل المتفجرات بأنواعها ·

ولا زالت هناك أجهزة حديثة سيتم تطويرها فى الكشف عن الأدوات التى يستخدمها الارهابيون فى العمليات الارهابية لخطف الطائرات ·

كما أن الاجراءات الأمنية المتفق عليها بين الدول أصبحت أكثر احكاما ودقة فى مواجهة الأعمال الارهابية والكشف عنها ناهيك عن الاجراءات الأمنية التى اتخذتها الدول تحت مظلة هيئة الأمم المتحدة التى هى كفيلة بردع الارهابيين ومن يقوم بتحريضهم من الدول التى تساعد على وجود الارهاب فى كل مكان ففى اعتقادى أن جرائم خطف الطائرات توارت الى حد كبير ، وربما يؤدى فى المستقبل القريب الى اختفائها كليا طالما أن القانون الدولى أجاز العقاب الشديد ضد الدول التى تساعد الارهاب فى كل مكان كما أن ملاحقة الارهابيين بقوة القانون الدولى ساعدت الى حد نبير فى تخفيف ظاهرة الارهاب ككل ليس فقط على اختطاف الطائرات بل على كل أنواع الجرائم الأخرى التى تمارس تحت مظلة الارهاب ·

ونحمد الله أن فى بلادنا رجال أمن وأمان واستقرارا سياسيا وأمنيا وتحكمنا الشريعة الاسلامية ·

المراجع :

١ – عصام صادق رمضان ، الأبعاد القانونية للارهاب الدولى ، السياسة الدولية ٥ يوليو ١٩٨٦ ·

(٢) Aviation Security Granada Publishing Great Britain.

(٣) Air. Transportation (Eight Edition) Robert M. Khane. Kendail. Publishing Company.

المجتمع .. وانحراف الأحداث .. !! (*)

ظاهرة انحراف الأحداث فى العالم بلغت ذروتها ، واخذت تشكل هاجساً محيراً لعلماء الجريمة والاجتماع والنفس والسلوك ، والانتروبولجيا ، وهكذا دواليك ... فعلى مدار شهر أخذت أتابع ما تنشره الصحف العالمية والعربية عن الجرائم التى تحدث فى العالم شرقه ، وغربه ، وجنوبه ، وشماله ، فكانت معظم الجرائم يرتكبها صبية لا يتجاوز عمر الواحد منهم اثنتى عشرة اذا لم تقل ووقفت على بعض منها فهى « على سبيل المثال ليس الحصر » .

ففى مدينة « كاتيدرال سيتى » فى ولاية كاليفورنيا ارتكب طفل لم يتجاوز عمره الحادية عشرة سرقة سيارة اسعاف كانت متوقفة ومحركها يعمل ، وراح .. يجوب بها شوارع المدينة بسرعة كبيرة ولاحقته سيارات وطائرة مروحية تابعة للشرطة حوالى تسعين دقيقة قبل أن تتمكن من توقيفه ، ولقد لحقت اضرار طفيفة بسيارة الاسعاف التى يبلغ سعرها (٧٠) الف دولار بعد ان اصطدمت بسيارة كانت متوقفة والصبى الذى لم يكشف عن أسمه بسبب صغر سنه معروف لدى الشرطة المحلية لأعمال ارتكبها فى السابق ، وسجن الصبى بتهمة السرقة وفتح تحقيق فى القضية ـ أما الحادث الآخر فلقد وقع فى بريطانيا حيث أخذت الشرطة البريطانية تبحث عن صبى احترف سرقة السيارات ويبلغ من العمر الثالثة عشرة ، واغرب ما فى الحدث أن شبكة من الأطفال لا تتعدى أعمار بعضهم السبع سنوات تحمى الطفل الذى بدأ مهنة « اللصوصية » هذه قبل عامين عندما كان فى الحادية عشرة من عمره ، ومشكلة الشرطة معه هى صغر سنه .. كما ان سكان الشارع الذى تعيش فيه عائلته لم تسلم من جرائمه التى بلغت السطو ، والاعتداء الجسدى وسرقة المنازل ... ولقد نقل عن أمه كما قال الخبر ـ « انه ابنى وما زلت احبه » لكن اللوم يقع على المحاكم التى ما تزال تتساهل مع اللصوص من أمثاله .

(*) جريدة البلاد ـ العدد ١٠٥٤٢ ـ الثلاثاء ٢٧ ذو القعدة ١٤١٣ هـ .

وحادثة أخرى وقعت ايضا فى بريطانيا « ان طفلا لم يتجاوز عمره الحادية عشرة اغتصب زميلته فى المدرسة عمرها عشر سنوات ‥ وان القاضى حكم عليه بدفع مبلغ خمسمائة جنيه على ما أذكر مقابل ما تنفقه الضحية على نفسها فى اجازتها الأسبوعية حتى تنسى صدمتها النفسية » ويتوالى انحراف الأحداث الى سلسلة من الجرائم وقعت متتالية فى بريطانيا منها ، اقدم صبى فى الثانية عشرة من العمر على الانتحار بربطة عنق شقيقه ، لأن رفاقه انهالوا عليه اهانات ، ومضايقات بسبب ١٠ بنسات ٠

كما أقدم صبيان فى العاشرة على خطف طفل ابن عامين من عربته فى احدى المراكز التجارية ولم يعثر عليه آلا جثة طافية على نهر ، كما عرض التلفاز البريطانى صوراً لصبى مقنع فى الحادية عشرة من العمر عمله الأساسى سرقة السيارات فى ايرلندا الشمالية كما نشر فى الصحف البريطانية خبر عن شابين قتلا مهاجراً هنديا من أجل ٢٦ بنسا ٠

وهكذا نرى أن خارطة العالم فى مدنها المتقدمة والمتحضرة ، والنامية تموج بجرائم الناشئة التى اشتد عودها الأخضر ، واصبحت تشكل قاسما مشتركا فى جرائم جنوح الأطفال أو انحراف الصغار ، ولم تعد المسائل يستهان بها فى عالم الجريمة ، ولقد بلغ انتشارها بشكل مخيف بين وسط الأطفال فى العالم فخرج من بينهم من يشكل شبكة اجرامية تستغلها المافيا فى جرائمها المتعددة تحت ستار ما يسمى بالمظلة القانونية التى تحمى الأطفال من الأحكام الصارمة فى مواجهة الجريمة ٠

واذا كانت المجتمعات الغابرة ، والوسيطة لم تعرف ظاهرة جنوح الأحداث كمشكلة اجتماعية ذات خطورة ، فان زيادة معدلات الجرائم التى بدأ يرتكبها الأحداث والأطفال فى أواخر هذا القرن اثارت قلق غالبية المجتمعات المعاصرة بشكل أدى الى اتخاذ بعض الاجراءات والممارسات المتعددة للتصدى لهذه الظاهرة وذلك بهدف تطويق مضاعفاتها أو التخفيف من اخطارها ، وقد انبرى كثير من علماء الجريمة والاجتماع والنفس ، واطباء الأمراض العقلية والقضاة والمشرعين علماء الفقه ، والقانون لمواجهة ظاهرة جنوح الأحداث بمنهجية العلم ومعطياته وبدأت مثل هذه الجهود بمبادرة علمية رائدة اتخذت طابعا اجتماعيا عالميا ، فلقد لاحظنا فى الآونة الأخيرة انعقاد المؤتمرات الدولية التى ترعاها هيئة الأمم المتحدة فى هذا الصدد وقرأنا عن القرارات التى خرجت من أروقة هذه الاجتماعات التى توصى بضرورة الاهتمام بمعالجة مشاكل انحراف الأحداث التى أصبحت تشكل هاجسا قلقا كبيراً للمجتمعات الدولية ٠

وقبل أن نصل الى معالجة هذا الانحراف لا بد لنا أن نبحث عن أسبابه ، فعلى حد رأى بعض الباحثين أن الأسرة المتصدعة هى التى تقف غالبا وراء حياة غالبية أفراد هذه الفئة المنحـــرفة من الشباب المجرمين ، أو الجانحين الكبار ، وان الذكور بوجه خاص يشكلون نسبة كبيرة جدا بالنسبة الى الاناث ، وهذا لا شك يشير الى الاتجاه العـــام الشائع فى غالبية الاحصائيات الجنائية الرسمية الخاصة بالجريمـــة وجنوح الأحداث فى غالبية أقطار العالم (١) ٠

وفى رأيى أن الأسرة لم تكن وحدها مسئولة عن هـــذا الانحراف لأفرادها ، بل ان ثمة أسبابا اخرى تلعب دورا رئيسيا يفوق دور الأسرة فى هذا الاطار ، فقبل سنوات قليلة حاول الأستاذ الأمريكى « ديفيـــد درسلر » حصر أسباب جنوح الأحداث كما جاء بشهادة بعض الخبـــراء والمختصين امام لجنة تحقيق فانحصرت الأسباب فى التالى :

١ ـ الزيادة المفرطة فى عطف الآباء على أطفالهم خلال مرحلة الطفولة المبكرة ٠

٢ ـ انعدام العطف الأبوى خلال مرحلة الطفولة المبكرة ٠

٣ ـ القسوة البدنية فى معاملة الأطفال فى البيت ٠

٤ ـ استخدام القسوة مشفوعة باللين فى معاملة الأطفال بصورة متناوبة ٠

٥ ـ الطفولة القصيرة المعدمة ٠

٦ ـ الطفولة الغنية المفرطة فى الرخاء ٠

٧ ـ التعليم المدرسى الناقص ٠

٨ ـ التعليم المدرسى الزائد ٠

٩ ـ غياب التربية الدينية ٠

١٠ـ الافراط فى التربية الدينية ٠

١١ ـ الأسرة المتصدعة ٠

١٢ـ الأسرة غير المتصدعة ولكنها تعانى من توتر عائلى شديد وصراخ دائم بين الأبوين ٠

١٣ـ حالة الفقـــر ٠

١٤ـ حالة الرخاء ٠

١٥ـ القوة الشديدة فى تعامل الشرطة مع الأحداث ٠

١٦ـ حالة التخلف العقلى ٠

١٧ـ ارتفاع مستويات ذكاء الأطفال ٠

١٨- عرض مظاهر العنف والجريمة فى مناهج التليفزيون ، وأفـــلام السينما بشكل كبير .

هكذا يشخص أحد العلماء رأى المتخصصين حول الأسبـــاب والعوامل والظروف المسئولة فى نشوء جنوح الأحـداث فى أمريكـــا ، ولا شك أن مثل هذه الآراء تعكس خبرة هؤلاء الاكاديميين والعلميين من خلال دراساتهم النظرية العلمية أو من خلال خبراتهم وتعـاملهم مـــع الأحداث الجانحين (٢) .

وعند تشخيص أحد العلماء الأمريكيين برأى المتخصصين حـول الأسباب ، والعوامل والظروف المسئولة عن نشوء جنوح الأحـداث فى أمريكا ، وبالرغم من أهمية الرأى المطروح فيها والذى يعكس نظـــرة خبرة هؤلاء الأكاديميين والمتخصصين من خـــلال دراســـاتهم النظرية العلمية أو من خلال خبراتهم وتعاملهم مع الأحداث الجانحين ، فان أهم ما يثير انتباهنا ويشد نظرتنا الى خطورة الأسباب ضمن - ما أشرت اليه سلفا - فى انحراف الأحداث ذلك الجهاز الذى نطلق عليه التلفاز ، الذى أصبح يقدم العديد من افلام العنف فلعل من الحقائق التى يرددها بعض المعنيين بشئون التليفزيون أن هـذا الجهـــاز يفيض بمشــاهد العنف والجريمة ، وان الناس فى غالبية المجتمعات المعاصرة صاروا يلتهمون تلك الوجبات السريعة الدسمة من الرعب والعنف والجريمة بشغف شديد وشهية متزايدة يوما بعد يوم ، وذلك تحت مبررات التسلية والمتعـــة ، وتقول بعض الاحصائيات الأمريكية ان معدل ما يشاهده الطفل الأمريكى بين سن الخامسة والرابعة عشرة من عمره يزيد على ثلاثة عشرة الف جريمة قتل يراها على الشاشة كما أن هناك بعض المؤشرات التى تفيد بأن ثمة زيادة كبيرة فى معدلات الجريمة والجنوح وذلك من الناحيتين الكمية والنوعية والواقع الملموس أن السلوك العدوانى صار اليوم ظاهرة مألوفة لدى الغالبية العظمى من الأفراد وجزءاً أســـاسيا من أولويات التسلية والترويح .

ولعل ما يثير بعض التساؤلات الى أى مدى يكون دور جهاز التلفاز فى خلق ظاهرة اجتماعية تكون اكثر شيوعا فى ظهور مثل هذا العنف مع زيادة معدلات الجريمة والجنوح وهل لهذا الجهاز اتهام فى نشـــوء الجنوح أو الانحراف بين الأحداث والأطفال ؟ وهل يمكن أن ينسب الى هذا الجهاز دوره فى تطوير بعض انماط الجنوح وظهور انماطه المستحدثة فى بعض المجتمعات المعاصرة ؟ يقول تقرير لجنة (بلكنجتـــون) وهى احدى اللجان التحقيقية التى تعرضت الى آثار التليفزيون السلبية عـلى

الأطفال الصغار » بأن الأطفال الصغار بدءوا يتأثرون ببعض مشاهد الرعب المخيفة وقد تقود مثل هذه المشاهد الى أن يتعلم الطفل بعض الخبرات السيئة أو أن يتعرض سلوك بعض الأطفال الى الخطر فى المستقبل كما أن عرض مثل هذه المشاهد التليفزيونية العنيفة تشجع على ظهور وشيوع « السلوك اللاجتماعى » وعلى تنمية القيم المتصلة بالعنف والسلوك المنحرف ، وقد أظهرت بعض الدراسات الميدانية التى أجريت على مجموعة مختلفة من الأطفال « ان الأطفال الصغار يخافون من مشاهد الرعب والعنف التى يقدمها التلفاز بشكل كبير ، كما أن بعض هذه المشاهد تثير فى بعض الأطفال نفس البواعث العدوانية الكامنة لديهم ، وهذا جميعه قد يسهم الى حد كبير فى تكوين السلوك الاجرامى أو السلوك الجانح ٠

يقول الأستاذ « كرينهوت » أستاذ علم الاجرام فى جامعة اكسفورد الانجليزية اننا ينبغى أن لا نستغرب اليوم فيما لو عمد شبابنا الى استخدام العنف فى حل مشاكلهم اليومية أليست الدول ذاتها تخدم العنف منذ فترة طويلة ٠ والى الوقت الحالى كوسيلة اعتيادية فى حل غالبية المشكلات الدولية ؟! ٠

ولقد توقفت طويلا أمام التقرير الذى نشرته جريدة الشرق الأوسط فى عددها (٥٢٠٦) الصادر بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٨ والذى يحمل عنوانين : الخبراء الايطاليون يدقون نواقيس الخطر ٠٠ التليفزيون آلة تفريخ لغيلان صغيرة من المشاهدين الأطفال ٠٠٠ كتب هذا التقرير مراسلها فى « جنوا » وملخص التقرير بداه بمقدمة لرأى الاتحاد الايطالى للطب النفسى (FIP) « من ذا الذى يسعه أن يصدق أن فى كل منزل وبيت ثمة آلة تفريخ للغيلان الصغيرة لا يدرى بأمرها كثيرون ان لم يكن الأغلبية العظمى من مشاهدى ذلك الصندوق العجيب من الصوت والصورة المتحركة والمعروف باسم « التليفزيون » ويبدو أن الاحباط الذى أصاب هذا الاتحاد فى محاولة يائسة للفت الانظار الى نواقيس الخطر من هذا الصندوق لم يكن مجديا فى تحريك الأنظار واستثارتها الى ما أسماه تارة بـ « خلط خطير بين المخيلة والواقع فى ذهن الطفل الذى لا يزال يافعا » وتارة أخرى بما أسماه بـ « تشويه التوازن العقلى عضعف فئات البشر وأكثرها تعرضا للتأثير الانطباعى الخارجى » ، أى كل من يعيش عمر الطفولة ، والمراهقة ، وتارات أخرى بـ « ماكينة نشر العنف والاختلال النفسى » ويضيف التقرير لئلا يكون ثمة اعتقاد أن هذه الهيئة أو ذلك الاتحاد الايطالى المعترف به بالغ فى تصور الأوضاع قليلا ، فقد أقدم الاتحاد والذى ضم جماعة من أكبر علماء النفس الأوروبيين على أول خطوة من نوعها فى أوروبا عن طريق فتح

خط طوارىء على غرار الخط المعروف لنجدة مرضى « الايدز » فى بلدان كثيرة الآن وأطلق عليه تسمية (help video) أو فيديو النجدة كجهاز طوارىء فى متناول الجميع وفى وسع جميع أولياء الأمور وغيرهم من المدرسين ، وكل من يحتك بحكم عمله بأطفال تظهر عليهم ميول العنف الاتصال برقم تليفونى معين ، وعن هذا التطور تؤكد رئيسة الاتحاد الدكتورة « فيرا اسليبوج » ـ كما اشار التقرير ـ « انه لم يعد هناك شك وفقا للمعطيات المتاحة لدى الاطباء النفسيين » « ان أحداث العنف التى تمتد من عصابات مدينة « بارى » المؤلفة من الأطفال الى غيلان « ليفربول » من قتلة الرضع هم نتاج ليس لظروف نفسية أو اجتماعية او اقتصادية بقدر ما هم من تفريخ مصدره مذاهب العنف الجديدة التى تنشط البرامج التليفزيونية الحديثة فى نشرها بين صفوف الجميع هذه الأيام .

وتعتقد الدكتورة « فيرا » ان الحصول على معطيات ساخنة حول تطور العنف الاجتماعى على هذا النحو سوف يمكن الأجهزة المختصة من تحديث لتقارير مراقبة تطور العنف الاجتماعى فى صفوف الطفولة على أمل اتخاذ اجراءات تشريعية واصلاحية على صعيد الهيئات التربوية بالطبع هيئات الارسال التليفزيونى ذاتها سواء اكانت حكومية أو مستقلة .

وتشير الأدلة التى جمعها الاتحاد الى حقيقة اكيدة مؤداها ان تراخى اولياء الأمور نتيجة لضغوط المعيشة فى البلدان الغربية (وغير الغربية) فضلا عن تفسخ نظم التعليم والتربية لا سيما فى المدارس الابتدائية والاعدادية هى عوامل تدفع كل يوم بالأطفال والمراهقين الى احضان هذا « الصندوق السحرى » ليتولى ضخ صور العنف فى اذهانهم السريعة التأثر بالانطباعات الخارجية .

لكن الغريب فى الأمر كما يقول التقرير ان القوانين ، والتشريعات السارية والتى يضعونها دساتير للبلدان المتقدمة وتحميها مجالسها البرلمانية الديمقراطية ، لا تخلو من مواد تنص صراحة على حظر بل معاقبة المسئولين عن « مواد تضر بالطفولة ماديا أو نفسيا أو اخلاقيا ، ونحن نحمد الله على كل حال ان القوانين فى بلادنا تستمد شرعيتها من كتاب الله وسنة رسوله ، والمحكمة ترجع اليهما فى تطبيق العقاب وفق الشريعة الاسلامية ، وهذا ما خفف من حدة انتشار الممنوع ، والمحظور على الأطفال ، ولكن بالرغم من ذلك فهذا لا يكفى ان يكون « صمام

الأمان » لهذه المشكلة الا فى حالة وجود التعاون بين البيت والمدرسة وكل المؤسسات التعليمية والتربوية والدينية ووسائل الاعلام باشكالها المختلفة وبقنواتها المتعددة ، ولعلنا فى هذه المناسبة ونحن نعد انفسنا لكتابة أدب الطفل أن نراعى كل هذه الوسائل فى مناهجنا التعليمية والتربوية وأن تضمنها كل التشريعات الاسلامية التى تصون اطفالنا من كل انحراف ومن كل اعوجاج عن الطريق السوى الذى خططته التربية الاسلامية فى تنشئة الجيل الصالح الذى يتكون منه مجتمعنا الاسلامى روحا وعملا وسلوكا ، وخلقا عظيما ٠

واذا كان العلم التجريبى المعاصر لا يستطيع أن يسعفنا فى مرحلته الراهنة بتقرير القانون السببى الكامل الذى يظهر لنا كيف يعمل هذا الجهاز الخطير ومدى تأثيره على قيمنا واتجاهاتنا وانماط سلوكنا ، فلعل الأمر لا زال قائما على التفاؤل فى قدرة هذا العلم الحديث ومعطيات العلوم الانسانية على تهيئة بعض الاطار العلمى الجديد لفهم بعض جوانب مثل هذه العملية الانسانية المعقدة التى تجرى بين طرفى علاقة على درجة من التركيب المعقد كحالة بين آلة ساحرة عجيبة وبين عقل انسانى بكل ألغازه وخفاياه (٣) ٠

والحقيقة أن مشكلة جنوح الأحداث من المشاكل التى لا تزال تعانى منها المجتمعات الدولية ولا زال أمرها قائما ، ولا يمكن التخلص منها الا بالجهود الجماعية التى يبذلها العلماء ، فى كل التخصصات الانسانية ولا يختلف اثنان على أن اجتياز هذه المشاكل يبدأ بالوزاع الدينى والصحوة الدينية الواعية التى تأخذ في اعتبارها مشكلات العصر بكل أبعاده الاجتماعية والثقافية والسياسية والتربوية ، الاقتصادية وغيرها ٠٠٠

والله الهادى الى سواء سبيل ٠ ،،

المراجـــع :

١ ـ معروف صبحى عبد اللطيف ٠ علم نفس الطفل والمراهق ومشاكل انحراف الأحداث (١٩٧١) البصرة ـ العراق ٠

٢ ـ « Hirsch Travis »
ترجمة الدكتور غبارى محمد سلامة محمد ١٩٨٧ (كتاب أسباب جنوح الأحداث) ٠

٣ ـ سعد عبد الرحمن وآخرون ـ الشباب وبرامج التليفزيون ، دراسة استطلاعية وزارات الاعلام دولة الكويت ١٩٧٢ م ٠

نحن وانحراف الأحداث (★)

هناك العديد من المشكلات التى تواجه الشباب فى مرحلة المراهقة، وهى الجنوح أو الانحراف التى يعرفها علماء الاجتماع بالجرائم التى يرتكبها الأطفال ، والمراهقون الذين لم يبلغوا سنا معينة وتختلف هـذه السن تبعا لاختلاف المجتمعات ، ولكن فى اغلب الأحوال تقل هذه السن عن ١٦ أو ١٨ عاما ، والطفل المنحرف أو الجانح هو الذى خرق قانونـا من القوانين المحلية المدنية ، وهو الذى اعتاد على عدم الطاعة والتمرد ، والعصيان ، والعناد ، ولا يخضع لضبط أمه أو أبيه أو ولى أمره •

ويرى عالم الاجتماع « جعفر على محد » أن الانحراف ينشأ من بيئة دون تدخل للعمليات النفسية المعقدة التى تلعب دورها على مسرح اللاشعور وهم بذلك يصفون الأحداث المنحرفين على أنهم ضحايا ظروف خاصة اتسمت بعدم الاطمئنان ، والاضطراب الاجتماعى لأسباب متعلقة بالانخفاض الكبير لمستوى المعيشة الذى يعيشون فى ظله •

بيد أن فريقا آخر من علماء الاجتماع يرى أن انخفاض مســتوى المعيشة لم يكن المبرر الوحيد لانحراف الأحداث بل ان هناك مجموعة من عوامل أخرى تساعد على هذا الجنوح أو ذلك الانحراف ، فقد يعمــد بعض المراهقين الى الغش ، أو الخداع أو الخروج على القانون وآداب المجتمع فى سلوكه ، أو قد يعمد الى السرقة رغم انه ليس فى حاجــة المال ، وقد يسرق آخر لينفق على شلته مما يحقق له الزعامة ، أو مركزاً اجتماعيا مرموقا بين أصدقائه ، كل هذا ناتج من البيئة فاذا اهملت ، واصبح يسودها علاقات متداعية ومتنافرة من انفصال أو طـلاق قـد يلفظ بأبنائها الى قارعة الطريق مما يمهد أخيراً طريق الجريمة •

(★) اقرأ ـ العدد ـ « ٨٧٨ » ـ ١٤١٣/٣/٦ هـ ـ ٥٧ •

(★) اقرأ ـ العدد ـ « ٨٧٩ » ـ ١٤١٣/٣/١٣ هـ ـ ٦٥ •

وهناك عوامل عديدة تلعب دوراً مهماً فى انحراف الأحداث بعضها ذاتى ، وبعضها يدخل فى عامل الوراثة ، وبعضها يتعلق بالتكوين العضوى والعقلى ، وآخر يرتبط الأسرة ، لأن الأسرة هى مهد للشخصية حيث تتكون فى ظلها النشأة الأولى من عمر الحدث ، وتعتبر هى النموذج الأساسى للتفكير ، والشعور ، والعادات والقيم ، كما أن للبيئة المدرسية الدور الثانى فى التكوين النفسى للفرد ، وقد لا تتاح للفرد فرصة التعلم فى ادرسة بسبب العجز عن دفع نفقاته ، فيلجأ الى العمل فى مهنة من المهن ولذلك فان مجتمع المدرسة يصادف الطفل بسلطة غير سلطة الأب ، وثمة عامل آخر له دور رئيسى وكبير على حياة الطفل ، وهم الأصدقاء ٠٠ فاذا صادف الحدث أحد افراد رفقاء السوء فقد يتاثر به ، وينحرف فى طريق الجريمة ، وغالبا ما تكون هذه الصحبة تشكل جماعات بحيث تعطيه الشجاعة كى يسير فى طريق الانحراف ٠

ويرى علماء الاجتماع ، والنفس ، والانثروبولوجيا ، والجريمة والسلوك ، والتربويون وغيرهم من العلماء أن تخفيف هذه الظاهرة ، والحد منها يتوقف على النظرة الموضوعية التى يتعامل بها الآباء والمدرسون مع المراهقين ، وتأتى وفق الاهتمامات التالية :

١ ـ ينبغى أن يكون موقف الآباء والمدرسين من المراهقين موقفا ايجابيا بناء ، والتوجيه فى وقته المناسب ٠

٢ ـ تهيئة الأجواء والمناسبات للتعرف على شلة من الأصحاب الذين يلائمون ميوله الطبيعية ٠

٣ ـ على كل من الآباء والمدرسين أن يجعل من نفسه المرافق اخا امينا محبا حتى يساعده على مصارحته بمشكلاته ويعينه على حلها ٠

٤ ـ اقامة مؤسسات يرتادها المراهقون ، والشباب لقضاء وقت فراغهم فى قراءة أو سماع أو عمل اجتماعى أو نشاط دينى أو رياضى ٠

٥ ـ ان لا ينظر الآباء ، والمدرسون على أن فترة المراهقة بالنسبة لأبنائهم كمرحلة تمر على اى فرد لأن كل جيل له مفاهيمه الحياتية المتغيرة ٠

٦ ـ يجب توعية المراهق ان لا يتخذ من المراهقة ذريعة للانحراف وعذرا للتمرد ، والعصيان ، والخروج على التقاليد والآداب ٠

فعلماء العالم الاسلامى وغيرهم يرون انه للتخفيف من ظاهرة انحراف الأحداث لابد من :

(أ) ان تكون جميع وسائل الاعلام من أجهزة مسموعة ومرئية ومقروءة أداة اصلاح وارشاد ، وتوجيه فتخاطب كل مسلم فى موقعه ·

(ب) توحيد الجهود ، وتضافر القوى لتوجيه وسائل الاعلام المختلفة الى تطبيق منهج الله تعالى فى موادها وبرامجها ·

(ج) أن تكون جميع الوسائل الاعلامية مرآة صادقة لمشاكل الأمة الاسلامية ، وايجاد الحلول المناسبة لقضاياها ، ومعاناتها المختلفة ·

(د) أن يكون هدفها اسلاميا فتتابع الغزو الفكرى الثقافى والاجتماعى والمفتريات التى يروجها أعداء المسلمين وتفندها بالفكر الاسلامى ، بالمناقشة ، والبراهين الفكرية ·

(هـ) الابتعاد عن التهويل ، والتضخيم الاعلامى المشين للقصص الاجرامية التى تدخل تحت مظلة الاثارة المفرطة المروجة للتسويق الاعلامى ، فان مثل هذه الاهتمامات التى تنشرها الصحف ويعرضها التلفاز بشكل أفلام العنف والكارتون وغيرها يساعد على انحراف الطفل والشباب الذين لهم استعداد للنزوع العدوانى والاجرامى فكثير من أفلام العنف والجرائم التى تعرض على شاشة التلفاز وكقصص اخبارية فى الصحف ، والتى ينشرها مندوبو الصحف خدمة الى حد كبير للمجرمين لأن نشرها أو عرضها على الشاشة بأسلوب مشوق يثير انتباه المشاهد الذى يتشوق الى هذه النماذج من أفلام العنف والجريمة والتى تنتهى عادة بخدمة أولئك المجرمين الذين يبحثون عن مغامرات العنف والبطولة الزائفة التى خلفتها الأفلام بصورتها المجردة والتى اثارت فى مخيلة بعض الأطفال الاعتقاد أنها صور حية وحقيقة وهذا ما أدى بالتالى الى تقليدها والى تنمية البواعث العدوانية الكامنة لديهم وهذا جميعه أسهم الى حد كبير فى تكوين السلوك الاجرامى والسلوك الشائن ، واعنى بتلك الأفلام التى تخرج عن قواعد الآداب والسلوك الاجتماعى الصحيح وتجنح الى الاجرام ·

من الذى ينقذ مدمن المخدرات ! (*)

لا يكاد يمر يوم حتى نسمع عن خبر أو نقرؤه فى الصحف ، عن أحد مدمنى « الهيروين » أو أى مخدرات أخرى تدخل فى باب الادمان قد قتل والده ، أو والدته لانهما يرفضان اعطاءه نقوداً لشراء المخدرات ، وكان آخر هذه الأخبار التى وردت عن جريدة الشرق الأوسط فى عددها (٥٠٩٤) الصادر يوم الأحد ١٤ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ ، والقادم من القاهرة ، وما جاء نصه حرفيا (أودى ادمان الابن بحياة الأم البريئة حين طلب منها ٢٠ جنيها لشراء « الهيروين » فرفضت ، فانهال عليها بمطواة وطعنها عدة طعنات نافذة ...) .

ولم يكن القتل ضالة مدمن المخدرات ، فكثير من الجرائم يرتكبها كالاغتصاب والذى أحيانا يقع على المحارم كالأمهات ، والأخوات ، وغيرهما ، وقس على ذلك السرقات ، وكل أنواع الجرائم ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولا يمكن حصرها فى واقعها الجغرافى ، و « الديموغرافى » وان كانت هذه الجرائم تكاد أن تكون معدومة فى بلادنا التى تطبق اجراء القتل على المهرب ، وعلى تاجر المخدرات ، وعلى المروج وتقضى بسنوات عقوبة السجن على كل مدمن ومتعاط لم يبلغ عن نفسه لعلاج الذى تكفلت به الدولة .

ولكننا نريد هنا أن ننبه على الخطورة التى تلحق بأولئك الذين يتهاونون من بعض الأسر فى الابلاغ عن مرضاهم المصابين بادمان المخدرات ، والذين بلغوا درجة الخطورة من هذا المرض الذى يفقد فيه المريض كل توازنه العقلى ، والدينى و « السيكولوجى » ولم يعد يفرق بين الصح والخطأ فى كل سلوكياته ، وفى كل تصرفاته مع نفسه ، وم

(*) مجلة اقرأ ـ العدد ـ « ٨٨٩ » ـ ١٤١٣/٥/٢٥ هـ .

غيره ، ويبدو كالمجنون التائه الفاقد لكل شيء الذي يشكل خطراً على حياته ، وعلى حياة الآخرين ، ولم يعد يفكر في هذه الحياة الا في شيء واحد اسمه « المخدرات » وتصبح الغاية عنده تبرر الوسيلة ، ولم يعد يتطلع للحياة الا من خلال توفير أو شراء « شمة هيروين » أو من حقنة مخدر وهكذا دواليك ...

فاذا رجعنا الى البحث عن الأسبـــاب التى أدت ببعض الأسر أن تخفى مريضها وتواريه خلف حجاب عن السلطات نجد أن الدوافع لذلك تكمن فى سوء السلوك وراء الخوف الذى ينتاب الأسرة التى تخشى من الفضيحة التى تتعرض لها ، فيما لو كشفت عن أمر مريضهـــا المدمن للسلطات ، وما يجر من وراء ذلك من تحقيقات ، واجراءات قانونية ربما تكون مسئولة عنها طالما لم تبلغ عن مريضها فى بداية تعاطيـــه المخدرات وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن لا يعدو أن يكون مجرد تساؤل ، ومجرد تأنيب للضمير ومجرد توبيخ لأن الأسرة التى لا تعى مسئولياتها الحضارية التى تهمل مريضها حتى يصل به المرض الى أقصى حـــدته ستأهل أنثر من ذلك ، لأنها تشارك فى وجود هذا المرض نتيجة اهمال المريض الذى فتحت له الدولة المستشفيات المتخصصة المجهزة بأحـــدث الآلات التقنية وبالاطباء المتخصصين فى عـــلاج مدمن المخدرات ، وغير المدمن .

ومع كل هذا فكل أسرة لم تبلغ عن مريضها تتحمل مسئوليـــة مضاعفة المرض ، وتتحمل أيضا كل النتائج الاجرامية التى يقدم عليهـــا مريضها ، فان الأسلوب الأمثل ، والوضع الحضارى يحتم على كل أسرة أن تنقذ مريضها من هول الجرائم ، ومن خطورة المرض طالما ان الدولة ــ رعاها الله ــ أعفت تطبيق الاجراءات القانونية الصارمة التى تتخذ فى حق تعاطى المخدرات لكل مريض يقدم نفسه للعلاج ، ولكل أسرة تبلغ عن مريضها ، وهذا فى حد ذاته مكرمة حكومية وواجب انسانى فرضه الواقع الاجتماعى الذى نعيشه والذى تحكم فيه الشريعـــة الاسلاميـــة السمحاء ، التى تدعو الى الرحمة ، والى المغفرة لكل من يريد أن يتـــوب أو يستغفر ، أو أن يرجع الى طاعة الله ، ويعود لهذه الحياة بروح أخرى مستتابـــة .

وكم كان للدولة من فضـــل كبير فى معالجـــة كثير من المرضى المصابين بالمخدرات والذين بلغت عنهم أسرهم والذين قدمـــوا أنفسهم للعلاج ، وبعد أن استكمل علاجهم عادوا لممارسة حيـــاتهم الطبيعية ، فأعفتهم الدولة من سجل سوابق الجرائم ، واعتبرتهم مرضى وليســـوا

مجرمين ، والحقائق على ذلك كثيرة ورأينا نماذج من هؤلاء المرضى ٠٠ يمارسون حياتهم الطبيعية بعد خروجهم من المستشفيات أصحـــاء فى العمل وفى البيت وبين المجتمع الذى كـان يرحب بهم ، ويتعـامل معهم بشكل طبيعى وأخوى ، وانسانى ، واجتماعى ، وهـذا ما يجعلنـــا نعيد النظر فى كل سلوك خاطىء نشذ فيه عن الوضع الطبيعى والانسانى الذى يحتم علينا ألا نترك مرض المخدرات يفترس أبناءنا دون أن نبـلغ عنهم السلطات بادىء ذى بدء حتى تتولى معالجتهم ، وحتى نخرج من طائلة قانون مكافحة المخدرات الذى يطالبنا بضرورة الابلاغ عن كـل مريض تظهر عليه بوادر المرض ، وتحس به الأسرة ٠

وحسبى أن أكون مصيبا فى كل ما ذهبت اليه من ايماءة واعيـة تجعلنا نحس بواقع هذه المسئولية ، وما ينجم عنها من مضاعفات فى حالة اهمالها ، وعدم التركيز عليها بوعى حضارى ملموس ٠٠

والله ولى التوفيق ٠ ،،

بين الحياة والموت البطيء
خيط رفيع اسمه التدخين (★)

لا يختلف اثنان على أن التدخين ·· الفيروس الخطير الذين ينخر فى جسد الانسان ، ويسبب له أضرارا صحية ، ومن هذه الاضرار كما يحدثنا عنها الطب ان التدخين يفتك بالاغشية الملتفة حول الأوتــــار الصوتية التى تؤدى بالتالى الى البحة ناهيك عن الضيق فى التنفس بسبب الاضطراب فى الاكياس الهوائية فى الرئتين ، فينتج عن ذلك ألــم فى الحلق ، بالاضافة الى ضعف حاسة الشم والذوق ، والنظـــر · رالقدرة على تمييز الألوان وتزداد الخطورة عند المدخن فى ارتفـــاع ضربات القلب التى ينتج عنها السكتة القلبية ، كما تتكدس السموم فى الكبد فيشعر المدخن بالتعب والارهاق من أدنى مجهود يقوم به ، ويرتفع أيضا ضغط الدم ، وتصلب الشرايين الذى يؤدى الى الوفاة المفاجئة ، وتبين لنا العديد من الدراسات العلمية أن سرطان الرئة يندر حدوثه عند غير المدخنين ، وهذا ما يؤكد أن معظم المصابين بهذا المرض هم المدخنون اذ بلغ عدد الوفيات منهم فى بريطانيا كما تظهر الاحصائيات عام ١٩٦٣ (٢٥) الف شخص ·

وتشير آخر التقارير العلمية التى وردت من بريطانيا ونشرتهـــا جريدة الشرق الأوسط أن التدخين السلبى يقتل نحو ١٤٠ شخصا فى أوروبا سنويا من خلال أمراض القلب والسرطان ، وأوضح التقرير الذى خرج من رابطة حقوق غير المدخنين أن التلوث البيئى يعانى منه غيـــر المدخنين وأكبر عمل معروف للتسبب فى مرض السرطان فى التاريخ ·

وقال التقرير أن من بين ما يقدر بنحو ١٣٩٥٠٠ حالة وفاة فى أوربا يتوفى ١٥٢٠٠ شخص من البالغين بسبب التدخين فى المانيا سنويا

(★) البلاد العدد ١٠٤٢٩ الثلاثاء ١٤١٣/٧/٢٦ ، الموافق ١٩ يناير ١٩٩٣ م ·

و ١١١٠٠ فى ايطاليا و ١٠٩٠٠ فى فرنسا و ١٠٧٠٠ فى بريطانيا و ٧٤٠٠ وأضاف التقرير قوله : ان هذه الأرقام لا تتضمن حالات الوفاة بين الأطفال الذين لم يولدوا أو الأطفال الصغار حديثى الولادة أو حالات الوفاة بين الأطفال الصغار نتيجة تدخين آبائهم ، ومن ثم فان محصلة عدد الوفيات مروعة بشكل أكبر من مجمل الوفيات بين الكبار ٠

وأوضح معدو التقرير بحظر التدخين تماما فى الأماكن المغلقة حتى لا يتأثر غير المدخنين بأية حال ، وحثوا أيضا على تغيير التحذير المكتوب على علب السجائر من خطورة التدخين على المدخنين الى التحذير بشأن كيفية تأثير التدخين على غير المدخنين ٠

ولا يتوقف الضرر من التدخين على الناحية الطبية الفسيولوجية بل يتجاوزه الى أضرار أخرى من الناحية النفسية ـ السيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية ٠

فمن الناحية النفسية يتعرض المصاب بمرض التدخين الى هبوط فى مستوى الذكاء وحب التسلط ، والمزاج العصبى ، والقلق ، والشرود ، والتغيير فى ملامح الشخصية المتميزة ، وهكذا دواليك ٠

الاضرار الاجتماعية والاقتصادية :

١ ـ صرف الأموال على التدخين والتبذير فيها شىء مكروه ٠

٢ ـ التدخين يتسبب أحيانا فى وجود الحرائق التى يشتعل أوارها من بقايا السجائر والتى راح ضحيتها كثير من الأشخاص ناهيك عن الخسائر المالية التى تلحق من جراء الحريق ٠

٣ ـ الروائح التى تصدر من التدخين تتسبب فى مضايقة الأشخاص غير المدخنين وهذا يؤدى بالتالى الى نفورهم ، وخروجهم من الأماكن أو المجالس التى يتواجد فيها أولئك المدخنون ٠

وثمة اضرار أخرى يحدثها التدخين على المدخنين وعلى غير المدخنين وما أكثرهم وكل يوم نقرؤها فى التقارير العلمية التى تصدرها منظمة الصحة العالمية وغيرها من المؤسسات التى تهتم بتلوث البيئة وصحة الانسان ورابطة حقوق غير المدخنين ٠

وباختصار فان اضرار التدخين تؤدى فى نهاية الأمر الى الوفاة المبكرة ، والى الأمراض الخبيثة والى الاضطراب النفسى ، والتوتر فى الاعصاب والى صرف الأموال التى يمكن الاستفادة منها فى أمور اقتصادية أخرى ينتفع منها الانسان ٠

فاذا وقفنا على هذه الأضرار آنفة الذكر التى يسببها التدخين ، ودرسناها جيداً وأمعنا النظر فى نتائجها السلبية التى تنعكس عـلى حياتنا من جراء التدخين ، وبرد فعلها المعاكس السيء الذى نعرفـه مسبقا مجسداً أمامنا ، فان اقلاعنا عن التدخين سوف لا يكلفنا سـوى الرجوع الى تحكيم العقل الواعى ، والمنطق السليم لها من قوة الارادة التى نسيطر عليها ، ونتحكم فيها نستطيع أن نتوصل الى معرفة الجدوى من التدخين سلبا أو ايجابا ٠

فالتدخين حتما يكون سلبا يلحق بالانسان خسارة على حياته ، وحياة أسرته المتضررة صحيا واقتصاديا من التدخين وهذا ما نعرفه عن طريق المنطق والعقل السليم ٠

فالكيفية التى يتخلص بها الانسان من التدخين لها طرق وأساليب معروفة فى النشرات الطبية والارشادية والايمانية ومجالها واسع فى الدراسات العلمية التى نقرؤها فى الصحف ، وفى كل الوسائل الاعلامية، فلا زلنا نكرر ونلح على ضرورة الاقلاع عن التدخين الذى تسبب فى عدد غير قليل من الوفيات ، ومن تلوث البيئة وان كان هذا التلوث موجوداً على كوكبنا الأرضى من قنوات أخرى من غير التدخين التى تشير اليها التقارير العلمية التى لها ارتباط بصحة البيئة ٠

فالشيء بالشيء يذكر وان كان لنا رجاء آخر خاص فاننا نطالب المدخنين أن يراعوا حقوق الآخرين من غير المدخنين الذين يتضررون من هذا التدخين الذى يلحقهم بضرر أثناء تواجدهم فى خندق واحد مع المدخنين فى الغرف أو فى المجالس أو فى الأماكن العامة ، فضرر غير المدخن أكثر ضررا من المدخن ذاته ، وهكذا نجد لغير المدخنين رابطة بأسمهم فى جميع أنحاء العالم تطالب بحقوقهم ولصحة البيئة التى يلوثها التدخين والذى لا يكف عنه بعض المدمنين الذين يصعب فيهم العلاج بكل الوسائل الطبية ، وغير الطبية فلقد مات الاحساس بوجـود الضرر وانعدمت قوة الارادة ٠ ونسأل الله الشفاء العاجل لكل مدخن ولكـل مريض مزمن فيه ٠

والله الهادى الى سواء السبيل ٠

هل نجحت المرأة أن تتفوق علميا وفكريا وثقافيا على الرجل وهل القراءة للجميع؟ (★)

لم أكن أتصور ذلك التفوق العلمي الذى برز بشكل ملحوظ ومحسوس عند طالبات الجامعة عن غيرهن من الطلاب وباعتبار اننى أدرس احدى المواد العلمية فى الداخل تخصص « صحافة » مشتركة بين الطـــلاب والطالبات والفارق بينهما هو الحاجز المغلق ، أو ما يسمى بلغة العلوم التكنولوجية للتربية الدائرة التليفزيونية المغلقـــة التى تعتبر هى القناة الموصلة للطالبات من فصول قسم الطلاب ٠٠ وبحكم ان المادة التى أقوم بتدريسها اختيارية على طلاب وطالبات الأقسام العلمية الأخرى باستثناء طلاب الصحافة والأقسام الأخرى من الاعلام تعتبر اجبارية وان كان فى ظل نظام اليوم الكامل المعمول به حاليا خرج « الاختيار » بالغاء نظـام الساعات وبحكم عدم وجود قسم اعلام للطالبات فى الجامعات السعودية يصبح علم الصحافة مستجدا بالنسبة لهن ومع ذلك لاحظت ذلك « التفوق العلمى » للطالبات فى مادة مدخل الصحافة بغض النظر عن وجود مادة أخرى فى علم الاتصال للطـــاليات فى كلية الآداب بجامعـــة الملـــك عبد العزيز « اجبارية اختيارية » وفى هذه المادة تتلقى الطالبات جرعة عامة من علوم الاتصال مادة ومضمونا وشكلا وتقوم بتدريسها أستاذة متخصصة فى هذه العلوم ٠

وبالرغم من وجود هذه المادة فى قسم الطالبات فانها لا تكفى ان تكون خلفية عامة عن الاعلام الذى يؤره العلمية واسعة ، ومتشعبـــة ويرجع ذلك التفوق العلمى للطالبات الى كونهن أكثر حماسا للتحصيل العلمى وأكثر تفاعلا مع المنهج العلمى الدراسى وأكثر حضوراً فكرياً

(★) جريدة المدينة ، ملحق الاربعاء ، ٤ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ٠

في الفصل الدراسي كل مقومات الحواس التي تساعد على « الاستقطاب العلمي » للمادة العلمية بسهولة ويسر ·· كما أن الطالبات من أكثر زوار المكتبة العلمية في جامعة الملك عبد العزيز - وذلك حسب التقارير الاحصائية الصادرة من مكتبة الجامعة المركزية - ويأتي تميز الطالبات في الفصول الدراسية في « الجدل الموضوعي » الذي يثرنه في مناقشة استاذ المادة ولم تكن هذه الملاحظات في وجه المقارنة بين الطلاب · والطالبات عن التفوق العلمي وليدة الخيال ، والأفكار لهذا التطور الذي وقفنا عنده بل انها تخضع لتجربة شخصية لاحظتها في تدريسي للمواد العلمية المشتركة بين الطلاب والطالبات على الوسائل التعليمية التي أشرت اليها آنفا ·· وفي تصوري أن الحكم على هذا التفوق العلمي للطالبات لم يكن مبنيا على دراسات علمية محضة فعلى هذا الأساس تكون هذه الظاهرة مثار جدل فكري وتحتاج الى من يؤيدها أو ينفيها بمصداقية المعيار الموضوعي العلمي وهو الذي يحدد هذا الاتجاه وذلك الاتجاه الذي تسفر عنه النتائج العلمية الصحيحة بالاحصائيات الكاملة وفق المنهج العلمي الذي يختار لدراسة هذه الظاهرة ولكن ضمن اطار الطرح الموضوعي العلمي يخرج العديد من التساؤلات والافتراضات العلمية التي تحتاج الى دراسة اختبار علمي وتحليل لنتائج يهتدي اليها الدارسون في الحكم على ظاهرة التفوق العلمي سواء لصالح الطلاب أو الطالبات ولكن هذا لا يمنع أن نعطي تصوراً ذاتيا استنباطيا من خلال قراءة الظاهرة كما تبدو لنا من ملاحظاتنا العلمية التي أتاحت لنا الوقوف على تلك الفروقات العلمية التي جاءت لصالح الطالبات في التفوق العلمي عن الطلاب ·· ولعلها تثير دواعي وأسبابا تقف عندها بشكل تجردي من أفكارنا الذاتية التي جعلتنا نرجع الى الوراء قليلا . ونتلمس مكانها وموقعها فعلى سبيل المثال لا الحصر ، الطالبة التي دخلت أبواب الجامعة والمراحل التعليمية التي قبلها جاءت متأخرة الى حد كبير عن الطالب وهذا بالتالي جعلها تتحمس للعلم ، تستجيب لرغباته العلمية بسرعة وتثبت وجودها في عالم التعليم ، حيث كان الرجل مسيداً ومتفردا فيه ، وكانت الفتاة محرومة منه ·· فبدخولها التعليم كان هو الحافز المشجع الذي جعلها تعبر عنه بلغة العصر ··· التفوق العلمي حتى تثبت للرجل ان قدرتها الفكرية لم تكن عاجزة عن الاستيعاب العلمي بكل تخصصاته المختلفة ، وهذا كلفها الجهد الكبير الذي بذلته - ولا زالت تبذله في دراساتها العلمية ، وفي تحصيلها العلمي بكل أدواته الشاقة والصعبة فسهرت الليالي واجتازت حواجز المرحلة الحرجة في حياتها التعليمية بكل تحد وبكل اصرار وبكل عزم ، كما أنها اخترقت الحواجز والأسوار التي وقفت دون تعليمها · ولما كانت

المعانة طريقا وعرا وشديدا فى مسيرة حركتها التعليمية اجتازت بكل نجاح وبكل ايمان وبكل عقيدة وعبرت عنها بما يسمى التفوق العلمى فى الدراسات الجامعية وغيرها من المراحل التعليمية الأخرى قبلها وبعدها ..

فمن أجل اثبات الوجود والذات كان الصراع محتدما وشديدا فى جو المنافسة التعليمية بين الرجل ، والمرأة فى احتلال المركز الأول فى الفصول الدراسية ، وفى المواد العلمية نجحت المرأة علد هذا المركز بكل جدارة وبكل كفاءة علمية ويعطينا هذا المؤشر فى ارتفاع نسبة الطالبات فى التقديرات العلمية التى يحصلن عليها فى الامتحانات النهائية وأكثرها فى المتوسط جيد جداً .

فهناك مفاهيم ، وقيم علمية أخرى تدخل فى اطار نسبة ارتفاع تفوق الطالبات العلمى .. عن الطلاب يكون من أهمها أن الطالبة لا تسعى الى العلم لمجرد الحصول على الوظيفة بل تسعى الى العلم فى حد ذاته وهذا هو هدفها الرئيسى أما الهدف الآخر فهى لا تمانع أن تكون شهادتها جواز مرور للوظيفة ولكن العكس يكون للأسف الشديد عند الطالب الذى ينظر الى الوظيفة قبل التعليم فهو عندئذ يتوق الى الحصول على الوثيقة كجسر يعبر به الى الوظيفة فلهذا يصبح تحصيله للعلم تحصيل حاصل وهذا لا يعنى ان نطلق العمومية فى أحكامنا على الرجل فى اتجاهه للتعليم ولكن نحكم على الأغلبية التى نعتبرها هى المؤشر على وجود الظاهرة وعلى صدق نسبة الحكم عليها .. وكما ذكرنا سلفا هذه الأحكام لا تكون مطلقة ، ولا تصح مصداقيتها الا بمقياس البحث العلمى. وعلى العموم فان حصول المرأة على التفوق العلمى بكل المفاهيم العلمية ، والفكرية والثقافية والاجتماعية تخدم مصلحة البلاد فى كل مناحى الحياة فان دورها حيوى وفعال ومؤثر ايجابا وسلبا فى خطة التنمية وبدونها لا يمكن أن تحقق التنمية الوطنية وظيفتها الأساسية التى تستهدف بناء الانسان قبل كل شىء وتأتى بعد ذلك المقومات الحضارية الأخرى من تكنولوجيا وأبحاث علمية وغيرها . فالمرأة لم تعد ذلك الشبح أو ذلك الهيكل العظمى فى منظور الرجل الحضارى وفى مفاهيم العصر الحديث ولم يعد البيت هو ذلك المكان الذى تسكن فيه وتصبح ربة البيت فان دورها اليوم فى خدمة المجتمع أصبح يشكل قاسما مشتركا مع الرجل ، فى الحق وفى المساواة وفى العدالة الاجتماعية وفق ما حدده الشارع لها .. فالاسلام كفل لها تلك المعطيات وتلك المقومات فهى احدى الكائز الأساسية فى بناء المجتمع وفى تقدمه الحضارى ويكفينا فخرا أن تكون المرأة السعودية حضورها ملحوظا فى كل المؤسسات الثقافية والأكاديمية والتعليمية المجتمع وفى تقدمه الحضارى ويكفينا فخراً أن تكون المرأة السعودية

حضورها ملحوظا فى كل المؤسسات الثقافية والاكاديمية والتعليمية والدينية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها وأهم ما يميز المرأة السعودية انها ملتزمة فى تقاليدها وفى عاداتها الاسلامية مهما تعددت بها المراحل التعليمية كما انها تحافظ على قيمها الاسلامية وتتمسك بها وتعض بها على النواجذ ناهيك عن انتمائها الوطنى لبلادها بكل اخلاص فلا تخترق الحواجز ولا الأسوار التى تتعارض مع كونها امرأة مسلمة لها مساحة وحدود تمشى على أرضها وان ما يقال عن المرأة السعودية من شائعات مغرضة تحط من قيمتها كعنصر متمرد على العادات والتقاليد والخروج عن الأعراف الاجتماعية الملتزمة فهذا ليس له أساس من الصحة جملة وتفصيلا على الاطلاق ‥ بل أنها استطاعت وبكل نجاح الى حد كبير أن تلقى هذا المفهوم الخاطىء عنها وأن تبرىء نفسها منه سلوكا وعملا بل انها فوق كل ذلك استطاعت ان تبرهن جديتها بـ « التفوق العلمى » الذى أحرزته فى ميدان العلم ، وفى أروقة الجامعات وفى المؤسسات الثقافية والأدبية فعلى سبيل المثال لا الحصر كان للمرأة دور كبير فى المنافسة الجدية لعدة محاضرات أدبية وعلمية اقامها النادى الأدبى بجدة واشتركت فيها عبر وسائل الدوائر المغلقة المتلفزة قبل تغيبها فالشىء بالشىء يذكر فاننى لا أرى مانعا ان انقل الى القراء بكل أمانة وبكل صدق الرأى العلمى الذى صدر من الأستاذ الدكتور مختار التهامى أستاذ الصحافة بكلية الاعلام بجامعة القاهرة وعميدها السابق حول تفوق المرأة السعودية فكرا وعلما وجاء هذا التقييم من خلال محاضرة أقامها قبل بضع سنوات فى نادى جدة الأدبى عن الصحافة والتى شاركت فيها المرأة السعودية فى الحوار العلمى وفى المناقشات العلمية عبر الدوائر المغلقة المتلفزة التى أعدها النادى الأدبى للمرأة آنذاك وقبل تغيبها فكان للأستاذة الاكاديمية الدكتورة فاتن شاكر حضور علمى متميز كما يقول عنه الأستاذ المحاضر فيما أبدته من حوار فكرى عن المحاضرة شكلا ومضمونا وفيما يتم عن عمق فى الفكر وفى المنطق الجدلى ، وفى التحليل العلمى الاستنتاجي الذى يدل على سعة فى الاطلاع والمعرفة وتخصص الصحافة وان كانت الدكتورة فاتن كما أعرف عنها متخصصة فى علم الاجتماع ولكن يبدو لى والكلام يتعلق بى شخصيا انه بحكم الممارسة الصحفية للدكتورة فاتن رئاسة تحرير مجلة سيدتى قبل بضع سنوات باعارة من جامعة الملك عبد العزيز أكسبها فن علم الصحافة فكانت لها التجربة الرائدة التى أبدى بها اعجابا عالم الصحافة الأستاذ الدكتور مختار التهامى صاحب النظرية الفكرية فى الصحافة والتى عرفت فى علم التخصص بالمسئولية الدولية ‥

فكون هذه الشهادة تأتى من عالم ومفكر دولى عن التميز العلمى للمرأة السعودية فهذا فى حد ذاته مفخرة واعتزاز لأبناء هذه البلاد ٠

ولم يكن مستغربا عليها ٠٠ لأن بناء الانسان على مرتكزات علمية معاصرة وملتزمة وفق تعاليم الشريعة الاسلامية وهو الهدف الرئيسى الذى قامت عليه خطة التنميـــة التعليمية فى بلادنا ، والذى نجحت ان تحققه بكل فخر واعتزاز وبشهادة من منظمة اليونسكو العـــالمية التى أشادت بخطة التعليم فى بلادنا ونوهت عنها فى نشرتها العلمية وفى ضوء هذا الانجاز العلمى والتعليمى الذى حققته المملكة فى أقـل من ســنوات عمرها فى تنمية السعودى بشكل متميز علميا وفكريا تدعو شبابنـــــا الاكاديمى من الجنسين ان لا ينحصروا فى تخصصاتهم العلميـــة التى درسوها فى الجامعة بل عليهم أن ينموها بشكل ديناميكى ومتحرك من خلال القراءة المستمرة والاطلاع الدائم على المستجدات العلمية والفكرية فى التخصص وفى غير التخصص كتنمية المواهب الثقافية الأخرى ــ وكم كنت متحسرا وأنا أرى شبابنا الجامعى لا يقرأ بعد التخرج ويهمل تخصصه ويكتفى بالعمل الوظيفى الذى يكون أحيانا بعيدا عن التخصص وفق الاحتياج للعمل وان كان هذا القصور محصورا فى الشباب أكثر منه فى الشابات الا أن للضرورة أحكاما ربما تشـير اليها دراسات علميـــة قادمة ويكون الحكم الفيصل فى ذلك بما تخرجه من نتائج علمية فى دراسة ميدانية تطبيقية بين الجنسين وباختصار فاننى أدعو خـــــلال ملحق الأربعاء الى تخصيص يوم باسم القراءة للجميع ويكوم هذا اليوم مفتوحا لزيارة المكتبات العلمية والثقافية والجامعات وغيرها وان يقوم المسئولون فى هذه المكتبات بحـصر عـدد الزوار والوقوف بتســـجيل ملاحظاتهم لهذه الزيادات ومدى الاستفادة منها ويمكن من خلال استنيانات علمية يملؤها الزوار استنباط النتائج بعد تفريغها وتحليلها علميـــا ٠٠ فاذا كانت النتائج تعطى مؤشرا بالفـائدة من الزيارة فعـلى الجهـــات المسئولة فى الجامعات وفى المؤسسات الثقافية ان تبادر بتشجيع كـل زائر له اهتمام بالقراءة من خلال توفير الكتب والمراجع العلمية التى يحتاجها والتى يمكن أن يطلع عليها ويقرؤها داخل المكتبات وهذا فى حد ذاته يكون حافزا مشجعا للقراءة التى يسـتفيد منهـا كل طالب عـلم وثقافة وفكر وأرجوا الا يتوقف الأمر على هـذا التشـجيع فقط بما هو متاح من فتح أبواب الزيارة للمكتبـات فى اليوم المفتوح بل أن نتبـع خطوات أخرى مشجعة لأيام اخرى وتكون فيه أيضا حوافز تشـــجيعية معنوية مقدمة من المسئولين عن المكتبات من وثائق وغيرها للزائر الذى يستطيع أن يقضى أكبر وقت ممكن من فراغه فى الاطلاع والقراءة على

الكتب التى يختارها على أن تكون تلك الوثائق بمثابة شهادة مقـــدمة له بحســاب الســاعات التى قضاها فى المكتبة والتى تشهد بأنه قارىء جاد ..وأرجو أن يكون هذا الاقتراح بـ « يوم القراءة للجميع » وبالأيام الأخرى مفيداً لتشجيع القراءة وان تكون لها فوائد أخرى كالقضاء على وقت فراغ الشــاب والقضــــاء أيضــا على الأميــة الثقافية المنتشرة بين بعض شرائح المثقفين الذين لا يقرءون واذا قــرءوا لا يســتفيدون وأرجو فى آخر الأمر ان لا يحدث تمدد فى ثقافة المرأة عن الرجل وان يكون هناك توازن فكرى يجمع بينهما وهذا هو القاسم المشترك الذى نبحث عنه بعد أن أصبح مفقوداً فى قاعة الدرس فى الجامعات وفق ما قدمناه من تصور ذاتى لواقع تجربة عشت فيها وكنت أحد الذين قدموا ملاحظات علمية عنها .. انها ظاهرة خطيرة وتستحق الدرس العلمى والبحــث العلمى وتستحق أن تناقش على مستوى القاعات الكبرى فى الجامعات وفى المؤسسات العلمية الأخرى وفى المؤسسات الثقــافية والفكـرية والاعلامية وغيرها ..

ونسأل الله التوفيق للجميع . »

ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق (★)

فى ظل المتغيرات الاجتماعية التى جاءت نتيجة للتطور المادى لكل الشعوب أصبح المجتمع يدفع ضريبة لكل هذه المتغيرات ، انعكست على وضعه الاقتصادى والثقافى ، والاجتماعى ، والسياسى ٠

وبالرغم من الانجاز العظيم الذى أحرزته المجتمعات الحديثة من تقدم تقنى ، وعلمى ، وثقافى ، وما الى ذلك ، غير أننا أصبحنا نعانى من أزمات نفسية تفشت لغياب العنصر المهم الذى أوجده ضعف الوازع الدينى فى ممارسة طقوسنا الدينية وفق التعاليم الاسلامية اذ أن « البرجماتية المادية » بهرت بعض النفوس الضعيفة فانجرفت فى تيارها وغاصت فى أوحالها ، حيث ضربت عرض الحائط بكل القيم الانسانية ، والأخلاقية ، وأصبحت تجرى وتلهث وراء كل كسب مادى بغض النظر عن القيم الروحية والمعنوية والتى تتمثل فى أهم عناصر الحياة فى أشكالها المختلفة وقيمها المتعددة ٠

ولعل من أهم الأمور التى تشغل بالنا فى الوقت الحاضر ظاهرة تفشى الطلاق وانتشاره فى داخل مجتمعنا ، والذى أصبح يهدد تفككنا الأسرى والاجتماعى ناهيك عن ما يترتب عن ذلك من خروج عن القيم الحضارية والموروثات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية ، من خلال ذلك التفكك الذى يمزق الترابط الأسرى بعوامل الضياع والتشرد والهروب الذى ينشأ بالانفصال بين الزوجين ٠

وبنظرة عابرة فاحصة عن الأسباب التى تؤدى الى الطلاق فان ثمة أمورا وعوامل تحكم هذه الظاهرة أو تلك الوضعية التى هى محور تعرضنا لها ، فاذا أمعنا النظر فى الأسباب نجد انها تتلخص فى النقاط التالية :

(★) اقرأ العدد « ٧٧٠ » ـ ١٤١٠/١١/٢١ هـ ـ ٣٠ ـ ٣١ ٠

١ ـ اهمال الوصايا الدينية من حيث اختيار الزوجة المناسبة حيث ان الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم يوصى باختيار الزوجة لخلقها ودينها ومالها وحسبها حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ٠

٢ ـ سوء المعاشرة بين الزوجين حيث ان الله سبحانه وتعالى يوصى كلا من الزوجين بحسن المعاشرة والألفة والمودة بينهما ويقول تعالى فى ذلك : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ٠٠ الأية ٠

٣ ـ تحكم الأهل والأقارب فى حياة الزوجين ، حيث يدعو الله الأهل الى عدم التدخل فى حياة الزوجين والعمل على الاصلاح بينهما ، حيث يقول سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » ٠٠ الآية ٠

٤ ـ العقم فان الرجل اذا كان عقيما انقطع النسل الذى هو من أحكم فضائل الزواج فالطلاق اذن فيه فائدة للرجل اذا كانت المرأة عقيما ، وفيه فائدة لها اذا كان البعل عقيما ٠ اذن ، من جملة الأغراض الداعية للزواج وجود النسل ٠

٥ ـ اذا امتنع الزوج عن الانفاق على زوجته فان كان له مال ظاهر نفذ الحكم عليه بالنفقة من ماله فان لم يكن له مال ظاهر وأصر على عدم الطلاق طلق عليه القاضى فى الحال ٠

٦ ـ للزوجة أن تطلب من القاضى التطليق على الزوج اذا كان يصلها منه سوء معاملة ٠

٧ ـ الشجار والضيق المستمر بين الزوجين ٠

٨ ـ عدم التكافؤ الاجتماعى بين الزوجين ٠

٩ ـ ان الطلاق يحدث بنسبة مرتفعة بين صغار السن المتزوجين « ١٥ ـ ١٩ » سنة ٠ يصنف « موناهان » العوامل التى تؤثر فى نسبة الطلاق الى ثلاثة عوامل :

أولا : كلما امتدت الحياة الزوجية زادت توثقا ، فالأشخاص الذين يتزوجون هذا العام أكثر تعرضا للطلاق ممن تزوجوا منذ عشرين سنة ٠

ثانيا : للعوامل الخارجية كالأزمات الاقتصادية وغيرها تأثير بارتفاع نسبة الطلاق ٠

ثالثا : والفئة الأخيرة هي التي ترتبط بالظروف التي يتم فيها الزواج كالزوج الذي يتصف بالرعونة ، وعدم النضج النفسي والاجتماعي، كما يدعي « موناهان » ان الاختلاف بين أنماط المعيشة الريفية والحضرية من أهم العوامل التي تؤثر في نسبة الطلاق ، بالاضافة الى اختلاف نسبة الطلاق بين المجموعات المهنية المختلفة ، ويرى « موناهان » أن هناك ارتباطا بين الطلاق والمستوى الاجتماعي والاقتصادي فان الجماعات المعنية التي تتمتع بمستويات اجتماعية اقتصادية مرتفعة تنخفض فيها نسبة الطلاق ، بينما ترتفع نسبة الطلاق بين عمال الخدمات والعمال في المستويات الاجتماعية الاقتصادية المخفضة ٠

التغيرات في معدلات الطلاق :

يرى علماء الاجتماع أن ارتفاع معدلات الطلاق في أي مجتمع يكون اشارة واضحة على تفككه ودليلا على التغير في نسق الأسرة وهذا بالتالي يصبح مؤشرا على التغير في بناء المجتمع ككل ، وبالرغم من الذي قيل ان البلاد الصناعية هي أكثر المجتمعات تعرضا للطلاق غير أن الداسات العلمية أثبتت غير ذلك ، فالتصنيع لم يكن له أية علاقة بارتفاع معدلات الطلاق بل حدث عكس ذلك ، اذ أن هذه المجتمعات انخفضت فيها نسبة الطلاق كما يؤكده كثير من الباحثين ، اذ أن النسق الصناعي يتطلب شكلا معينا من الأسرة والأسرة هي النواة الزوجية ٠

فمن المعروف لدى الباحثين ان نسق الأسرة ، النواة أصبح اليوم النسق الشائع في كثير من المجتمعات ، فهو الأمر الذي يفرض على الزوجين أن يتوقعا توفر جميع احتياجاتها العاطفية من خلال وحدة الأسرة الصغيرة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال ، وهذا يلقى على الأسرة عبئا أو حملا عاطفيا ثقيلا لم يكن في وسع الأسرة تحمله امتدادا بـ « التقليدية » ٠

وعلى الرغم من ارتفاع نسبة الطلاق فلا يمكن أن تتخذ دليلا على زيادة الشقاء أو التعاسة الزوجية بنفس النسبة لوجود عوامل تتدخل من الموقف ٠

وكما تشير البيانات المتاحة أن أكثر حالات الطلاق تقع بين الزوجات اللائي أنجبن طفلاً واحدا وتقع أعمارهن من « ٢٠ ــ ٢٥ سنة » بينما

تنعكس النسبة الى الزيادة فى عدد الأطفال وهذا مما يقلل احتمــال وجود الطلاق وربما يرجع ذلك الى السبب الذى من أجله وقع الطلاق بحيث ان الأسرة التى لم تنجب أكثر تعرضا للتفكك ٠

أثر الطلاق على الأبنــاء :

السؤال الذى طرحه الباحثون من علماء النفس والاجتمــاع ماذا يمكن أن يحدث للأطفال عندما تتقوض دعائم الأسرة وتنهار ؟

وتأتى الاجابة من خلال نتائج دراستهم لتوضح لها أهم النقاط التى توصلوا اليها وفق المعايير والقياسات التالية :

١ ـ ان الأطفال الذين يعيشون وينشأون فى أحضان أسرة سعيــــدة يتمتعون بصحة نفسية ووجدانية جيدة ، هــذا فى الوقت الذى يفتقد الأطفال الذين يربون فى ظل أسرة تفتقر الى الحنان والانسجام والسعادة وكذلك الهناء حتى ولو لم يحدث طلاق بين الأبوين ٠ وتؤكد دراسات الطب النفسى على الصعوبات التى يواجهها الأفراد الذين نشأوا فى أسرة تفتقر الى الحنان والانسجام وأيضا تحت آثار جانبية ضارة على الأطفال عندما يصاب الأب أو أحد الأبناء أو الاخوة بمرض عصبى ٠

٢ ـ كشف الكثير من الدراسات عن حقيقة مهمة مفادها أن وجــود ارتباط قوى بين الجنوح وبين عدم الاستقرار الأسرى ونجم جزء من هذا الارتباط عن حقيقة أن فى حالات الطلاق ترتفع معدلات الجنوح ٠

٣ ـ الاخفاق فى تنشئة الأطفال على نحو ملائم ، فغياب الأب عن الأسرة سواء كان بالطلاق أم الوفاة يؤدى الى فقدان النموذج الذى يمكن أن يحتذيه الطفل ٠

٤ ـ قام كل من العالم « شلدون اليانور جلويك » بربط جنوح الأحداث بعدد من أنماط عدم الاستقرار الأسرى فوقوع الجنوح أكثر احتمالا بين الأطفال الذين ينحدرون من أسرة تعرضت للطلاق ٠

نتائج الطــــــلاق :

يشير عدد من الدراسات العلمية التى تناولت ظاهرة انتشار الطلاق الأسباب التى تؤدى اليه ـ والطرق التى تتخذ لمحاولة التقليل منها :

أولا : اصرار أسرة الزوج أو الزوجة على اختيار شريك الحياة من نفس الطبقة التى ينتمى اليها الطرف الآخر ، بحيث يوجد تماثل

فى العادات ، والتقاليد مما يقلل من احتمالات حدوث توترات فى الحياة الزوجية مستقبلا ٠

ثانيا : هناك بعض المشاكل لا ترقى الى الأهمية التى قد تتخذ ذريعة لحدوث الطلاق ، فمثلا عدم الاحترام الذى كانت تبديه الزوجة ازاء اقارب الزوج المسنين كان يعتبر مبررا لحدوث الطلاق فى الحين القديم ٠

ثالثا : من الأنماط الأخرى التى تستخدم للتقليل من الآثار التى ترتب على التوترات والتعاسة الزوجية عدم المبالغة فى التوقعات المترتبة على الحياة الزوجية فى المستقبل ، ففى المجتمعات الغربية نجد الشباب ينظرون الى الزواج نظرة وردية ثم بعد الزواج يشعرون بخيبة الأمل عندما يجدون الزواج مملوءا بالملل والكآبة ٠

ففى الوقت الذى أباح الاسلام الطلاق وأعطى الحرية للمسلمين فى ممارسته الا انه شدد فى خطورته وفى الاسراف فيه ، وقد فرض الشارع الكثير من التحذيرات والوسائل المانعة مما يجعل الطلاق شيئا مكروها وغير مستحب فقد جاء فى الحديث النبوى الشريف :

« ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق » ٠

وروى عن ابن عمر انه قال : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » وفى قول للامام على كرم الله وجهه : « تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش » ٠

وقال كثيرا من الفقهاء ان الطلاق أصله الحظر ، ومن ثم لا يجوز الاقدام عليه الا لسبب مشروع ٠

وبعد أن استعرضنا الأسباب التى أدت الى استشراء ظاهرة الطلاق فى العقد الأخير من القرن العشرين نتيجة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وما حدث من تغيير فى أنماط القيم الحضارية والأخلاقية والمادية ، فاننا نحمل المسئولية الكبرى على المؤسسات الاجتماعية ، والتعليمية ، والثقافية ، والدينية ، والاعلامية ، فان غياب نشاطها فى هذا المجال ، وعدم العناية والتركيز على تنبيه الوعى العام بمغبة هذه الخطورة ، أدى بالتالى الى مثل هذا القصور الذى من شأنه أن يؤدى الى تدهور القيم الأخلاقية والسلوكية ، وغيرها من الأنماط الأخرى التى ترتبط بحياة المجتمع ٠

فلو أن هذه المؤسسات تضافرت بالجهود وبالخطط العلمية المدروسة فى مجابهة هذه المشكلة ومعضلاتها لما أصبحت تشكل فى عصرنا خطورة وتهدد فى تفكك مجتمعنا وتعرضه للانسلاخ العام من واقعه الحضـــارى الذى أصبح قوة لا يستهان بها فى مواجهة كل التحديات المـــادية وغيـــر المادية التى تحيط به من كل جانب ٠

فالمجتمع المتماسك أسريا واجتماعيا هو ذلك المجتمع الحضارى الذى يحقق الانجازات العظيمة فى كل مناحى الحياة وأنشطتها العامة ، وهو الذى يرقى بالاسم ويصبح قلعة حصينـــة وقوية فى مجابهـــة كل التحديات أيا كانت ٠

وكم بودى أن أرى هذه المؤسسات التى عنيتها بالذكر تعد الخطط المنظمة لعمل الأمسيات والمحاضرات واللقاءات ، والخطب الدينية ، وغير الدينية التى تتناول ظاهرة الطلاق بالدراسة والتحليل ، والتمحيص ، والعلاج ، فالقنوات الاعلامية والثقافية هى أكثر المنابر الخصـــبة التى تنطلق منها هذه الدراسات وهذه الندوات ، وأرجوا أن تعار هذه النظرة من رجال الفكر ، والأدب والدين بعين الاعتبار والاهتمام ٠

أين موقعنا من المعاكسات التليفونية (★)

أصبحت المعاكسات الهاتفية تشكل مصدر ازعاج وقلــق نفسى لكثير من الأسر التى تحولت حياتها الى سلسلة متواصلة من المشاكل والعقد النفسية والتى ربما أدت فى بعض الحالات الى تفكيـك الأسرة الواحدة ، وتشريد أفرادها ٠

والمتأمل فى عالم المعاكسات الهاتفية ، وغاياتهــا المتوحشــة وضحاياها الابرياء ، يلمس حقيقة لا مفر منها ــ فى بعض الحالات ــ فى عالم الرذيلة المملوء بالسخف والقباحة ، وشدة الانحراف ، قوامها كلمات تافهة عبر أسلاك الهاتف لشغل أوقات من الفراغ ، مما قد يحدث ثغرات ــ لا سمح الله ــ فى كيان الأسرة المتماسكة ، ويصدع من ثم صرح سعادتها باثارة الشكوك فى الاخلاص والنوايا المتبادلة ، ولطالما سمعنا أخبارا كثيرة فى المجالس الخــاصة ، ولربما انتقل بعضــها أيضــا الى مجالات أوسع انتشاراً ، وذيوعا من خلال وسائل الاعلام ٠

وقد تكون المبالغة مختلطة ببعض تلك الاخبار ، ولكن منطلقات تلك الاخبار هى حقيقة لا يجوز تجاهلها ، متمثلة فى سوء استخدام الهاتف الذى تحول عند بعض ضعاف النفوس ، أو القاصرين ، أو الطائشين من الجنسين ، من وسيلة اتصال سهلة الى وسيلة ازعاج قد تصــل الى خطورة التدمير ــ لا سمح الله ــ ومن أمثلة هذا التدمير الطلاق ، وهــو أبغض الحلال الى الله عز وجل ، والذى قد تسببه اثارة هاتفية طائشة تشبه طلقة مسدس فى يد طائش لا يعرف كيف ومتى يجوز له أن يطلقها ٠

★★★

(★) مجلة اقرأ ــ العدد « ٧٧٢ » ــ ١٤١٠/١٢/٦ هـ ٠

وبالرغم من المبررات لحدوثها ، فانها لا تعدو أن تكون سلوكا سخيفا ترتكبه قلة من شرائح المجتمع التى لا تعبأ بالمسئولية الأخلاقية والاجتماعية ، وبغض النظر عن نوعية هذه الشريحة وتكوينها السكانى Demography ـ الديمغرافى) أو صلتها بالبيئة التى تخرج منها ، ومدى النزعة السلوكية التى تأصلت فيها من خلال نشاتها فى تلك البيئة وذلك الوسط Mullieu Atmosphere فان هذا الأسلوب لا ياتى الا من مردودات التنشئة الاجتماعية ومن أصلابها التربوية ٠

وكم يحز فى نفسى وأنا أرى مثل هذه التصرفات الماجنة غير الواعية تصدر من شباب وشابات نتوسم فيهم كل خير ومستقبل عظيم ، ونحمد الله تعالى أن النسبة التى ترتكب مثل هذا الجنوح لا تشكل سوى قطرة فى بحر مجتمعنا الطيب فى جذور تكوينه الأصيلة ٠

وأنا أقول هذا بعد أن تعرضت ـ أنا شخصيا ـ الى اكثر من مرة لمعاكسات هاتفية طائشة ، وفى وقت متأخر من الليل ، هو فى العرف العام عند أهل الأذواق الانسانية وقت راحة ، بل ونوم وسكون ، اذ جعل الله تعالى الليل سكنا ولباسا ٠

واذا افترضنا حسن النية الى درجة السذاجة والبلاهة عند بعض أولئك المعاكسين ، فاننا قد نفترض انهم لا يعون ، أو لعلهم لا يدركون خطورة هذا اللعب بوسيلة الاتصال الهاتفية ، ومن خلالها بأعصاب من يزعجونهم وراحتهم النفسية والجسمية ، بل والادهى من ذلك كله حجم الخطورة على التكوين الأسرى الذى يهددونه بمعاكساتهم الصبيانية أو غير الأخلاقية ، وهنا تتجسد حساسية هذه الخطورة فى أعلى درجاتها ، وهنا تتجسد كذلك مسئوليات البيت والمدرسة ، والتعليم ووسائل الاعلام بجميع قنواتها المقروءة والمسموعة والمرئية فى التوعية بهذه الخطورة ، وابعاد الأبرياء من أنصاف المراهقين ، والمراهقات عن اللعب بالنار من خلالها ٠

وبالرغم من ان مجتمعنا عريق فى أخلاقياته التى أصلها الاسلام ، وصقلتها الشهامة العربية ، فان التقدم الحضارى لا يجوز ان تطغى فيه الرغبة فى امتلاك المادة لتسخيرها لتحقيق التسلية غير البريئة ، التى تأتى على حساب صحة الشرفاء ، وكرامة تكوينهم الأسرى النفاذ من ثم الى أسرارهم الخصوصية ، وعلاقاتهم الذاتية الحميمة لضربها فى العمق بلا وعى أو بلا تقدير لخطورة مثل هذا اللعب ، والتلاعب ، ولكى يكون تأملنا واقعيا لا تثيره العواطف وحدها ، فاننا نقوم هنا بخلاصة

احصائية استبيانية تقريبية لشرائح منتجة بعناية من فئات اجتماعية متعددة ، قام بحصرها بعض الطلاب والطالبات فى مستويات اجتماعيه متعددة قريبة اليهم ، وبمنتهى السرية فى الاسماء ، والأشخاص ، والاعتماد على الموضوعية التامة فى استخلاص الحقائق ٠

أولا ــ الأسباب والدوافع :

(أ) بدءاً بمحاولة حصر الدوافع ، والأسباب التى يقع تحت ضغوط تأثيرها المعاكسون والمعاكسات ، وتصل نتيجة تحديد سبب أوقات الفراغ ، والبحث عن وسيلة تسلية وتزجية لهذا الوقت ، اتضح ان ٨٠٪ من جميع الشرائح الدافع الأكبر والأول للجوء الى المعاكسات الهاتفية ٠

(ب) وجاء فى المرتبة الثانية مع فارق كبير سبب اهمال الكبار فى الأسرة كالوالدين واجب الاشراف على صغار الأسرة ، اذ اتضح ان ٢٠٪ من جميع الشرائح المنتجة والمختارة قد أكدت ان هذه الفجوة فى التربية بالتوجيه والقدوة ، هى الاشراف تمثل السبب الثانى الذى يندفع تحت ضغطه المعاكسون ، والمعاكسات الى أساءة استخدام الهاتف ٠

ثانيا : الاستكشاف وردود الفعل :

بالبحث عن وجود المعرفة بهذه المشكلة من عدم ذلك عند الشرائح المنتجة ، والمختارة لهذه الاحصائية اتضح أن :

ان ٢٠٪ من أفراد جميع الشرائح المختارة قرروا أن تعرفهم على خطورة هذه المشكلة من خلال ما اطلعوا عليه فى الصحف ، واستمعوا اليه فى الاذاعتين المرئية والمسموعة ، قد أدركوا خطورة أبعاد هذه القضية الاجتماعية فكان رد الفعل عندهم ايجابيا من حيث الكف أو الابتعاد أو الحذر ، وسلبيا من حيث الاقدام على اساءة استخدام الهاتف لأغراض المعاكسة ٠

ثالثا : العواقب والاعباء :

بعد تحديد الدوافع والأسباب واستكشاف الابعاد والتأثيرات ، كان الهدف الثالث لهذه الاحصائية هو تحديد الاعباء التى تنتج عن ممارسة هذه اللعبة الخطيرة (Consequence) فظهرت من خلال جميع الشراح المنتجة للبحث النسب التالية :

(أ) ٧٥٪ كانت النسبة التى حددت العبء المالى الذى يشمل الضريبة الكبرى لصاحب الهاتف الأصلى ، الذى عليه أن يلتزم بسداد فاتورة الهاتف التى تسجل عليها المعاكسات ، قد تستغرق أكثر من ١٠٠ الى ١٢٠ دقيقة ، وبتحويل هذه الدقائق الى أجور فعلية يمكن تصور فداحة العبء المالى الذى يمثل ٧٥٪ حسب هذه الاحصائية ٠

(ب) تبين أن ٣٠٪ من أفراد الشرائح المنتخبة والمختارة لهذه الدراسة الاحصائية قد ينتهى بهم الأمر الى الزواج الهاتفى ، من خلال معاكساتهم ، وان ما بين ٥٠ الى ٢٥٪ من نسبة الـ ٣٠٪ تصبح زيجات فاشلة ، أو على الأقل غير موفقة ١٠٠٪ ٠

وبمعاودة النظر التأملى فى هذه الاحصائيات نجد أن المعاكسات الهاتفية تنتهى الى :

١ ـ قضية اجتماعية لها خصائص المشكلة ٠

٢ ـ بما أن كل قضية تتحول الى مشكلة تحتاج الى حل ٠

٣ ـ تحديد المسئوليات فى خيط المشكلة ووصف الحل وتنفيذه ٠

أولا : بما أن الهدف الأول لاحصائياتنا هذه تركز على البحث عن الأسباب والدوافع ، فان الحل ينبثق من خلال تأكد فى هذا الهدف وهو :

أولا ـ وقت الفراغ ، فالمطلوب هنا : تظافر جميع المسئولين عن الشباب من الجنسين فى وسائل التعليم ، ورعاية الشباب والأندية الثقافية والرياضية ، والجمعيات النسائية والمراكز الصيفية ، وما شابه ذلك كله تضافراً جاداً فى البحث عن بدائل سليمة لشغل أوقات الفراغ عند الشباب من الجنسين ، لا وبل ، وعند كثير من المسنين أو الذين لا شاغل لهم ، بتكثيف الأنشطة المفيدة فى وسائل تسلية جماعية ، أو حتى فردية فى قنوات تديرها جهات تربوية يشرف عليها متخصصون فى شغل أوقات الفراغ ، بالنافع المفيد ، ولا بأس فى هذا من الاستفادة من تجارب أمم أخرى ٠

ثانيا ـ تنظيم وسائل أيقاظ الآباء والأمهات ، وكبار الأسرة من سباتهم ، وتغافلهم وتنبيههم الى وجوب تحمل مسئوليتهم فى الرعاية الأسرية الشاملة ٠

وبما أن الهدف الثانى من أهداف هذه الدراسة الاحصائية ، كان

مركزا على البحث عن استكشاف الالمام بهذه المشكلة ، وردود الفعل فيها ، فاننا نخلص الى تحديد الحل لهذا الاشكال فى :

ـ تكثيف التوعية الاعلامية المباشرة وغير المباشرة بهذه القضية وأبعادها ، وبخاصة اننا قد تأكدنا ، كما اتضح من الاحصائية ، أن رد الفعل الايجابى والسلبى لهذه التوعية فى مصلحة انقاص عدد الذين يمارسون هذه اللعبة الخطرة ، وحيث ان الهدف الثالث والأخير من أهداف هذه الدراسة الاحصائية كان مركزا على البحث عن تحديد ملامح الاعباء (Consequence) الناجمة عن هذه المشكلة ، فان الحل الذى نستخلصه من النتائج التى تحققت من هذا الهدف هو فى ضبط الهواتف فى البيوت والمكاتب ، ضبطا يقنن استخدامها ، وقد أحسنت ادارة الهاتف السعودى فى السيطرة على هذه الطرف من أطراف المشكلة باستخدام أجهزة دقيقة قد لا تمتلكها بلدان سبقتنا حضاريا ، وهذه الأجهزة تسجل طباعة على الفواتير أرقام الهواتف المطلوبة ، وعدد الدقائق والأجور ، وما على صاحب الهاتف الا أن يراجع الفاتورة فى نهاية كل فترة ، ويسأل نفسه وجميع أفراد أسرته عن حقيقة الزمن والأجور التى تطبع على الفاتورة ٠

اننا بهذه الدراسة الاحصائية وتحديد أهدافها ونتائجها وتحديد الحلول التى أسسناها عليها ، نقدم اسهاما متواضعا فى التوعية الاعلامية ، التى كانت أحد الحلول الجذرية المقترحة فى دراستنا هذه ، كما أوضحنا قبل قليل ، وهكذا نكون تنظيريين فى اقتحام هذه القضية وأسس أبعادها ٠

والله تعالى الموفق ٠٠

الكذب وأثره على حياة الفرد (★)

شدد الدين الاسلامى فى أكثر من موضوع فى الآيات الكريمة ، وفى الأحاديث النبوية على اجتناب الكذب ، غير أن البعض للأسف الشديد يتخذون الكذب وسيلة من وسائل التسلية والترفيه والتعويض عن مركب النقص وللكذب أنواع مختلفة ٠

ولعلنا نذكر كذبة أبريل ٠٠ التى ابتدعها الغرب ليجعل منها مناسبة وذكرى سنوية باسم الشهر الذى اقترنت به يتسابق الأفراد مسلمين وغير مسلمين فى اختلاق مواقف كاذبة يلفقونها على بعضهم ، و كم من هذه الأكذوبات أوقعت العديد فى كوارث ونكبات جرت الى هدم بيوت ، وتفتتت أسر ، وطلاق وضياع أطفال وهلم جرا ٠٠ ! وأصبح الكذب فى حياة الأفراد سلوكا مشينا قلب موازين حياتهم الخاصة والعامة ٠ وبالرغم من ذلك فان الكذب لا يخلو منه أى انسان ٠ ولا يمكن أن تسلم منه أية بيئة ٠ ويصعب عليك أن تجد طائفة من البشر تنزهت من الكذب وتبرأت منه ٥ ولا تكاد تجد أية جريمة الا وفى خيوطها ، بل وفى ذيولها الكذب ٠

اذن ، فالكذب موجود فى حياة الأفراد ٠ وتنبذه الأعراف الاجتماعية ، وتحتقره كل القيم الانسانية ، فجاء القرآن الكريم ، والسنة النبوية لتذم الكذب ٠

وقد قال تعالى مخاطبا سيدنا ابراهيم عليه السلام : « رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ٠٠ (الشعراء ٨٣ ــ ٨٤) ٠ وفى سؤال جابر للرسول صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا يا رسول الله قال : قد يكون ، قال : أيكون بخيلا ؟ قال : قد يكون ، قال : أيكون كذابا ؟ قال لا ٠

(★) اقرأ ــ العدد « ٧٧٥ » ــ ١٤١١/١/٤ هـ ٠
(★) اقرأ ــ العدد « ٧٧٦ » ــ ١٤١١/١/١١ هـ

فالكذب حركة « ديناميه » انفعالية تضخ فى القنوات السلوكية غير الواعية لا يحكمها أى ضابط من الضوابط النفسية أو الاجتماعية فالكذب لا يتبع أى قانون يقف حائلا لمواجهته فاذا ما حدث ووجد هذا القانون الرادع فهو سرعان ما يتجه الى الناحية المضادة لكونه أصبح احد نزعات الفرد السلوكية المتأصلة فاذا ما استفحل الكذب ليكـــون سلوكا متمرسا ومتوغلا فى الذات يصبح العـــلاج ذا أثر سلبى فى الشخصية •

ويظن البعض أن السبب فى نشوء هذا السلوك يرجع فى الأساس الى اكتسابه عن طريق رفقاء السوء وعن طريق أفـــلام العصابات ، وضعف سيطرة الوالدين وما الى ذلك من أمور تنشئية ونحن نوافق على ذلك الى حد ما كأحد الأسباب والدوافع لهذا السلوك ، ولكن تأتى الأهمية فى الدرجة الأولى من أن الفرد المنحرف لديه الاستعداد فى اختلال توازن الشخصية ونزوعها الى ذلك فى محاربة هذا الخطأ والاستمرارية فيه • حتى أصبح مع مرور التكرار عادة متأصلة فيه لا يمكنه الاستغناء عنها •

وتعلب الأسرة وخصاصة الآباء والامهات أدوارا كبيرة فى مرحلة التنشئة « Socialazion » ويقع على عاتقها متابعة سلوك الأبناء فاذا شعرت هذه الأسرة بادىء ذى بدء بأن سلوك أحد الأبناء اخذ يتجه نحـــو الكذب عليها أن تبادر وبسرعة الى تقويم هذا السلوك واصلاحه وتعديله من هذا الانحراف ليكون سلوكا ومنهجا تربويا سليما يكفل النجاح الى السلوك الصحى السوى •

وهناك العديد من القنوات والوسائل التربوية التى تعلمناها من الشريعة الاسلامية وفى اعتقادى ونحن نعيش فى هذه الحياة المعاصرة التى تقدمت بالعلم والتكنولوجيا لا تنقصنا المرونة والتعاليم التى نربى بها أولادنا ناهيك عن معتقداتنا الدينية الكريمة وفى واقع الأمر ان للأم دورا كبيراً فى تشكيل شخصية الأبناء لاسيما فى مرحلة الطفولة التى يتعلق فيها الأبناء بأمهاتهم •

ومن أهم الوسائل التربوية السليمة للاستخدام الأمثل فى تربيـــة الأبناء أن تكون الأم القدوة الحسنة فى تطبيق السلوك السوى على أن تنهج سلوك الصدق والابتعاد عن الكذب ، فـ « الأسرة » هى المرآة العاكسة التى نرى فيها السلوك فى نفسية هؤلاء الأفراد لأنهم يتشربون منها كل صغيرة وكبيرة فلذلك نرى فيها الواجهة الحقيقية التى يقيم فيها ســلوك الأفراد •

وكون أن الكــذب سلوك منحـرف فانــه يتنافى مع قيمــة الأسرة كمؤسسة اجتماعية يفترض فيها أن تؤدى أدوارا اجتماعية تخدم فيها المجتمع من خلال افرادها في كل قيمه الحضارية والاجتمــاعية والثقافية والدينية وغيرها ، على أن تكون الخدمات الاجتماعية تمثل أهم الظواهر الصحية المنضبطة فى سلوكيات افراد الطاقة البشريـــة التى تنتجها الأسرة المثالية لتنمى بها المجتمع فى كل قيمه الحضارية والروحية والمادية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية وغيها ٠

فاذا كان الكذب يعتبر مرضا من الأمراض الاجتماعية فهو اذا استجابة نمطية داعية للتوتر والقلق الناجم من استمرار الاحباط للفرد كاستجابة لتلك التوترات ، وقد فسر العالم « ماور » ان الانحراف نتيجة لسوء عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى باعتبـــاره عملية تعلم اجتماعى ، والفشل فى التعلم للقيم وفى امتصاص المبادىء والمثل التى تعتبر عيبا فى نمو الضمير ومن هنا نرى أن دور الأسرة من خـــلال أدوار التنشئة الاجتماعية أن تفرض حصارا وسدا منيعا على ذلك الفشل الذى يقود أفراد الأسرة نحو الاتجاه الى السلوك السوى الذى يحرمها من صحوة الضمير وغيبته فى ظل سلوك غير سليم السلوك ٠٠ وعـــلم النفس الاجتماعى نجد أن السلوك فى حد ذاته ليس منحرفا أو غيـــر منحرف أخلاقيا ولكن التقويم الاجتماعى للسلوك كما يفسر علم النفس الاجتماعى النظرة اليه والحكم عليه من جانب من يتأثرون بهذا السلوك هى التى تحدد ما اذا كان منحرفا أم لا وذلك فى ضوء السلوك المعيـــارى المرتضى فى المجتمع ٠ ويرجع علماء النفس الاجتماعى الانحراف الى البيئة النفسية الاجتماعية والمشكلات والأوضاع الثقافية واضطراب عمليـــة التنشئة والتطبيع الاجتماعى ويركز الموجهون التربويون الى ارشـــــاد الأسرة برؤية جديدة لتوقع متى يمكن أن ينتهج الطفل سلوك الكذب وكيف يمكن الاسهام فى الوقاية من الوقوع فى الأكاذيب فى مراحل التنشئة الاجتماعية ، وهذا بالتالى ما يؤدى الى وضع خطة وقائية لمختلف أفراد الأسرة وخاصة صغارها ليس فقط من حدوث هذا السلوك بل تركـــز الجهود بعناية أشد على أولئك الأعضاء ، والأكثر قابليـــة فى الأسرة لبعض الانحرافات ٠

وفى الجانب الآخر نرى أن علماء النفس قاموا بتحليل ظـــاهرة الانحراف ففسروا أن الانحراف ، ومنه الكذب ، يرجع الى اضطراب نمـــو « الانا » وعجز « الانا الأعلى » فالكاذب شخص منحرف يدخل ضمن الشخصية « سيكوباتية » وهى الشخصية المريضة اجتماعيا غير المتوافقة

نفسيا ومهنيا والشخصية التهجمية التى تتصف بالانفجارات الانفعالية « الشخصية الشديدة » ·

ومن الأسباب والدوافع التى تجعل من الفرد أن يكون كاذبا عوامل كثيرة عددها علماء النفس ومن اهمها :

١ ـ رغبة الانسان فى تحقيق مصلحة شخصية ·

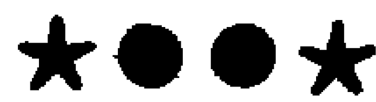
٢ ـ الغرور وعدم الرغبة فى الظهور بمظهر حقيقى ·

٣ ـ الكبرياء والرغبة فى التعالى عن طريق ايهام الناس بغير الواقع

٤ ـ الميل الى المبالغة ·

ـ هناك الكذب المرضى وهو ما يسميه علماء النفس بـ « التهويـــل المجانى » وهو الكذب المجرد عن أى بواعث سوى ذلك الباعث المرضى عند صاحبه بحيث لا يستطيع أن يصدق ولا يستطيع الا أن يكذب حتى لو كان الكذب يضره ، والصدق يفيده ·

ولقد ذهب بعض أفراد المرضى الى انهم يتفاخـــرون بالكـــذب ويعتبرونه المثل الأعظم لهم فذكر لى أحدهم وقال : لو أن شخصا ما يتفوق على بـ « الكذب » فاننى لا أتوانى أن أمحوه من الوجود وكأنما الأمر فى رأيه أن الكذب هو مدعاة للفخر والاعتزاز هكذا مررت بهذا الموقف من مريض لا يخجل على نفسه بأن يجعل من الكذب قيمة وفخرا يعتز به الى درجة تجعله يفقد كل القيم الانسانية والأخلاقية وفى هذا النموذج الذى تعرضت له لم يكن من باب التخيل أو السخرية أو الوهم من ذلك ولكنه حقيقة واقعية صادفتها فى حياتى للمرة الأولى وأرجو أن تكون الأخيرة ومن خلال هذا النموذج الذى استعرضته يسمى علماء الجريمة بأن هذا اللون يدخل ضمن تسميته « المحروم السيكوباتى ـ Psychopathic Personality » ومن امارات الكذب انك اذا شككته فى حديثه يتشكك فيه ·



ابعـــاد الكـــذب :

للكذب ثلاثة أبعاد أحصاها علماء النفس والاجماع فيما يلى :

ـ البعد النفسى :

وهو ما كان مستاصلا فى الانسان بسبب ظروف اسرية وبسبب التنشئة الاجتماعية غير الصحيحة ، فيؤكد علماء النمو النفسى العلاقة

الوطيدة بين احباطات الطفولة والضغوط الزائدة والتنشئة الاجتماعية غير السوية وبين الاضطرابات الانفعالية ومشكلات التوافق فى المراهقة وما بعدها والتى قد تجعل من الفرد انسانا غير سوى يسهل انحرافه ٠

٢ ـ البعد الاجتماعى :

فعلماء الاجتماع يرون أن الأفراد غير الأسوياء « شبه منحرفين » فى المجتمع هم البؤساء ، وهم المحرومون وهم الذين يدفعون دفعا الى الانحراف وذلك بسبب سوء التوافق فى مجالات عديدة ٠

٣ ـ البعد الاقتصادى :

والباعث فى الكذب قد يكون لمجرد الحاجة والشعـــور بالنقص لبعض كماليات الحياة بما تفرضه طبيعة الحياة من قسوة على الأفراد فيلجأون الى الكذب للوصول الى مآربهم ويرجع علماء الاقتصاد هذا البعد الى مشكلات البطالة والفقر ٠

فظاهرة الكذب أزلية تناولها العديد من العلمـــاء والبـــاحثين الاجتماعيين ، والمحللين النفسيين منذ زمن طويل وأول من تطرق فى البحث اليها زعيم التحليل النفسى « فرويد » وبالرغم من عظمة البحوث والتفكير فى الظاهرة ، الا أن الدراسات التى تناولتها قليلة من حيث الكم ورغم انتشارها كسلوك تبعه معظم الأفراد فان المتتبع لهذه الدراســـة يلاحظ انها تناولت الانسان من جانب واحد ولم تأخذه من عدة جـــوانب فتركت العديد من الجوانب الأخرى التى تشكل دوافع الفرد الى الكذب ومع ذلك لم تترك هذه الظاهرة مهملة الى درجة لم تستلفت انتباه الباحثين بل ان الدراسات نحوها قائمة ، كما أن هذه الظاهرة لم تهمل أيضا من غير الباحثين بل شاركت الصحافة الى تقديمها كمادة صحفية مهمـــة واجتهدت فى طريقة عرضها وتحليلها ومحاولة الوصول الى علاج ناجع لها من خلال رؤية استطلاعية صحفية ضمت العديد من المثقفين والمختصين فيها ومن أهم هذه الاستطلاعات التحقيق الصحفى الذى أجراه حـــلمى الخولى لمجلة الرابطة ، وكان من نتائج هذا التحقيق : ان الكاذب مريض بأمراض نفسية أصيب بها بانحرافه عن طريق الصدق وباستمرار الحياة تستمر الأمراض فى زيادة مضطردة ، ويستفحل أمرها ، وربما كـــان العلاج صعبا ويؤدى الى مرض عضوى يستحيل علاجه ٠

وكان بودى لو أن عددا من هذه التحقيقات وتلك الاستطلاعات لا تقدم على فترة زمانية ومكانية محددة بل ان تكون متتابعة ومتلاحقة

ومستمرة وأن تتناقلها العديد من الصحف والمجلات وأن تنقلها استقصاء ونموذجا حيا متواصلا حتى ل تستفحل هذه الظاهرة ويستشري مرضها أكثر فأكثر ، فان الطرق الوقائية هي السبيل الى التخفيف من وطأة هذه الظاهرة وهي بالتالي التي تؤدي الى التخفيف من القيم العددية والى اختفاء ظواهرها كما أن قياس استطلاع الراي يحتاج من الباحث الى مجهود علمي لاختيار ردود الفعل بعد قيام الاستطلاع سواء على العينات او عن غيرها بطريقة الاستفتاء العام المطروح على القراء من خلال زوايا الصحافة من « بريد القراء » فحبذا لو أن هذه الجهود تكثف بشكـــل ثقافى عبر المؤسسات التعليمية والتقنية والاعلامية والاكاديمية من خلال مراكز أبحاثها الاجتماعية وبهذه المناسبة لعلنا نتطلع الى انشاء « مركز قومى للأبحاث الاجتماعية » يقوم بمهمة دراسة ظواهر المجتمع بوجـه عام ويشارك فى وضع الحلول المناسبة لها التى تكفل تنقية هذه الظواهر الاجتماعية من شوائبها والتى يتضرر منها المجتمع وحسبى أن أرى هذا الاقتراح قد تجسد بصورة عملية وفق خطط علمية كفيلة باتجـاح هـذا المركز ، وبالرغم من عدم وجود هذه المراكز فى بعض الدول الناميـــة غير أن الدراسات الاكاديمية لم تتوقف ولدراسة هذه الظاهرة بل تعيرها جل اهتمامها وان كانت هذه ابحاث فردية وقليلة كما ذكرنا ولكن ما هى مدى الاستفادة منها وهذا شيء مطروح للتساؤل بعد أن أقيمت هـذه الأبحاث فى ادراج المكتبات الجامعية لا يستفاد منها الا فى نطـــــاق استمرارية تطوير البحث العلمى فى مجال التخصص وهكذا تمتد هذه الدراسات وتتكدس ولكنها لا ترى النور من قريب أو بعيد وحسبى أن يفرج عنها من ذلك الظلام الحالك الذى جعلها تتوارى فيه مع اننى كنت أتمنى من الصحفيين أن يغربلوا هذه المكتبات الجامعية ويستخرجوا منها المادة الصحفية التى يستفيدون منها فى كثير من مجالات القضايا التى تحتاج الى استطلاع والى تحقيق صحفى يكون مدعما بنتائج علمية مفيدة تثرى القضية وتساعدها على النجاح ، ومع متابعة الظاهرة التى نحن بصدد الحديث عنا فيما يتعلق بـ « الكذب » وقعت عيناى عـــلى موضوع ملخص عن الكذب « من كتاب قراءات فى مشكلات الطفولة » للدكتور / محمد جميل محمد يوسف فقد أظهرت تلك الدراسة الملخصة أن الكذب عند الأطفال كناحية ونزعة عدوانية Aggression وبين الأنواع الشائعة عند الأطفال ، والأسباب التى تجعل الفرد أو الطفل كاذبا ·

وكان من نتائج هذه الدراسة التى اعتمدت على تلخيص كتــاب قراءات فى مشكلات الطفولة انها قد اعطت المهتمين بالتوجيه التربوى والارشاد الأسرى رؤية جديدة للتوقع متى يمكن أن ينتهج الطفل سلوكه الكذب ، وكيف يمكن الاسهام فى الوقاية من الوقوع فى الأكـاذيب فى

مراحل التنشئة الاجتماعية ليتمكن المهتمون من وضع خطط وقائيـة لمختلف أفراد الأسرة وخاصة صغارها ليس فقط من حدوث هذا السلوك بل وتركيز الجهد بعناية أشد على أولئك الأعضاء الأكثر قابلية في الأسرة لبعض الانحرافات ٠

وفى دراسة ميدانية أخرى قامت بها احدى الباحثات « ٩٠ ع٠ أ » استخدمت في أدوات منهج البحث الاستبيان المكون من ٢٨ سؤالا مقسما الى بيانات أولية وتفصيلية وقد حددت المجال البشرى لتوزيع استماراتها وهو ٥٠ ذكرا ، ٢٥ من الاناث واشـتملت هذه الدراسـة على ثلاثـة مجالات :

١ ــ المجال الزمنى ، المجال البشرى ، المجال المكانى واختارت افـراد العينة بمن تقع أعمارهم ما بين « ٢١ سنة واقل من ٣٠ سنة » وان معظم غالبية أفراد العينة كانوا من المتزوجين والمتزوجـات وممن يحملون مؤهلات عالية ــ المؤهل الجامعى ــ ٠

وبعد تفريغها للاستمارات وتحليلها اتضح ان معظم الآراء اتجهت الى ان التنشئة الاجتماعية غير الصحيحة تؤدى الى الانحـــراف وان أغلبية أفراد العينة أكدوا وبشدة أن معاقبة الطفل بقسوة وحرمانه من احتياجاته تؤدى حتما الى الكذب ، ولاحظت الباحثة من خـــلال اجابات أفراد العينة ان هناك عوامل اخرى تؤدى اثرا ايجابيا فى تجنب الكذب من أهمها :

١ ــ ارتفاع مستوى التعليم للوالدين يجعلهمـا قادرين على تنشـئة اطفالهم تنشئة سليمة ٠

٢ ــ بث القيم والمبادىء فى نفوسهم ٠

٣ ــ قدرتهم على تنفيذ طلبات واحتياجات أبنائهم ٠

٤ ــ أن الاستقرار العائلى يضمن للفرد مواجهته للحياة مواجهـــة سليمة ٠

٥ ــ ليس من الضرورى أن سوء الحالة الاقتصادية للفرد يؤدى الى اللجوء الى الكذب فقد يكون الكذب نزعة فى الانسان ميلا اليه ٠

٦ ـ ان الوازع الديني له علاقة مباشرة بالكذب والكل قد أجمع أن الدين يمنع النفس من الكثير من الصفات السيئة التى تؤدى الى غضب الله ٠

٧ ـ ان اهمال الناحية الدينية عند الفـــرد والتفكـك الأسرى وبعـد الوالدين وانشغالهما فى الحياة كلها عوامل تؤدى الى الكذب ٠

٨ ـ ان البعد عن الخوف والقلق والثقـــة فى النفس وفى الضـــمير والاطمئنان النفسى كلها آثار تدل على الصدق واختتمت الباحثة دراستها الأكاديمية الميدانية بمجموعة من التوصـيات والمقترحـات التى ترى منها الفائدة فى تقويض ظاهرة الكذب ووأدهـــا فى مهدها وأرجو أن نستفيد منها جميعا ٠

وتقوم هذه التوصيات على نقاط مهمة على المـرء أن يأخذها فى اعتباره كناحية سلوكية تتعلق بالتنشئة الاجتماعية وكسلوك سوى يمنع افراد الأسرة من الانخراط فى حبائل الكذب والى اتجاهات انحرافيـــة أخرى هى :

١ ـ الالتزام بالمبادىء والقيم الاسلامية وهذا اهم عامل ٠

٢ ـ رقابة الوالدين لأبنائهم وتصحيح مســار حيــاتهم النفســية والاجتماعية ٠

٣ ـ احياء ضمير الفرد بتذكيره دائما بعقاب الله والمخافة منه ٠

٤ ـ النقاش المستمر بين افراد الأسرة لمعرفة نفوس بعضهم البعض ٠

٥ ـ تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى الفـرد وعلى سبيـــل المثال لا الحصر لدى البعض « انا لا اكذب ولكنى أتجمل » ٠

٦ ـ لابد للفرد أن يدرك انه ليس للكذب الوانه المختلفة ما بين كذب أبيض محبب وآخر أسود منبوذ ، فالكذب كـــذب مهما اختلفت الوانه وخصائصه ٠

هذه مجموعة التوصيات والمقترحات التى خرجت بها الباحثة من دراستها الميدانية وخلاصة القول ان اجتناب هذه الظاهرة وامتصاصها من مجتمعنا تقوم على أساس أن الصدق هو شعار الجميع ، والكذب هو عدو الجميع ، تمثلا بتعاليم ديننا العظيم ٠٠

والله ولى التوفيق ٠

حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعى ط ٤ القاهرة : عالم الكتب ١٩٧٧ م ص ٧) ٠

الشباب وعش الغراب (★)

لم تكتف « الماسونية » بـ المذهب العقائدى الذى تحاول أن تصدره فى بعض انحاء عالمنا الاسلامى من غزو فكرى ظاهره انبهار حضارى ، وباطنة أفكار مدمرة تستهدف تدمير بنية المجتمعات العربية الاسلامية والتجسس عليها ، وتدمير سياساتها الاقتصادية ، وتلويث حياتها الاجتماعية بتغيير أنماط التفكير والعادات والتقاليد الاسلامية للتبعية والهيمنة والاذلال .

وفى هذا الموضوع أود أن أميط اللثام عن مؤامرة تسعى بها « الماسونية » الى زرع الفساد فى أفكار شباب الأمة عن طريق غير مباشرة بـ « الفكر الصهيونى » الذى يدعو الى تشويه حقيقة الاسلام وعظمته ومنهاجه القويم ليبقى الدين اليهودى الوحيد فى هذا الكوكب الأرضى .

وأحسب أن مثل هذه الأفكار المسمومة المسلطة والمدمرة تخرج من بينها ما يسمى بـ « آخر صيحات العصر الحديث » وآخر التقليعات فى الموضة ، وهكذا .. فمثلا نرى أن من بين هذه التشكيلات فى صالونات الحلاقة خروج موضة لحلاقة شعر الرأس تسمى بـ « عش الغراب » !!

وهذه التقليعة تشبه بيت الرغاب من حيث الشكل ، ولكن مضمونها يخرج عن ذلك ليصبح عبارة عن رمز اتخذته اليهودية شعارا دينى لها .. وأيا كان هذا الرأى يذكر بتفكيرنا الى هذه المعتقدات فى مدى صحتها أو خطئها من حيث التشبيه أو التقليد ، فان عدم جوازها شىء أساسى لأنها تخرج عن تعاليمنا الاسلامية التى تدعو الى « حف الشوارب » والعفو عن اللحى .

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ « ٨٨٠ » ـ ١٤١٣/٣/٢٠ هـ .

وبعض الشباب عندما يتم تشكيله بهذه الموضات أو تلك الصيحات أو تلك التقليعات ، وتصبح راسخة فى ذهنه تكون الأمور بالغة الصعوبة فى اجتثاث هذه النزعات لأنها تصبح من القيم والمفاهيم الخطيرة وتتحول الى سلوك فى الحياة ولا يمكن تخليصها من هذه الهيمنة التى تكون قد تغلغلت فى جوانب الشخصية ٠

وباختصار تحتاج الأمة الى غربلة فكرية تعيد صحوة الشباب الى بعد ايمانى ، ونزوع عقائدى يخلصه من سلبيات هذه الحضارات الزائفة « ماسونية » وغير ماسونية ٠٠ وأسلوب التفكير باعادة صياغته من جديد وهذا يحتاج الى درجة كبيرة من الوعى والادراك الذى يجعله يميز بين الغث والثمين ٠٠ وهذا الوعى المدرك موجود لدى الكثير من شبابنا الذين يتعاملون مع الحضارات الأخرى ويتفاعلون معها بالمعيار الموضوعى الذى يبحث عن الاختيار الأمثل فى الأخذ من تلك الحضارات بما ينمى أفكارهم العلمية والثقافية بالقدر الذى لا يتعارض مع كـــل القيم السائدة فى مجتمعاتهم ، وهذا فى حد ذاته عمل ايجابى ، وتربوى وعلمى ٠٠ وفى هذا الاختيار الموضوعى يكون التفاعل الحضارى مبنيا على أسس قوية ودعامة طربية وظاهرة صحية بكل المفــاهيم ، وبكل المعايير وبكل المقاييس التى نسميها اصطلاحا بـ « التفاعل الحضارى »٠

والكلمة الأخيرة التى أود أن أتوجه بها الى بعض الشبـــاب ان يقلعوا عن ذلك التقــليد الأعمى من كل القيم الداخــلية ، والأفكار المستوردة التى لا تخدم مصلحة بلادهم ومستقبل حضارتهم ، وان يكون التقليد فى محاكاة الحضارة الغربية فى القيم الصالحة التى يرون فيها تنمية الوعى الفكرى والعلمى والثقافى بالمعيار الحقيقى الذى يخـــدم بلدهم فى كل مناحى الحياة ٠

والله تعالى الهادى الى الصواب والرشد ٠ »

أين موقعنا الاجتماعي من كارت الواسطة (★)

يصعب على المرء أن يكافح جنوح « الوساطة » بعد أن أصبحت مرضا بين أفراد وجماعات وإلا يمكن لأحدنا أن ينكر وجودها في كل المجتمعات .

وبالرغم من أن وجودها يعطي مؤشراً أو ايذانا الى حد ما في وجود ظاهرة اجتماعية بين وسط المنتفعين منا ٠٠ الا انهـا لازالت مشكلة قائمة ويمكن احتواؤها أو تقويضها ، أو تقليصها بالوعي الديني ٠٠ وبالسلوك الحضاري وعن طريق الاعلام لخطورة وجودها ٠٠ وقد يأتي الزمن مع مرور الوقت الذي تتلاشى فيه نهائيا ٠٠ أو تصبح في خبر كان واخواتها ـ ونرجو من الله ان يتحقق ذلك ـ ٠

وأحسب ان كارت « الواسطة » أو « الوساطة » يستطيع أن يحقق لحامله المصلحة ، والمنفعة والوظيفة التي يريدها بدون جهد أو عناء أو تكليف أو مراجعة يومية مرهقة ٠٠ كما ان كارت الوساطة ٠ نفسه يستطيع أن يوصد الأبواب في وجوه المتنافسين على المصلحة بغض النظر عن الحقوق الشرعية لصاحب كل حق ، وصاحب كل منفعة ، وهذا الأمر في قوة التأثير أو وجوده أو بيانه أو فاعليته لم يكن من صنع الدولة التي لا تشجعه أو تقف معه موقف المتفرج أو موقف الراصد وهي التي وضعت الأنظمة والقوانين واللوائح وغيرها التي تجعل للمصلحة العامة الغلبة فوق كل الاعتبارات ، كما انها تساوي بين مصالح الناس بكل عدل ، وأمانة وصدق ٠

ولا يخفى علينا ونحن أصحاب وعي حضاري أن الدولة بذلت من

(★) مجلة اقرأ ـ العدد « ٨٨٤ » ـ ١٤١٣/٤/١٩ هـ ٠

الجهد الكبير فى محاربة هذه الآفة المسماة بـ « كارت الوساطة » ولكن لا يبدو أن مكافحتها بالأمر اليسير أو بالسهولة بمكان بعد أن استشرت المشكلة فى المجتمعات وأصبحت فى أصحابها بشكل علني ، وفى وضح النهار غير آخذين فى اعتباراتهم مخافة الله فى حقوق الفرد فى المجتمع، ففاقد الشيء لا يعطيه ، فهم فقدوا القيم الانسانية والأخلاقية وضربوا بها عرض الحائط ، ولم يقيموا لها وزنا اجتماعيا أو عرفيا أو شرعيا بحكم أنهم مسلمون فأخذوا منها مأخذ المحمل ، والجد ، وأصبحت تجرى فى عروقهم مجرى الدم ·· بل أصبحت تشكل أحد المعالم الرئيسية فى سلوك غير حضارى ·· فى أعمالهم اليومية ·

ولا يخفى علينا جميعا أن الذين ينتفعون بـ كارت « الوساطة » ، وبكل معطياتها غير الانسانية اذكياء ، ودهاة ، ويعرفون كيف يوقتونها وفق الاطار المعرفى بينهم ، ووفق الوقت الذى يخدم مصلحتهم ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ·· والمصلحة الذاتية فوق كل المصالح الأخرى التى تهم قطاعا كبيراً من الناس ·· وفوق كل الاعتبارات الانسانية والخلقية حتى ولو كانت على حساب وظهور أصحاب الحق الشرعى بتلك المصلحة التى سلبوها عن طريق كارت الوساطة ، فلا هناك أحقية أو أولوية تعلو على مصالحهم ، ومصالح من يخدمونهم ، وفى بلادنا – ولله الحمد – تظهر هذه الفئات البشرية ، ولكن بنسبة ضئيلة وتكاد أن تكون معدومة بالنسبة للأكثرية لأن مخافة الله ترهب الذين لا يقفون الى جانب الحق ويلعبون بمصالح الناس وبحقوقهم المشروعة كما أن سلوكنا الحضارى والتربوى الذى نشأ عن المنهج الاسلامى يكون سداً منيعا أو رادعا الى مثل هذا الجنوح فى سلوكيات غير سوية ، وغير مستقيمة من حيث كونها تضر بمجتمعنا ، وبقيمنا الاسلامية ·

وكلى أملى كبير وتطلع أكيد أن أجد « كارت الوساطة » مهمشا فى مجتمعنا ، ولم يعد يشكل أى وجود بيننا وبين الأشخاص الذين يتعاملون معه ، والذين يشجعونه ، وربما لا أبرء نفسى من السقوط الى هذه الهاوية ولكن أدعو لهم ولغيرهم الهداية الى الطريق المستقيم الذى يجنبنا الوقوع فى هذه المنعطفات الخطيرة من كروت الواسطة وغيرها ، فان النفس أمارة بالسوء ، ولكن بالوازع الدينى ، وبالنزعة الايمانية ، وبالعقيدة الاسلامية الخالصة ، وبوازع الضمير وبالحق على المجتمع وبالانتماء الى أرض الوطن نستطيع أن نتخلص من كل الظواهر الاجتماعية التى لا تتوافق مع تعاليم ديننا الحنيف ، ومع مصلحتنا العامة ·

الغش فى الامتحانات بين الظاهرة والعلاج (★)

لقد أصبحت ظاهرة الغش فى الامتحانات تشكل هاجسا كبيرا فى تفكير المشتغلين فى مجال التدريس وفى مجـــال العـــلوم التربوية والسيكولوجية والسوسيولوجية ، وكذلك فهى ظاهرة من أهم الظواهر التى تقلق بال المربين والآباء ، وبالرغم من دراسات كثيرة قام بها بعض الباحثين لتقديم الحلول العلميـة المنـاسبة لتضييق هـذه الفجوة ، لكننا كأساتذة جامعيين وغيرنا لازلنا نعانى منها بعض الشىء ، وتظل هـذه الاشكالية بأن الشكل الرئيسى الذى يمثل هذه الظاهرة والتى هى المحور الأساسى لها وان الامتحانات الجامعية والمدرسية هى الوسيلة التى من خلالها يتم تقييم الطالب من الناحية المعرفية وقياس نسبة تحصيله فى المواد الدراسية المختلفة وهى بذلك تساهم فى معرفة مستوى الطالب بالنسبة الى أقرانه •

وكذلك فهى تمد أولياء الأمور بالتقارير المفصلة عنه بهدف الوقوف على مستوى الطالب ، وحالته الدراسية وتبصره بها حتى يتجنبها ، ومن جهة أخرى ، عرف الباحثون فى هذا المجـال بأن أهميـة الامتحـانات وأعتباراتها تأتى من أنها الخبرات المتتالية التى لا بد لكل طالب أن يمر بها ، فلكى ينتقل من فصل دراسى لآخر عليـه أن يمر بسلســـة من الاختبارات المدرسية •

وبالرغم من أهمية هذه الامتحانات لانها تعتبر هى أفضل السبل الى قياس نمو الطلاب ، وقياس مدى استيعابهم للمناهج التى يدرسونها الا أنها فى الوقت ذاته تشكل هاجسا كبيرا وعبئا ثقيلا عندما تتحول الى صراع (CONFLICT) يخيف الطالب ويؤثر على فكره واستيعـــابه

(★) مجلة اقرأ ـ العدد ـ ٧٩٥ ـ ١٤١١/٥/٢٦ هـ •

لدروسه ، ولكن مهما يكن من أمر فهذه الأسباب لا تدفع الطالب بأن يلجأ الى الغش ، ويبقى الشيء الذى لا زال يدفع الى التساؤل والحيرة والدهشة من الأمور بأن ذلك الجهد الذى يبذله الطالب فى استغراقه بالوقت الطويل فى اعداد « البرشامة » التى تحتوى على المادة الدراسية التى يجهزها للغش فى الامتحان لو انه فرغها للمذاكرة والمراجعة العامة للمادة التى سيتقدم لاختيارها لاستطاع أن يستوعبها ويحتويها وتصبح قدرته جاهزة لأداء الامتحان بكل ثقة وأمانة ولكنه مع ذلك يفضل ان يوفر ذلك الوقت لأدوات الغش ويرتكب هذا الجموح مع أننا نؤمن بأن مواجهة الطالب للامتحانات لا يمكن أن تكون عضوية ، وانما تحتاج الى مزيد من الاستعداد والتهيؤ العقلى والنفسى والعملى والاجتماعى ، وغالبا ما يصحب هذا الاستعداد كما يفسره علماء النفس وعلماء التربية بأنه جو مشحون بالتوتر والقلق والخوف سواء من قبل الطالب نفسه أو من قبل الأسرة ، والتى تنعكس كليا وجزئيا فى النهاية على درجة استعداد الطالب ، وهى حالته النفسية ، والمعنوية ، والتى يكون لها الأثر الأكبر فى مدى اجتيازه للامتحان أو فشله ٠

ومع ذلك نرى أن الأقدام على الغش فى الامتحان يشكل أضعاف هذا التخوف وهذا الرعب فى الاستعداد للامتحان ، لأن الطالب يظل فى حالة أضطراب نفسى وقلق مستمر من أنه يقع فى شر عمله ويضبط متلبسا بالدليل المادى الذى يعرضه للجزاء الصارم الذى يحرمه من أداء الامتحان ٠

وان كانت الامتحانات بحد ذاتها تشكل ركنا أساسيا فى عملية تقييم الطلبة ودفعهم الى المزيد من الدرس والاجتهاد ، والاستعداد وعلى الرغم من المكانة التى تحتلها الامتحانات فى مسيرة العملية التربوية الا انها تواجه مشكلات تتمثل فى أسلوب الامتحانات ومايواكبها من عوامل وأهمها ظاهرة « الغش » والتى لها من تأثير ينعكس فى سلبياته على المفهوم الأساسى الذى من أجله انشئت الامتحانات ٠

وخلاصة القول كما اتفق عليه علماء النفس ، بأن الآثار النفسية للامتحانات سواء أكانت ايجابية أم سلبية ترتبط ارتباطا مباشرا فى الكيفية التى يمكن بها معالجة المشكلات والظواهر التى تواكب هذا الجانب من الجوانب العلمية التربوية والمتمثل بالامتحانات ٠

وظاهرة الغش وهى موضوع حديثنا هنا تتمثل فى عدد من الجوانب غير المقبولة بمجتمعنا ، ويرفضها المجتمع ككل سواء من

الناحية الدينية أو من الناحية الاخلاقية أو التربوية ، فهي تتيح للبعض الحصول على حق بصورة غير شرعية وغير مشروعة ، وهي في الواقع ذلك كله ، ومهما كانت الأسباب والمبررات فان عمليـــة الغش تمثل خطورة في حق المجتمع الذي يتوسم في هذا الطالب أن يكون أمينـــا وصادقا مع نفسه وان يكون قدوة صالحة في بناء جيل قوى مبنى على أسس علمية قوية وسليمة وصالحة ٠

ومن خلال هذا المفهوم الذي يأتي ارتباطا بنشأة الفـرد وعوامل تاثره بالمجتمع الذي خرج منه ومدى تأثـــره بالتنشئة الاجتماعيـــة SCCIALIâATION والنمو الاجتماعي نرى أن ظاهرة الغش تشكـــل جزءا من خطورة لا يمكن السكوت عليها ولا يمكن بأية حال من الأحوال قبولها ، لأن تكاثرها واستشراءها سيكون له عواقب وخيمة على المجتمع ككل في مقوماته العملية والثقافية ٠

وان كان المجال هنا لا يسع الى تقديم دراسات كاملة للباحثين لدراسة هذه الظاهرة والعوامل التي تسببت في وجودها وعلى من تقع مسئولياتها، الا اننا سنقوم بتقديم بعض المختارات من هذه الدراسات وهو الجزء اليسير منها اذ أن هناك عدة عوامل ودوافع كانت وراء حروج هذه الظاهرة وقيام نشاطها ٠

وقد تعارف علماء الاجتماع على أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم وتعليم وتربية وتقوم على التفاعل الاجتماعي ، ولما كانت عمليـــة التنشئة الاجتماعية تقع على عاتق الأسرة وتكملها المدرسة لذا سيكون توجهنا الى الأسرة والمدرسة ودور كل منهما في توفير هذه التنشئـــة الاجتماعية الصحيحة للأطفال ، ولا أعتقد أننا هنا سنقوم بعرض هـــذه الأدوار وطريقة أنجاهها الصحيح بشكل كامل ومتكامل في مقال كهذا فان الأمر يحتاج الى دراسة علمية مستفيضة ولكننا سنقوم باحالـــة القارىء لتتبع هذه الدراسات العلمية من خلال بعض المراجـــع التي نقدمها له في (هوامش المقال) والتي غالبا ما تتعلق بمفهوم الأسرة ووظيفتها في خدمة التنشئة الاجتماعيه ولا يعني هذا انني سأبتعد عن شرح ابعاد هذه المشكلة وارتباطها بالتأخر الدراسي الذي له علاقـــة بالغش فأورد هنا موجزاً لبعض الدراسات العلمية التي قام بها بعض الباحثين في هذا الصدد ٠

علاقه التأخر الدراسي بالغش :

لقد اجتمـــع فريـق من البــاحثين التربويين والسيكولوجيين والسوسيولوجيين على اتفاق واحد وهو أن التأخر الدراسي يمثل مشكلة مهمة تحتل مكانا بارزا من تفكير المشتغلين فى هذا المجال اذا أن هـذه المشكلة من أهم المشكلات التى تقلق بال المربين والآباء والتلاميذ أنفسهم والمعنيين بشئون تربية النشيء وذلك لأنها مشكلة تعوق تقـدم المدرسـة الحديثة وتعتبر من أهم عوامل التخلف التربوى والثقافى ، فهى مشكلة تهم سلامة المجتمع ككل ٠

ولمشكلة التأخر الدراسى آثارها السلبية الخطيرة التى تضر بالفرد والمدرسة والمجتمع ، ومن أهم هذه الآثار ظاهرة الغش والتى قد يلجأ اليها الطالب لمداراة تخلفه الدراسى ، وتعويض ما قد يفوته من سنوات دراسية فشل فيها مما يؤثر عليه وعلى شخصيته وكذلك على مدرسته ومجتمعه ٠

ولهذا ينبغى معالجة هذه المشكلة على أنها نتيجة واحدة لأسباب وظواهر متعددة ، أرجو من المختصين الاهتمام بها كدراسة مستمـرة ولاحقة اذ أن تقديم الاستمرارية من الدراسات العلمية فى هذا المجـال سيقلل من انتشار الغش بين صفوف الطلبة والطالبات ، ومن صعوبـة التوصل الى الحل الأمثل فى اجتثاثها أو الاقتراب من الحلول العلمية المناسبة التى تحد من تفاقمها ٠

ومع ايماننا بأن الجهات المسئولة لم تقف مكتوفـة الأيادى فى محاولة هذه الظاهرة بوضع الجزاءات الصارمة لها ، غير أن هـــذا لا يكفى بل يحتاج الى الأساليب الأخرى العلمية والتربوية والثقافية فى المشاركة بعملية التوعية المباشرة فى استخدام وسائل التعبير عنها وعن حقيقة خطورتها ووضع الحلول المناسبة لها مما يجعل هذه الأساليب العلمية أكبر كفاءة وقدرة على مواجهة تحدياتها فان القنوات التعليمية والتربوية والاعلامية على المستوى الجماهيرى والخاص والعام ستكون لها ردود الفعل الايجابى الذى يخدم هذه القضية خصوصا اذا كثفنـا « كما وكيفا » المحاضرات والأمسيات والندوات والخطب الدينية والدراما بكافة أشكالها المختلفة وتوجهنا بها عرضا وتحليلا واستنتاجا ، وحلولا وحسبى أن تقوم تلك الجهات المسئولة بوضع حملات أعلامية وتعليمية موجهة لتلك الشرائح وفق خطط علمية تستهدف شرح أبعاد هذه القضية التى أصبحت تشكل منعطفا خطيرا عن حياتها التعليمية ، وما ينبثق عنها من آثار سلبية على واجهتنا الحضارية التى تأسست على العملية التى

بناها الانسان السعودى المتحضر الذى يتميز بحصافة الفكر ومتانة العلم والثقافة ٠

١ ـ د٠ سرحان منير المرسى ، فى اجتماعيات التربية ، دار النهضة العربية ط « ٣ » ١٩٨١ ص ١٧٩ انظر كذلك احالة مفهوم الأسرة والمدرسة ووظيفتها الاجتماعية ٠

٢ ـ د٠ الخولى سنا ، الزواج والعلاقات الأسرية دار النهضة العربية بيروت عام ١٩٨٣ ٠

٣ ـ غبارى محمد سلامة الخدمة الاجتماعية المدرسية ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ٠

٤ ـ بهجت محمد صالح وآخرون ، الخدمة الاجتماعية فى التعليم ورعاية الشباب ، المكتب الجامعى الحديث الاسكندرية عام ١٩٨٥ م ٠

٥ ـ د٠ حمزة مختار ، مشكلات الأباء والأبناء ، دار البيان العربى جدة عام ١٩٨٣ ط ، ٣ ٠

٦ ـ د٠ معوض خليل ميخائيل قدرات وسمات الموهوبين دار الفكر الجامعى ـ الاسكندرية عام ١٩٨٣ ٠

٧ ـ د٠ عبد الرحيم طلعت حسن سيكولوجية التأخر الادارى ، دار الاصلاح الدمام عام ١٩٨٠ ٠

٨ ـ د٠ الطيب محمد عبد الظاهر وآخرون ، التلميذ فى التعليم الأساسى منشأة المعارف ، الاسكندرية عام ١٩٨٣ م ٠

ـ غبارى محمد سلامة الخدمة الاجتماعية المدرسية ، المكتب الجامعى أو الاخوة بمرض عصبى ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٨٤٩٣

ISBN — 977 — 01 — 4530 — 0